

جَمَاعَةُ الْأَزْهَرِ لِلتَّلَايِفِ وَالْفَرْجَةِ وَالنَّشْرِ

المَهَادِبَةُ فِي الْأَسْلَافِ

مُنْذَ أَقْدَمِ الْعُصُورِ حَتَّى الْيَوْمِ
دِرَاسَةٌ وَافِيَةٌ لِتَارِيخِهَا الْعَقْدِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالْأَدَبِيِّ

تَلَوَّفَ

سَعْدُ مُحَمَّدٍ حَسَنِ

مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ وَمُدَرِّسِ بَوَازَةِ الْعَاوِفِ

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م

طَبَاعَ

دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ بِمِصْرَ
مُحَمَّدُ بَنِي بَنِي

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

اللَّهُمَّ هَذَا
لِعَجَبَةِ الْحَقِّ وَحَقِّهِ

فهرست الكتاب

صفحة

ح	تقرير عن الكتاب للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي	
ك	تصدير بقلم الدكتور عبد الحلیم النجار الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة	
ن	مقدمة المؤلف	
١	الفصل الأول	
١	الإمامة في الإسلام	
٥	القراءة عند الشيعة	
٩	الإمامة عند الفرق الإسلامية	
٩	الإمامة عند أهل السنة	
١٣	الإمامة عند الخوارج	
١٣	الإمامة عند الشيعة	
٣٥	الفصل الثاني	
٣٥	الرجعة	
٣٨	يهودية الرجعة وتسريبها إلى الشيعة	
٤٢	عقيدة المخلص في الشرق القديم وأثرها في معتقد المهدي	
٤٥	الفصل الثالث	
٤٥	المهدي في الإسلام	
٤٥	لفظة المهدي	
٤٨	الشيعة وعوامل الفكرة عندهم	
٦٩	مستندات الشيعة	
٧٥	غلاة الشيعة وألوهية الأئمة	

صفحة	
٨١	المهدىّ عند الشيعة
٩١	الفصل الرابع
٩١	فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد
٩١	السبأية
٩٥	الكيسانية
١٠٧	الزيدية
١١٢	النفس الزكية محمد بن عبد الله مهدى الجارودية
١٢٩	الإمامية
١٢٩	الإثنا عشرية
١٣٧	الإسماعيلية
١٤٩	الفصل الخامس
١٤٩	أدب المهديّة عند الشيعة
١٥٠	كثير عزّة
١٥٣	السيد الحيدري
١٦٠	بهاء الدين العاملي
١٧٠	الفصل السادس
١٧٠	المهدية عند بقية الفرق الإسلامية
١٧٠	المهدية والقرامطة
١٧٢	المهدية والخوارج
١٧٣	المهدية والصوفية
١٧٤	المهدية وأهل السنّة
١٧٦	آثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي
١٧٦	القحطاني والسكبي والتميمي

١٧٧	السفياني المنتظر
١٨٢	المهديون من غير آل البيت
١٨٢	إجمال
١٨٥	ابن تومرت مهدي الموحدين .
١٩٧	الفصل السابع .
١٩٧	المهدية في العصر الحديث
١٩٩	محمد أحمد مهدي السودان
٢٣٧	البابية والبهائية . .
٢٣٧	التشيع في فارس .
٢٤٠	الشيخية
٢٤٤	البابية . . .
٢٥٧	البهائية .
٢٦٤	المهدية في الهند .
٢٦٤	الإسلام في الهند . .
٢٦٨	الباريلية . .
٢٧٠	الأحمدية أو القاديانية .
٢٧٥	مراجع الكتاب
٢٨٩	فهارس الأعلام

تقرير عن الكتاب

للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي (*)

موضوع « المهديّة » من الموضوعات الطريفة في التاريخ الإسلامي ، وهو يجمع بين طرافة التاريخ وطرافة القصة ، هذا فوق ماله من خطورة تاريخية نلاحظها في جميع عصور التاريخ الإسلامي وجميع أقطار الدول الإسلامية على وجه التقريب . ومع أن المصادر العربية التاريخية فيأضة بأخبار « المهديّة » ومن ادّعوها في مختلف العصور ، ومع أن غير واحد من المستشرقين قد كتب في موضوع المهديّة والمتهمدين كتابات تختلف إيجازاً وتفصيلاً ، فإنه لم يظهر بعد كتاب عربي واحد^(١) يجمع شتات هذه « النظرية » أو « الفكرة » أو « الأسطورة » ويؤلف منها قصة تاريخية محكمة البنية حسنة العرض سهلة الأسلوب .

من أجل ذلك لا يسع محب الثقافة الإسلامية إلا أن يستقبل مع الابهتاج كتاب « المهديّة في الإسلام » لمؤلفه الأستاذ سعد محمد حسن ؛ فقد جاء الكتاب في الوقت الذي أخذ الجمهور الإسلامي المثقف يتطلع فيه إلى ماضيه ليفهم حاضره ويدرك الاتجاهات التي يسير فيها العالم الإسلامي بوعي أو على غير وعي منه .

(*) كان من سوائف الأفضية أن تقدمت بكتابي هذا إلى « لجنة التأليف والترجمة والنشر » لطبعه ، فأحالتني « اللجنة » على الأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي ، وكان وقت ذاك عميداً لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ؛ وذلك لكتابة تقرير عنه ، فظفرنا من الأستاذ الجليل — وهو حجة في التاريخ الإسلامي — بهذا التقرير ، وأصله مودع في سجلات « اللجنة » وتحت أيدينا صورة منه ، وكان بعد ذلك أن اعتذرت « اللجنة » عن الطبع ... ١

(١) أخرج الأستاذ الكبير أحمد أمين بعد كتابة هذا التقرير بسنوات كتباً صغيراً للناس بعنوان « المهدي والمهدوية » ونشره في سلسلة « اقرأ » وقد قننا بنقده في مجلة « الثقافة » المديين (٦٦٤ ، ٦٦٧) فارجع إليهما إن شئت .

وموضوع « المهدية » مع طرافته التاريخية السالفة موضوع شائك ، يقتضى فيمن يعالجه تعمقاً فى الفهم ولباقة فى العرض ؛ لأنه يتصل بشعور أقوام يدينون بالمهدية فى العراق وإيران والهند ، ولاشك أن الأستاذ سعد محمد حسن قد استوفى كثيراً من الشروط الأساسية اللازمة للإقدام على الكتابة فى هذا الموضوع ؛ فهو ذو ثقافة فقهية إسلامية أصيلة تمكنه من أن يخوض عباب هذا البحث دون أن يتورط فى الأخطاء التى قد يتورط فيها من ليست له هذه الثقافة متى تعرض لمثل موضوع « المهدية فى الإسلام » ، ثم إن الأستاذ قد أحاط بمادة الموضوع الواردة فى المراجع العربية واطّلع على ما وسعه الاطلاع عليه من المراجع الأجنبية المتعلقة بالمهدية والمترجمة إلى اللغة العربية ، ثم إن الأستاذ قد عرض هذه المادة عرضاً حسناً وفى أسلوب واضح لا تكلف فيه .

بقيت مآخذ يسيرة على الكتاب أرى من واجبي التنبيه عليها :

أولاً : أن الموضوع كما قدمت دقيق وشائك ؛ لذلك أرى أن يستبعد المؤلف من كتابه الصفات النابية التى وصف بها بعض من ادعوا « المهدية » من جهل أو شعوذة أو تخريف أو نحو ذلك ، حتى لا يؤلم شعور أقوام يعتقدون المهدية .

ثانياً : أن المؤلف فرق بين كلامه على المهدية والشيعية وكلامه على المهدية والقرامطة ، والواقع أن القرامطة شعبة من الشيعة الإسماعيلية والباطنية ، وأرى أنه يحسن أن يجمع الموضوعين فى فصل واحد .

ثالثاً : يقول المؤلف (صفحة ٢٨^(١)) إن ابن السوداء هو الذى نقل هذه النظرية (نظرية الجزء الإلهى) من المسيحية الفلسفة وزعمها فى على وذريته ، وسبق أن ذكر (فى صفحة ١٤^(٢)) أن ابن السوداء كان يهودياً ثم دخل فى الإسلام ونقل إليه عقيدة « الرجعة » من اليهودية !

(١) هذا الرقم للخطوط ويقابله فى المطبوع ص ٧٩ .

(٢) يقابل هذا الرقم فى المطبوع ص ٣٨ ، وليس هنالك تناقض ؛ إذ هما نظريتان نقلهما ابن السوداء ، إحداها وهى نظرية « الجزء الإلهى » نقلها عن المسيحية للفلسفة ، والأخرى وهى « الرجعة » نقلها عن اليهودية .


(ى)

رابعاً : فى صفحة (٣٧)^(١) : وعندئذ أخذ ابن الزبير يفتك بآل على ، والثابت أن ابن الزبير لم يفتك بآل على وإنما اضطهدهم وشتان بين الأمرين .
خامساً : فى صفحة (٣٩)^(٢) : تغلب الخنثار بمكره وسياسته المكيافيلية على بساطة ابن الحنفية ، والأولى أن يقال : تغلب بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية .
وسواء أخذ المؤلف بهذه الملاحظات أم لم يأخذ فإنى أرى أن كتاب « المهديّة فى الإسلام » كتاب قيم وأنصح أن تنشره اللجنة^(٣) ضمن ما ينشر .

عبد الحميد العبادى

الإسكندرية فى ١٩٤٨/٤/٥

لقد صرّحت لى لؤى ربيع مدير مكتبة صاحب الفرة عبد الحميد العبادى ملك
محمد العبادى
١٩٤٩/٤/٢٩



-
- (١) يقابلها فى المطبوع ص ٩٧ ، ومع أن كلمة « يفتك » قد تستعمل فى معانى الاضطهاد على الجواز ، فقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الجليل .
(٢) يقابلها فى المطبوع ص ١٠٢ ، وقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الكبير
(٣) يقصد الأستاذ العبادى باللجنة هنا « لجنة التأليف والترجمة والنشر » .

تصدير

بفهم الدكتور عبد الحليم النجار

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، وكما تفتحت عين الإنسان — بادی*
ذی بدء — على النور الحسى فى مشرق الأرض قبل مغربها ، كذلك شاءت
حكمة الله أن تفتح القلوب والعقول على النور المعنوى بهذا الترتيب ، وكذلك كان
المشرق مهبط الحكمة الإلهية ، والهداية السماوية ، والدين الذى ينفع الناس ويمكث
فى الأرض .

و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، فهو — سبحانه — يصطفى من الناس
رسلاً يصنعهم على عينه ، ويؤدبهم فيحسن تأديبهم ، ويؤتيهم الحكمة وفصل
الخطاب ، ليكونوا جديرين بحمل ما ينوط بهم من أمانة ، وتبلغ ما يبعثهم به
من رسالة : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير » .

وهكذا شهد الشرق منذ نشأة الحياة وفجر التاريخ مثلاً عليا للإنسانية ؛
ينتهى إليها جماع الحكمة وصواب الكلمة ، وتعلو بها راية الحق ، وتتم مكارم
الأخلاق ، يبعثها الله نوراً للناس تنصالح به أمور دينهم ودنياهم ، وتشرق نفوسهم
وعقولهم ، وتحطو الإنسانية على هديه خطواتها المسددة فى مراحل الحضارة والعلم ،
إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

كانت هذه المثل العليا للإنسانية كالماء الزلال يتدفق من الفيض الإلهي
فلا يصيب أرضاً خصبة صالحة إلا أحيأها ، وطهرها وزكأها ، وبذلها من وحشة
الجذب والإفقار ، نضرة الخضرة ونعشة الازدهار .

وكانت هذه المثل العليا — وهي في الأرض كالنجوم والكواكب في السماء — معقد آمال الناس ، ومناط رجائهم للخلاص من شر النفوس الأمارة بالسوء ، وظالم الإنسان لأخيه الإنسان ، ولإشاعة العدل والمساواة ، ونشر المحبة والسلام في العالمين .

فلا جرم كانت تترك أبعد الآثار في نفوس الناس ، وتحمل أسمى مكانة من قلوبهم وأفئدتهم ؛ وسرعان ما تصير قيد الأبصار ، ومنتهى ما تبلغه التصورات والأفكار ، فتصبح صورها الحسية أو المعنوية خالدة في النفوس يتوارثها جيل عن جيل ، حتى لسكان الفتنة بحبها ، والتعلق بها ، كانت تسمى الأبصار والبصائر دائماً عن مطلع النور الجديد ، ومبعث النبي العتيق :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ومن تمكن هذا الحب ، وتغلب ذلك الهوى ، حاول الناس في كل عصر مكابرة الواقع ، ومغالبة الحق ، ومدافعة اليقين ، فأبوا أن يقبلوا على مثلهم العليا ما يجرى على سائر الناس من أطوار الحياة والمات بل أخذت فلسفتهم تغتنق في التماس الخلود الحقيقي لها أولتعاليمها على وجوه شتى : فمن قائل بالرجعة ، ومن ذاهب إلى الاختفاء ، ومن أخذ أخيراً بالحيلة في أمره مكثف بتقرير أن وفاة الجسد لن تحول دون بعث شخص آخر ، موافق في الاسم والرسم ، يحى الفكرة ، ويهdy الأمة ، ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

بيد أن فكرة المهدي قد احتلت عند المسلمين محلاً مكيناً ؛ وحسبك أن علماء الحديث يرون أنها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وإن ثبتت برواية الأحاد فحسب ، وتجردت منها أصبح كتب الرواية .

وليس المجال هنا مجال القبول أو الإنكار ، وإن حصل التشكك في كثير من الأخبار والآثار ، ولكن الأمر لا يعدو الانطلاق في مسارح الفكر ،

والاستغلال بحرية العقل ، وتسلط الأضواء من كل جانب على هذا الموضوع لبعثه من جميع أقطاره ، ليؤمن من آمن عن يئنه ، وينكر من أنكر عن يئنه .

وقد اضطلع الأستاذ سعد محمد حسن بالبحث في جملة نواح من هذا الموضوع فوفر على الناس كثيراً من عناء الدرس والتنقيب ، والاستدلال والاستنتاج . وليس ذلك على الأستاذ بجديد ؛ فقد عرفته عندما اشتد ساعده ، وامتد باعه ، وورسخت قدمه ، معنياً بتتبع الزوايا الغامضة من مسارب الفكر ، ومسالك النظر ، يطلق عليها أنواراً مركزة من التفسير والتحليل تهتك عنها الحجب ، وتسكشف القناع ، فتسفر كالصبح لدى عيني .

فعل ذلك من قبل في بحثه القيم عن : « ذى النون المصرى » ، وهو ذا الآن يقدم إلى القراء دراسته الممتعة للهدى والمهيدة ، فله جزاء العاملين المخلصين ، وأجر العلماء المجتهدين ، وإن كنّا نخالفه في بعض ما وصل إليه من نتائج ، بعد الإفادة من المراجع القيمة التي لم يأل جهداً في الاستناد إليها .

دكتور عبد الحليم النجار

الأستاذ بكلية الآداب — جامعة القاهرة

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم منك العون وعليك التكلان وبك وحدك نعتصم ، ولا علم لنا إلا ما علمتنا
« وقل رب زدني علماً » وبعد .

فهذه دراسة شاملة للتاريخ العقدي والسياسي والأدبي لمعتقد « المهدية »
في الإسلام أقدمها للقراء بعد أن شغلت نفسي بها سنوات متمطيات بأصلاها
من أزهر أيام العمر وأنضرها ، عاملاً — ما وسعني الجهد والقوة — على أن تكون
دراسة علمية دقيقة ، نشداناً منا للحق وحده وخدمة للمكتبة العربية .

ولا يسعني في نهاية المطاف — وعند الصباح بحمد القوم السرى — إلا أن أقدم
أعزى الشكر وأصدقه للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي على حسن رأيه في كتابنا ،
وللأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار لتفضله بكتابة « التصدير » ، ولا يفوتني أن أوجه
أجزل الشكر لجامعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، وعلى رأسها الدكتور البهانة
محمد يوسف موسى فعن طريقهم عرف الكتاب سبيله إلى النور ، كما لا يفوتني أيضاً
أن أقدم الشكر الخالص من الأعماق لرجال « مطابع دار الكتاب العربي » وعلى
رأسهم مديرها وصاحبها الشاب المؤمن الحاج محمد حلمي المنياوي ، والله نسأل أن
يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه .

سعد محمد حمس

من علماء الأزهر ومدرس بوزارة المعارف

القاهرة في { المحرم ١٣٧٣
سبتمبر ١٩٥٣ }

تصويب أخطاء الطبع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	ح رقم ١	ص ١٥٠٢	ص ٢١٥
٧٧	ح رقم ٤	ابن حزم ح ٤	ابن حزم ح ٤ ص ١٨٤ ، والفرق بين الفرق ص ١٤٦ ، والتبصير في الدين للأسفراييني ص ٧٣
٧٨	٢	لم تحظ	لم تحظ
٩٨	١	وكهنا	وهكذا
١١٤	٣	نافع بن عمر	نافع مولى ابن عمر
١٣٦	١٢	إنساناً	إنساناً
١٦٢	الآخر	فاض	فاضل
١٧٥	ح رقم ١	لعقيدة أو	العقيدة و
١٧٩	٦	(السفيازي)	تشطب
٢٠٠	١٥	ولد ، أسماء	حفيد ، اسمه
٢٠١	٤	آمنة	زينب
٢١١	١٣	مهديتك	مهديتي
٢٤٧	١٠	بهاء الدين	بهاء الله
٢٤٧	١١	أزل	أزل
٢٥٢	٢٢	«	،
٢٦٥	٢٦	Word	World
٢٦٩	٣	٥١٢٣٢	٥١٢٣٧
٢٧٣	٦	المجتمع	الجميع
٣٠١	١٩ عمود ٢	الإثنا عشرية	الإثني عشرية

الفصل الأول

الإمامة في الإسلام

لابد لنا قبل الدخول في موضوع البحث ، أن نلمّ الإمامة وجيزة بالإمامة الإسلامية؛ لما لها من وشيخ الصلة ولحمة القرابة القريبة بموضوعنا ، ولما لها أيضاً من عظيم الأثر فيما نشب بين أهل السنة والشيعة من خلاف ، حتى لتكاد تصبغ معتقدات كل من الطائفتين بصبغة خاصة ولون خاص .

لما كان « القرآن » الكريم — وهو دائماً المصدر الوثيق المأم للشيعة الإسلامية — لا يحدّثنا بشيء عن هذا الموضوع الخطير ، ولما كان الرسول صلوات الله عليه قد لحق بالرفيق الأعلى دون أن يدلى فيه برأى صريح ينقله إلينا مصدر موثوق به ، فقد تشعبت الآراء وتباينت الأهواء وتحركت المصيبة القبلية — التي لم يفلح الإسلام قط في القضاء عليها وإنما فقط هذبها أو كبّتها إلى حين — فظهرت كأشد ما تكون قوة وعنفاً تحت سقيفة بني ساعدة ، ورسول الله مسجى في برده لم يدفن بعد !

وقد تمخض مؤتمر السقيفة — بعد صراع في الرأي وجدال في القول ولجاج — عن إمامة أبي بكر ، التي جاءت على حد تعبير ابن الخطّاب « فلتة »^(١) ، والتي لم

(١) قال عمر بن الخطّاب « فلا يفرن » امرء أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، غير أن الله وفي شرها « الطبري : ج ٣ ص ٢٠٠ ط الحسينية ، وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٥ ط السعادة ، وفي ابن الأثير « كانت فلتة » أنظر الكامل : ج ٢ ص ١٢٤ ط الحلي ، وفي شرح التهج « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وفي الله شرها ، فن عاد إلى مثلها فأتواوه » مجلد ١ ص ١٢٣ وما بعدها ط القاهرة ، ومع ذلك فإن أبي الحديد يروي لنا أن أول من وصف إمامة أبي بكر بهذا الوصف « فلتة » هو أبو بكر نفسه ؛ ففي شرح التهج : « قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر إليهم ، وقال إن بيعتي كانت فلتة وفي الله شرها ، وخشيت الفتنة ، وأيم الله ما حرصت عليها وما قط ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط ، ولقد قلت أمرأ أعظبا ما لي به طائفة ولا يدان ، ولقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني » ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ١٩ .

ترض بعض الأنصار ؛ فقد امتنع سعد بن عبادَةَ عن مبايعة أبي بكر حتى مات^(١) ، كما لم ترض بني أمية بن عبد شمس . أما بنو هاشم فقد سخطوا عليها كأشد ما يكون السخط ، وعدوها اغتصاباً لحقوقهم وإهداراً لوجودهم ، فقد كانوا لقرابتهم من الرسول يتوقون إلى هذا الأمر من بعده .

وأكبر الظن أن علياً وحده هو الذي كان يطمع في هذا الأمر إلى حد كبير ، ولقد نغم على مؤتمر السقيفة الذي أضاعه منه ، فتمثل بقول الشاعر :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتروا ويطفون لما غال زيداً غوائله
وفي هذا الصدد أنشد أبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي (المتوفى عام ٤١٨هـ) قصيدة طويلة ، ملأها بالسخط والإنكار على المهاجرين الذين أبدوا الأنصار عن الخلافة أولاً ثم أبدوا علياً عنها ثانياً ، وفيها يقول متحيزاً للأنصار :

نحن الذين بنا استجار^(٢) فلم يضع فينا وأصبح في أعز جوار
بسيوفنا أمست « سخيقة^(٣) » برءكاً في بدرها ككنحائر الجزار
ولنحن في أحسد سمحنا دونه بنفوسنا للموت خوف العار
فنجبا بمهجتة فلولا ذبنا عنه تنشب في مخالب ضار

(١) قال ابن أبي الحديد « وحل سعد بن عبادَةَ وهو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة في ذلك اليوم وفيها بعده ، وأراد عمر أن يكرهه عليها ، فأشير عليه ألا يفعل ، وأنه لا يبايع حتى يُقتل ، وأنه لا يُقتل حتى يُقتل أهله ، ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج ، وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها وفسد الأمر ، فتركوه ، فكان لا يصلح بصلاتهم ، ولا يجمع بمجامعتهم ، ولا يقضى بقضائهم ، ولو وجد أعواناً لضاربهم ، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ، ثم لقي عمر في خلواته وهو على فرس وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات ياسعد ، فقال سعد : هيهات يا عمر ، فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه ، قال : نعم أنا ذاك ، ثم قال لعمر : والله ما جاورني أحد هو أبغض إليّ جواراً منك ، قال عمر : فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه ، فقال سعد : إنني لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحب إليّ جواراً منك ومن أصحابك ، فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلاً ، حتى خرج إلى الشام ، فأتى بحوران ولم يبايع لأحد ، لا لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما ، شرح النهج مجلد ٢ ص ٤ . (٢) يقصد النبي .

(٣) السخيقة : طعام كانت تعله قريش من دقيق وهو الخزيرة فكانت تسب به ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

زعمت سخيقة أن تستلب ربهما وليقابن مغالب الفلاب
أنظر : المقفد القزيلي لابن عبد ربه ج ٢ ص ٦٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

إلى أن يقول :

ولنا يوم حنين آثار متى تذكر فهنّ كرائم الآثار
لما تصدع جمعه ففدا بنا مستصرخاً بمقيرة وجُوار
عظفت عليه كماتنا فتحصنت منا جموع هوازن بفرار
أفحن أولى بالخلافة بعده أم عبد تيم حاملو الأوزار ؟
ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا زُفت عروس الملك غير نوار
لكننا حسد النفوس وشحها وتذكرُ الأذحال والأوتار
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو حسن لقلت لؤمت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذى غلظة جاف ومن ذى لؤة خوَّار
ثم ارتدى المحروم فضل رداها فقلت تلك الظبا ورقى أحيج النار
فتأكلت تلك الجذى وتلمظت لمشى بهم سمحى بغير مِهار^(١)
تالله لو ألقوا إليه زمامها بادى بدا سكنت بدار قرار
ولو أنها حلت بساحة مجده من حظه كاسٍ وهذا عارى
هو كالنبي فضيلة لكنّ ذا ألا بمسعدة من الأقدار
والفضل ليس بنافع أربابه هزواً وبدل ربحها بخسار
ثم امتطأها عبد شمس فاغتدت هزواً وبدل ربحها بخسار
وتنقلت في عصابة أموية ليسوا بأطهار ولا أبرار
ما بين مأفون إلى متزندق ومداهن ومضاعف وحار^(٢)

(١) قال صاحب القاموس : « المهار ككتاب : العود يجعل في أنف البخى » والمعنى أن إمامة على لو ألقى الناس زمامها إليه لسات بهم آمين مطبئين في سهولة ويسر .

(٢) أورد ابن أبي الحديد هذه القصيدة في شرحه للتهج وختمها بقوله : « فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة ، التقطناها وحذفنا الفاحش ، وفي المتن المذكور أيضاً ما لا يجوز ، وهو قوله نحن الذين بنا استجار — وقوله فتجا بمجته البيت ، وقوله عن أبي بكر : عبد تيم ، وقوله لولا على لقلت في الأربعة لأنهم أستار لؤم ، وذكره الثلاثة بما ذكرهم ولتبيهم إليه ، وقوله إن عليا كالنبي في الفضيلة ، وقوله إن النبوة حظ أعطيه وحرمة على عليه السلام » شرح التهج جلد ٢ ص ٦ و ٧ .

وفي ذلك يقول أيضاً الشاعر المشيع مهيار الديلمي (المتوفى عام ٤٣٨ هـ) :

أَللهَ يَا قَوْمُ يَقْضِي « النِّبْيُ » مُطَاعًا فَيُفْضَى وَمَا غُسْلًا ؟ !
ويجتَمعون على زعمهم وينيبك « سعدٌ » بما أشكلا
فَيُقْبَلُ إجماعهم أن يبيد ت مفضولهم يقدم الأفضلا
وأن يُنزع الأمر من أهله لأن « عليّاً » له أهلا
وساروا يحطون في آله بظلمهم ككلا ككلا
تدب عقارب من كيدهم فتفنيهم أولاً أولاً
أضاليل ساقط مصاب « الحسين » وما قبل ذاك وما قد تلا
« أمية » لابسة عارها وإن خفي الثأر أو خُصلا
فيوم السقيفة يا ابن النب ي طرّق يومك في « كربلا »
وغضبُ أبيك على حقه وأمسك حسن أن نُقتلا
ثم توجه إلى الرسول بقوله :

قضيتَ فأرضنا ما قضيت وشرعتَ قد تم واستكلا
فراهم ابن عمك فيما سنفد ت أن يتقبل أو يمتسلا
لخائنك فيه من العادريه ن من غير الحق أو بدلا
إلى أن تحلّت بها « تيمها » وأضحت بنو هاشم عطلا
ولما سرى أمر « تيم » أطا ل بيت « عدى » لها الأحبلا
ومدت أمية أغناها وقد هُوّن الخطب واستسلا^(١)

ومهما يكن من شيء ، فقد نف على مؤتمر السقيفة ، فامتنع عن مبايعة أبي بكر ،
تؤيده في ذلك وتشد أزره زوجه فاطمة ابنة الرسول ، ونفر من بني هاشم ، وكثير
من صحابة النبي ، منهم الزبير وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد

(١) ديوان مهيار طبع دار الكتب المصرية - ٣ ص ٤٨ وما بعدها .

ابن عمرو ، و سلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، وأبو سفيان ، وقد قال عتبة بن أبي لهب في ذلك :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم عنهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأخر الناس عهداً بالنبى ومن جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يسترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن^(١)

القراءة عند الشيعة :

ولمسألة « القراءة » عند الشيعة أهمية كبرى ، ليس فقط في إثبات حقهم في « الإمامة » بل ولفرض موالاتهم على الناس كافة ، متلمسين بذور ذلك فيما حاولوا — جاهدين — من تفسير قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » — زاعمين — وهم في زعمهم واهمون — أن القرآن يفترض على جميع المسلمين مودة قربي الرسول عليه السلام ، وهم هنا على وفاطمة والحسن والحسين ثم ذرارهم من بعدهم . وفي هذا الصدد يقول صاحب « الهاشميات » شاعر الشيعة الكهيت بن زيد :
وجدنا لكم في « آل حاميم » آية تأولها منا تقى ومُعرب^(٢)
والحق أن هذا التفسير للآية الكريمة قد أملاه الهوى والفرض ، ولم يجد سنداً من التاريخ وصحاح الأحاديث ، كما أنه بعيد كل البعد عن مادة اللغة وروح الإسلام ، كما أوضح ذلك بحق العلامة محمد إسماعيل النشاشيبي^(٣) .

فالآية من سورة « الشورى » وهى وشقيقتها « آل حاميم » مكيات باتفاق ، فكيف يقصد بها على وفاطمة والحسن والحسين ، مع أن علياً لم يتزوج بفاطمة

(١) أنظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء - ج ١ ص ١٥٦ ط الحسينية بالقاهرة وانظر أيضاً تاريخ ابن الوردي - ج ١ ص ١٤١ ط المطبعة الوهبة بالقاهرة .

(٢) الهاشميات طبع الرانسي ص ٤٠ ، وتقى أى : متكئ متستر ، ومُعرب أى : جاهر مفصح صاعد .

(٣) الإسلام الصحيح - ج ١ ص ٥٩ وما بعدها ط القدس .

إلا بالمدينة بعد غزوة بدر وقد وُلد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة والحسين في الرابعة ١٩

فالآية قد نزلت قبل وجود هذه القرابة ، فكيف يسألها الرسول — حاشاه — أجراً لدعوته ١٩

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما « عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاوساً عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبيرة : قربي آل محمد . فقال ابن عباس : عجبت ، إن النبي لم يكن بطن من قريش إلا كان له منهم قرابة فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » .

وفي مسند أحمد « سمعت طاوساً يقول : سأل ابن عباس المعنى عن قوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبيرة : قرابة محمد . قال ابن عباس : عجبت ، إن رسول الله لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم » .

وفي تيسير الوصول وسنن النسائي وغيرهما مثل ذلك ، ويقول الطبري في تفسيره : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال : معناه قل لا أسألكم عليه أجراً — يا معشر قريش — إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم . وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول (في) في قوله (إلا المودة في القربى) ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال : إلا أن تودوا قرابتي أو تقرّبوا إلى الله ، لم يكن لدخول (في) في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ، ولسكان التنزيل (إلا مودة القربى) إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله » (١) .

على أن مسألة « القرابة » وحدها ليست مبرراً كافياً لمزاعم الشيعة عند غيرهم

(١) تفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٧ ط بولاق .

من الطوائف الإسلامية ، وقد حدثنا ابن قتيبة أن المأمون قال يوماً لعليّ بن موسى الرضى : « بم تدعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة علىّ من النبي وبقرابة فاطمة . فقال المأمون : إن لم يكن ها هنا شيء إلا القرابة ففيه من هو أقرب إليه من علىّ ومن هو في القرابة مثله ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعليّ في هذا الأمر حق ومهاجرتان ، وإذا كان الأمر على ذلك فإن عليّاً قد ابتزها جميعاً ومهاجرتان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحرار عليّ بن موسى نطقاً^(١) » .

ومما يمكن من شيء فقد أغفل مؤتمر السقيفة هذه القرابة ، وأسقطها من حسابها ، ولم يثرها أحد من المؤتمرين أنصاراً كانوا أم مهاجرين ، وكانت فرصة لأبي سفيان فرغم عقيدته منادياً : « أين الأذلان عليّ والعباس^(٢) ؟

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ وما بعدها ط الدار .

(٢) حدثنا الطبري قال : « قال أبو سفيان لعل : ما يال هذا الأمر في أقلّ حى من قريش ؟ والله لئن شئت لأملأها عليه خيلاً ورجلاً ، قال فقال علىّ يا أبا سفيان : طال ما عادت الإسلام وأهلها فلم تقصره بذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً » .
وفي رواية أخرى يقول ابن جرير : « لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله أنى لأرى محاجة لا يطفئها إلا دم آل عبدمناف ، فيما أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان عليّ والعباس ؟ وقال : أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك ، فأبى على عليه ، فجعل يتمثل بشعر المناس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحمى والوند
هكذا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يسكن له أحد
قال فزجره على ، وقال : لأنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، لأنك والله طال ما نبئت الإسلام
شراً ، لا حاجة لنا في نصيحتك الطبري : ج ٣ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ط الحسينية .
وفي شرح التهج :

« لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه ، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه بنى علىّ أبي طالب عليه السلام ، فوقف وأشد :

بى هائم لا تطعموا الناس فيسكن
ولا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الأمر إلا فيكم واليسكن
وليس لها إلا أبو حسن على
أبا حسن فاشدد بها كفى حازم
فأنك بالأمر الذى يرتجى على
وأى امرئى لم يرى قصياً ورأيها
منيع الحمى والناس من غالب قصى
فقال على لأبي سفيان : إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه ، وقد عهد لى رسول الله صلى الله عليه =

وإمامة أبي بكر ، وبامتناع سعد بن عباد عن مبايعته حتى قضى ، وبتلكؤ
على وشيعته ، بذكيه تعصب فاطمة^(١) وخصوصتها لأبي بكر ، ابتداء الماسون تبتان
آراؤهم في ماهية هذا المنصب ، وفي صحة إمامة أبي بكر أو بطلانها ، ثم في أحقية عمر
وعثمان في الخلافة ، وفي موقف عليّ وزوجه وأنصاره . وقد بدأ هذا الخلاف ضعيفاً
ثم أخذ سبيله في القوة والعنف مسلحاً بالسيف ، كما بدأ دينياً ، ثم تطور سريعاً إلى
أن صار سياسياً عنيفاً ، وقد كان أول نتاجه أن أودى بحياة الخليفة السنيّ الطالع
عثمان ، الذي كان قتله فصلاً من فصول هذا الخلاف المتسق الحلقات ، وقد زاده
سعيماً واشتعالاً ما بثّه ابن السوداء عبد الله بن سبأ في نفوس الجماهير ، فصنّغ تاريخ
الخلافة الإسلامية بلون أحمر بما أشاع على جوانبها من دماء .

عليه وآله عهداً فأنا عليه ، فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله ، فقال
يا أبا الفضل : أنت لما أهل وأحقّ بميراث ابن أخيك ، أمدد يدك لأبيك فلا يختلف عليك الناس
بعد بيعتي إليك ، فضحك العباس وقال : يا أبا سفيان ، يدفعها عليّ ويطلبها العباس ، فرجع
أبو سفيان خائباً « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٧ .

(١) في شرح النهج : « أن علياً حل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم
النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له ، فسكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا
الرجل ، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ، ما عدلنا به ، فقال عليّ : أكنت أترك رسول الله
ميتاً في بيته لا أجهزه ، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانهم ؟! وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن
إلا ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما الله حسبيهم عليه « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٥ .
وفي الطبري : « إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وما حينئذ يطلبان أرضه من ذلك وسهمه من خير . فقال لهما أبو بكر : أما إني سمعت
رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإني والله
لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته ، قال فهجرت فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ،
فدفنوها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر ، وكان لعل وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة ،
انصرفت وجوه الناس عن عليّ . فسكنت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم توفيت ، قال معمر فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه علي ستة أشهر ؟ قال لا ، ولا أحد من بني
هاشم حتى يبايعه علي ، فلما رأى على انصراف وجوه الناس عنه ، ضرع إلى مصالحة أبي بكر ،
الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ ط الحسينية ، وانظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ١ ص ١٥٦
ط الحسينية بالقاهرة ، وكذلك « تنمة المختصر » أو تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٤١ :
ط الوهنية بالقاهرة .

الإمامة عند الفرق الإسلامية

يخلع السادة الفقهاء لقب « الإمام » على رأس الجماعة الإسلامية ويسمى عادة « بالخليفة » ، وهو زعيم ديني وديني ، ويطلق على هذا المنصب اسم « الإمامة الكبرى » تمييزاً له عن « الإمامة الصغرى » وهي وظيفة من يؤم الناس في الصلاة . وسنعرض هنا لهذا المنصب وطريق ثبوته وشروط القائم به من وجهة نظر أهل السنة والخوارج والشيعة .

الإمامة عند أهل السنة :

يحدثنا الإيجي -- عضد الدين صاحب المواقف^(١) -- أن الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد ، بل هي عند أهل السنة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين ، وهي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص ، وهي واجبة سماعاً لتواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول ، بعد وفاة الرسول على امتناع خلو الوقت عن إمام ، حتى قال أبو بكر في خطبته : « ألا إن محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به » . فبادر السكك إلى قبوله ، ولما في الإمامة من دفع ضرر مظنون ، وهو واجب إجماعاً ؛ قال الإيجي :

« بيانه أننا نعلم علماء يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات ، وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعات ، إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشاً ومعاداً ؛ وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع ، يرجعون إليه فيما بين لهم ، فإنهم -- مع اختلاف الأهواء ، وتشتت الآراء وما بينهم من الشحناء -- قلما ينقاد بعضهم لبعض ، فيفيض ذلك إلى التنازع

(١) المواقف ص ٣٩٥ وما بعدها مطبعة العلوم عام ١٣٥٧ هـ .

والتواب ، وربما أدى إلى هلاكهم جميعاً ، ويشهد له التجربة والفتن القائمة عند موت الولاة إلى نصب آخر^(١) .

وتثبت الإمامة عند أهل السنة بالنص من الإمام السابق ، وببيعة أهل الحل والعقد . ولا بد في القائم بها من شروط تؤهله لهذا المنصب فاشتراطوا أن يكون^(٢) :
١ - عالماً بأحكام الله منفذاً لها ، مجتهداً في علمه ، لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال .

٢ - عادلاً ؛ لأن الإمامة منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي اشترطت فيها العدالة ، فكانت العدالة بذلك أولى باشتراطها في الإمام .

٣ - كفئاً ؛ أى جريئاً في إقامة الحدود واقتحام الحدود ، والقوة على معاناة السياسة ؛ لكي يصح له بذلك ما جُمِلَ إليه من حماية الدين ، وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

٤ - سويّاً في خلقه : سليم الخواص والأعضاء من النقص والتعطيل كالجنون والعمى والصمم والخرس وفقدان كلتا يديه أو قدميه ، فلا بد للإمام من السلامة منها جميعاً لتأثير ذلك في تمام عمله . أما إذا كان النقص يشين منظره فقط كفقد إحدى عينيه أو إحدى يديه أو قدميه ، فشرط السلامة منه شرط كمال .

يقول صلاح الدين الصفدى :

« الإمام لا يجوز أن يكون أعمى ؛ قال الرافعى رحمه الله تعالى : وينعزل بالعمى والصمم والخرس ، ولا ينعزل بتمتة اللسان ، ولا ثقل السمع .

» وقال الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى في شروط الإمامة : وهى كونه مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً عالماً مجتهداً شجاعاً ذا رأى وكفاية سمياً بصيراً ناطقاً قرشياً .

» وقال ، قال الماوردى : عشا العين لا يمنع انعقاد الإمامة ؛ لأنه مرض في زمن

(١) الموافق س ٣٩٦ .

(٢) أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٩٤ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

الاستراحة ويُرجى زواله ، وضعف البصر إن كان يمنع معرفة الأشخاص ، مَنَعَ انعقاد الإمامة واستدامتها وإلا فلا .

« قلت [الصفدى] : ولهذا كان بنو بويه وغيرهم إذا خلعوا الخليفة سملوه حتى لا يعود تُرجى له الخلافة ، ولا انعقاد الإمامة ، كما فعل بأمير المؤمنين المتقى إبراهيم بن جعفر ، وبأمير المؤمنين المستكفي بالله عبد الله بن علي ، وبأمير المؤمنين الطائع عبد الكريم بن الفضل ، وبأمير المؤمنين القاهر محمد بن أحمد ، وكما فعل الإمام الناصر بابنه الإمام الظاهر محمد بن أحمد ، وحاول من فساد بصره ولم يقدره الله تعالى ^(١) » .

وهناك شرط خامس تنوزع فيه ، وهو كون الإمام « قرشياً » فقال به بعض العلماء لما ورد عن الرسول أنه قال : « الأئمة من قریش » ، واحتجاج أبي بكر بذلك على الأنصار وحجّهم ، وأنكره آخرون كالقاضي أبي بكر الباقلاني ^(٢) .

والمؤرخ الاجتماعي الكبير العلامة ابن خلدون حديث في هذا الصدد لم يسبق إليه ؛ إذ يقول :

« ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ، ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور ، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا ، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت ، فلا بد إذاً من المصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة من مشروعيتهما ، وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبة التي تكون بها الحماية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب ، فتسكن إليه اللمة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ؛ وذلك أن قریشاً كانوا أئف مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبة والشرف ، فكان

(١) نسكت المبيان في نسكت المبيان ص ٥٦ ط المطبعة الجمالية عام ١٩١١ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ ط بولاق .

سائر العرب يعترف لهم بذلك ، ويستكينون لفلبهم ، فلو جُعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردم عن الخلاف ولا يحملهم على السكره ، فتفتقر الجماعة وتختلف الكلمة ، والشارع يحذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم ، لتحصل اللحمة والعصبة وتحسن الحماية ، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش ؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراود منهم ، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة ؛ لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها ، فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب ، وهم أهل العصبة القوية ، ليسكون أبلغ في انتظام الملة وانفاق الكلمة ، وإذا انتظمت كلمتهم ، انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع ، فأذن لهم سائر العرب ، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ، ووطئت جنودهم فأصية البلاد»^(١)

وطاعة الإمام عند أهل السنة واجبة على الرعية لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، بيد أنها مقيدة بطاعة الإمام نفسه لله ، فإن حاد قومٌ فإن تمادى عُزل ، وقد قال الإمام الأول أبو بكر في خطبته الأولى التي تعد دستوراً لسياسته :

« أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريج عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا بدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »^(٢) .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ط الحسينية .

الإمامة عند الخوارج :

هى عندهم صالحة لأى إنسان يُحسن القيام بها ، عالمًا بالكتاب والسنة منفذًا لأحكامهما ، وإن لم يكن على النسب ، سواء فى ذلك القرشى والعجمى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و « كلكم من آدم وآدم من تراب » ، « ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، و « اسمعوا وأطيعوا ولو وُلى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » ، و « سلمان منا أهل البيت » ، وقد قال عمر بن الخطاب فى شكائته التى مات فيها : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيًّا استخلفته »^(١).

لهذا كله ولتلك الروح الديمقراطية التى هى من وحي الإسلام الحق ، بايعت الخوارج أناسًا ليسوا من قریش ، واعتبروهم أئمة كنفاع بن الأزرق وقطرئ بن الفجاءة وغيرهما^(٢).

أما « النجدات »^(٣) منهم فلم تعترف بالإمامة أصلاً ، ورأت أن الأمة ليست فى حاجة إلى إمام ؛ لأن نصبه يثير الفتنة ؛ فالأهواء مختلفة وقد يدعى كل قوم إمارة شخص وصلاحه لها دون الآخر ، فيقع التشاجر والتناجز ، والتجربة شاهدة بذلك ، وعلى الناس أن تقيم كتاب الله فيما بينهم وهو حسبهم ، قال الشهرستاني : « وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ، وإنما عليهم أن يتفاصقوا فيما بينهم فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز »^(٤).

الإمامة عند الشيعة :

رأينا من هذا العرض أن « الإمامة » عند أهل السنة ليست من أصول الدين ، وهى عند الخوارج ليست بذات خطر ، أما فى الإسلام الشيعى فهى كل شئ ،

(١) أنظر الطبرى ٥ ص ٣٤ ، وابن الأثير ٣ ص ٢٥ .

(٢) أنظر أصول الدين لعبد القاهر البغدادى ١ ص ٢٧٥ ط استانبول .

(٣) النجدات إحدى فرق الخوارج وهى منسوبة إلى زعيمهم نجدة بن عامر .

(٤) اللؤلؤ والنجل ١ ص ١٦٧ ، ١٦٨ على هامش « الفصل » لابن حزم ط المطبعة الأدبية عام ١٣١٧ هـ .

وهي قطب الرحي في معتقداته ، مفلسفة كل التفلسف معقدة كل التعقيد ، ومع ذلك فهي تبيت العقل وتشل التفكير .

جاء في « النهج » : « لما سمع (أى على) قولهم (أى الخوارج) لا حكم إلا لله ، قال عليه السلام : كلمة حق يراد بها الباطل . نعم لا حكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله . وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الأجل ، ويجمع به النية ، ويُقاتل به العدو ، وتأمّن به السبل ، ويؤخذ للضعيف من القوى حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر » .

قال ابن الحديد — شارح النهج وهو من معتدلى الشيعة — « هذا نص صريح منه (أى من على) عليه السلام بأن الإمامة واجبة »^(١).

ويحدثنا المجلسي — العالم المشيع المتوفى عام ١٧٠٠ م — في كتابه « حياة القلوب » حديثاً عن الإمامة طريفاً حيث يقول :

« الإمام لغة : المتعدي به ، ومعناه في اصطلاح الفرقة الناجية في باب الصلاة غالباً من يؤمها ، أما في علم الكلام ، فالمراد بالإمام هو الشخص المعين من الله للخلافة ، ونباية حضرة صاحب الرسالة ، وقد يطلق في بعض الأحوال على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وتدل بعض الأخبار المتيسرة التي سنذكرها فيما بعد إن شاء الله ، أن مرتبة الإمامة أعلى حتى من مرتبة النبوة ؛ فإن الله تعالى بعد أن أعطى النبوة لإبراهيم خاطبه بقوله (إني جاعلك للناس إماماً)^(٢) ١١.... »

والمجلسي كمتشيع يوجب على الله نصب الإمام لحفظ الشريعة من التغير والتبديل والزيادة والنقصان ؛ فأيات القرآن مجملة ، وأكثر الأحكام غير معلوم من ظاهر القرآن ، لذلك وجب وجود مفسر من جانب الله لاستنباط الأحكام من الله فالإمامة لطف من الله ، والالطف واجب عليه ؛ لأنه لا يفعل إلا الأصلاح لعباده^(٣).

(١) شرح النهج مجلد ١ ص ٢٠٠ . ١٥

(٢) عقيدة الشيعة مؤلفه « دوايت دونلدسن » Doneldson ص ٣٠٤ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة . (٣) الشيعة في الأصول معتزلة وفي الفروع أحناف .

وهكذا نرى أن الإمامة عند الشيعة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتمين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، لا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم .

حدثنا الشيخ أبو جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكليني - المتوفى عام ٣٢٨هـ - في كتابه « الكافي » - بخارى الشيعة - نقلاً عن الإمام الرضى قال : « إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين ، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، إن الإمامة أسس الإسلام النامي وفرعه السامي ؛ بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير النعم والصداقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف . . . الخ^(١) » .

فالإمام في الإسلام الشيعي هو الرئيس الأوحد من الوجهتين الدينية والدنيوية ، وقد تلقى إمامته مباشرة من الله ، لا كذلك الذي يتقلد السلطة عن طريق اختيار المسلمين ، وبحق ما يقوله الأب لامنس Lammens من أن الخليفة عند السنة هو رئيس السلطة الزمنية فحسب ، فهو مجرد من كل سلطة تتعلق بالعقيدة ، وليس الخليفة سوى حامى الشريعة والذائد عن حياض الإسلام ، وهو لا يشبه الإمام عند الشيعة الذي هو حبرها الأكبر ومعلمها المعصوم ، وهو ليس خليفة محمد الزمى فحسب ، بل وارث مركزه وللخصوص عليه منه ومفسر وحيه ، وهو بكلمة مختصرة الزعيم الدينى والدنيوى ، ومركزه أسمى من مركز البابا فى الكنيسة الكاثوليكية ؛ إذ يمتاز فضلاً عن العصمة بالتنزيه ، والنصب من الله ، فهو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة الله .

وتؤثر الشيعة لقب « الإمام » على « الخليفة » لما يدل عليه الأول عندهم من معنى لا يلحظونه فى الثانى ، وأمامهم ليس من عامة الناس وأفنائهم ، بل هو عربى

(١) الكافي للكليني ١ ص ٩٦ و ٩٧ ط طهران عام ١٣٨١ هـ .

قرشي هاشمي ؛ جاء في (التهج) : « إن الأئمة من قریش غُرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم »^(١) ، ومن الشيعة من حجّر هذا الواسع بعض الشيء فقصرها على ولد فاطمة .

والإمام في الإسلام الشيعي يُوحى إليه كالأنبياء والرسل ؛ جاء في (السكافي) : « كتب الحسن بن العباس المعروف إلى الرضى : جُعِلْتُ فُداك ، أخبرني ما الفرق بين الرسول والإمام والنبي ؟ فسكتب أو قال : الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص »^(٢) . ومن هنا جاءت عصمة الإمام عند الشيعة ، فهو عندهم معصوم من الكبائر والصغائر بيد أن له التقية ، وقال غلاتهم : لا بد من ظهور المعجزة على يديه ليعلم صدقه في دعوى الإمامة ، ولا غرو فالإيمان به عندهم جزء من الإيمان ؛ جاء في (السكافي) :

« عن أبي حمزة قال لى أبو جعفر : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضالاً . قلت : جُعِلْتُ فُداك فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاته على والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يُعرف الله^(٣) » ، « ومن لا يعرف الله عز وجل ويعرف الإمام منذ أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله »^(٤) ، « وقال أبو جعفر : إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له ، أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق »^(٥) .

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٤٢١ .

(٢) السكافي ج ١ ص ٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥ .

(٥) السكافي ج ١ ص ٨٦ .

وإمام الشيعة الأول هو « على بن أبى طالب » قد اختاره النبي وعيّنه صراحة ليخلفه بعد موته ، وذلك بنص أعلن عند غدير « خُم » « من كنت مولاه فعليّ مولاه » قال السكيت في « هاشمياته ^(١) » :

ويوم الدّوح دوح غدير خُم أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلهما خطراً مبيعاً
فلم أبلغ بها لعناً ولكن أساء بذلك أولهم صنيعاً
تناسوا حقه ونفوا عليه بلا ترّة وكان لهم قريباً
وفي هذا الصدد أيضاً يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمي ^(٢) :

وقائل لى « عليّ » كان وارثه بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا ؟
فقلت كانت هنأت لست أذكرها يجزى بها الله أقواماً بما صنعوا
واسألهم يوم « خُم » بعد ما عقدوا له الولاية لمّ خاوا ولمّ خلعوا ؟
وخُم هذا موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة ؛ قال صاحب القاموس :
« وخُم بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف بمكة ، وغدير خُم موضع على
ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين » .

وقال الوزير أبو عبيد الله البكرى الأوبى في معجمه « معجم ما استعجم ^(٣) » :
« وغدير خُم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرّة عن الطريق ، وهذا الغدير
نصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ملتف ، وهى النقيضة التى تسمى « خُم » وبين
الغدير والعين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك نخل ابن المعلّى وغيره ،
وغدير خُم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعلّى : (من كنت مولاه فعليّ مولاه ،
اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) ، وذلك منصرفه من حجة الوداع ، ولذلك
قال بعض الشيعة :

(١) الهاشميات ص ٨١ و ص ٨٢ طبع الرافضى

(٢) ديوان مهيار ص ٢٥ ص ١٨٣ ط الدار .

(٣) معجم ما استعجم للبكرى ص ٢٥ ص ٣٦٨ ط القاهرة .

ويوماً بالغدير غدير خُمَّ أبان له الولاية لو أطيما
ويقول البكري أيضاً في موضع آخر من معجمه :
« قال السكوني : موضع الغدير ، غدير خُمَّ ، يقال له الحرَّار ، وقال النصيب :
وقالت بالغدير غدير خُمَّ أُخِيَّ إلى متى هذا الركوب ؟
ألم ترأني ما دمتَ فينا أنامُ ، ولا أنام إذا تغيب ؟
وقال الزبير : عن الأثرم عن أبي عبيدة ، خُمَّ : بئر احتفرها عبد شمس بالبطحاء
بعد بئر العجول ، قال : ومن حفائره أيضاً زُمَّ ، وفي ذلك يقول :
حَفَرْتُ حُكًّا وحَفَرْتُ زُمًّا حتى ترى المجد لنا قد تَمًّا
خُمَّ : عند ردم بني جُحج ، وزُمَّ : عند دار خديجة بنت خويلد » (١) .
والشيعة تزعم أن النبي ، عند عودته من مكة بعد حجة الوداع ، وقف في هذا
الموضع وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب ورشحه بعده للأمامة قائلاً : « عليّ مني
كهرون من موسى ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ،
واخذل من خذله » (٢) .
قال القلقشندي :

« قد ابتدعت الشيعة عيداً ثالثاً وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له ، مؤاخاة
النبي صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه يوم غدير خم . وهو غدير على ثلاثة أميال
عند الجحفة بِسْرَة (٣) الطريق ، نصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ، وهي الفيضة
التي تسمى حُكًّا ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رجع من حجة الوداع
نزل بالغدير ، وأخى بين الصحابة ، ولم يواخ بين عليّ وبين أحد منهم ، فرأى النبي
صلى الله عليه وسلم منه انكساراً ، فضمه إليه وقال : « أما ترضى أن تكون مني
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » والتفت إلى أصحابه وقال : « من

(١) معجم ما استعجم ٢ ص ٥١٠ .

(٢) أنوار الشهرستاني ١ ص ٢٢٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٣) في نهاية الأرب للزويري ١ ص ١٨٤ : « بسرة الطريق » .

كنت مولاة فعلى^(١) مولاة ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة ، والشيعية يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعق العبيد ، وذبح الأغنام ، وإلحاق الأجانب بالأهل في الإكرام ، والشعراء والمترسلون يهتثون الكبراء منهم بهذا العيد^(٢) .

وابن واضح اليقوتى ، وهو مؤرخ متشيع ، يحدثنا حديث النذير ؛ فيقول : « وخرج صلى الله عليه وسلم ليلاً منصرفاً إلى المدينة ، فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له (غدير خم) ؛ لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، وقام خطيباً وأخذ بيد على بن أبى طالب عليه السلام فقال : أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٣) . » الخ

ويقص علينا الملام محمد ناقر المجلسى — أحد أعلام الشيعة في القرن السابع عشر — خلاصة لهذا الحدث ذى الأهمية البالغة في الإسلام الشيعى ، فيقول : « لما انقضت مناسك الحج ، قفل النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً من مكة إلى المدينة ومعه على عليه السلام والمسلمون ، فلما بلغ غدير خم نزل هناك ، وهو مكان لم يكن نزول المسافرين متعارفاً فيه ، والسبب في نزوله هناك ، ما أنزل عليه من القرآن بلزوم نصب على عليه السلام خليفة من بعده .. ! ، وقد أنزل ذلك عليه عدة مرات .. ! ، غير أن الوقت لم يُعَيَّن لتبليغه ، وقد أصر ذلك خشية اعتراض الناس ، ولو جاوز ذلك المكان ، أى غدير خم ، لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة ناحية ، فأمر محمد صلى الله عليه وسلم الناس بالاجتماع ليقول لعلى عليه السلام ما يجب أن يبلغهم جميعاً ، وقد أنزل الله عليه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن

(١) أنظر صبح الأعشى ٢ ص ٤٠٧ ط الدار .

(٢) تاريخ اليقوتى ٢ ص ٩٣ ط النجف بالمرق عام ١٣٥٨ هـ ، وانظر أيضاً ابن كثير ، البداية والنهاية ٧ ص ٣٤٦ ط السعادة بالقاهرة .

لم تفعل فما بلغت رسالته والله يمصمك من الناس » ، وكان لذلك الأمر ينصب على عليه السلام خليفة ، أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في ذلك المكان ، وكان الهواء في غاية الحرارة ، والمكان مملوفاً بالأشواك ، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وأمر الرسول أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل ، فلما نصب له واجتمع الناس ، ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم المنبر ، ودعا علياً إلى يمينه ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أخبر الناس بدنو أجله قائلاً : ولقد دُعيت إلى ربي وإني محجب ، وإني مفادركم من هذه الدنيا ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيتي — ثم قال : ألسن أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذ بيد علي عليه السلام ورفعها حتى بان بياض إبطه وقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، فلما نزل النبي من على المنبر ، صلى صلاة الظهر ، ثم ذهب إلى خيمته ، وأمر بنصب خيمة بجانب خيمته لأمر المؤمنين ، فجلس علي في خيمته ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يبأيهم بالإمامة ، وبسلوا عليه بأمرة المؤمنين ، ففعلوا نساء ورجالاً ، وسرَّ عمر بذلك مثل غيره ^(١) . . . ! !

وقد نظم شاعر الشيعة السيد الحميري ، حادثة خيِّ هذه في قصيدة ضافية ، قال فيها ^(٢) :

عجبتُ من قوم أتوا أحداً بحُطّةٍ ليس لها موضعُ
قالوا له لو شئتُ أعلمتنا إلى من العاقبةُ والفزعُ
إذا توفّيتَ وفارقتنا وفيهم في الملك من يطمع
فقال لو أعلمكم مَفْزَعاً كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
كصنع أهل العجل إذ فارقوا هارونَ فالتركُّ له أروع

(١) عقيدة الشيعة لدولابن س ٢٥ وما بعدها وقد نقل هو عن حياة القلوب للجلبي ٢ ص ٣٣٩

(٢) انظر تفسير الأنوسي شهاب الدين (روح المعاني) ٢ ص ٣٤٩ ط بولاق ، وانظر أيضاً ضجى الإسلام لأحمد أمين ٣ ص ٣٠٩ وما بعدها .

ثم أنته بعده عزمة من ربه ليس لها مدفع
أبلغ وإلا لم تكن مبلغاً والله منهم عاصم يمنع
فعتها قام النبي الذي كان بما يأمره يصدع
يخطب مأموراً وفي كفه كف على نورها يلمع
رافها أكرم بكف الذي يرفع والكف التي ترفع
من كنت مولاه فهذا له مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
وظل قوم غاظمهم قوله كأنما آناهم تجدع
حتى إذا واروه في الحده وانصرفوا عن دفنه ضيعوا
ما قال بالأمس وأوصى به واشتروا الضر بما ينفع
وقطعوا أرحامهم بعده فسوف يجزون بما قطعوا
وأزمعوا مكرأ بمولاهم تباً لما كانوا به أزمعوا
لاهم عليه يردوا حوضه غداً ولا هو لم يشفع

والحق أننا لا ندرى من أى مصدر موثوق به استقى المشيعون هذه الحادثة ،
التي لم تروها كتب التاريخ المعتبرة ، والتي لو وقعت حقاً — كما يزعمون — أمام هاته
الآلاف من الناس ، لتحدث بها كل لسان ، ولما أجمع المؤرخون الثقات على إغفالها
وإسقاطها ، ولكانت نصاً صريحاً من النبي بخلافة علي من بعده ، فتكون بذلك
حداً فيصلاً حاسماً في هذا الأمر ، فلا يكاد يختلف فيه بعد وفاة صاحبه اثنان ١٩

وابن أبي الحديد — وهو متشيع — ينسك وجود نص من النبي بإمامة أحد
من بعده ، علياً كان أو غيره ، ويقول : لو كان هناك نص لاحتج به أبو بكر على
الأنصار لو كان بعينه ، أو لاحتج به علي على أبي بكر لو أنه عثر عليه ، ولكن ذلك
من أكبر حججه ؛ ففي شرح النهج :

« ولقد قال أبو عبيدة لعلي ، لما امتنع عن المبايعه : يا أبا الحسن إنك حديث
السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجر بهم ومعرفتهم بالأمر ، ولا أرى

أيا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاًعاً به ، وسلم له هذا الأمر واراض به ، فإنك إن تش وبطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق ، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك .

« فقال عليّ : يا معشر المهاجرين ، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ والله إنه لعقينا ، فلا تتبعوا الهوى فترزادوا من الحق بعداً .

« فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا » .

قال ابن أبي الحديد :

« وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع ، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع . قلت (ابن أبي الحديد) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجز للنص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين ، أو على أبي بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر ، فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، يدل على أنه (عليّ) قد كان كاشفهم ، وهتك القناع بينه وبينهم ، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعمد عليه وظلمه ؟ وتمنع من طاعتهم وأسمهم من الكلام أشده وأغلظه ؟ فلو كان هناك نص لذكره ، أو ذكره بعض من كان من شيعته وحزبه لأنه لا عطر بعد عروس^(١) » .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد المجلد ٢ ص ٥ ط القاهرة ، وانظر أيضاً ابن كثير : البداية والنهاية - ص ٢٥٢ .

نعم لا عطر بعد عروس ، فلو سحت حادثة الغدير هذه ، لاحتج بها على ما في ذلك شك ، وأهل السنة ينكرون وجود على يوم الغدير ، كما ينكرون بحق نصوص^(١) الشيعة وأحاديثهم . وقد قال في حقها المؤرخ العلامة ابن خلدون :
« لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشيعة ، بل أكثرها موضوع ، أو مطعون في طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة^(٢) » .

وقال العلامة ابن حزم : « وأما من كنت مولاه فعلى مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً ، وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة ، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها^(٣) » .

على أن نفس النص الذي أورده الشيعة — على فرض صحته — لا يفيد مدعاهم ؛ قال الإمام أبو بكر بن الباقلاني في كتابه « التمهيد » :

« أما معنى مولى فإنه ينصرف على وجوه : فمنها المولى بمعنى الناصر ، ومنها المولى بمعنى ابن العم ، ومنها المولى بمعنى الموالى الحب ، ومنها المولى بمعنى المسكان والقرار ، ومنها المولى بمعنى الممتق المالك للولاء ، ومنها المولى بمعنى الممتق الذي مُلك ولاؤه ، ومنها المولى بمعنى الجار ، ومنها المولى بمعنى الصهر ، ومنها المولى بمعنى الحليف ؛ فهذا جميع ما يحتمله قوله مولى . وليس من معنى هذه اللفظة أن المولى إمام واجب الطاعة .

« قال الله تعالى في المولى بمعنى الناصر : « وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » يعنى ناصره ، وقال الأخطل :

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قريش أن تُهاب وتُحمدا

(١) أنظر ما كتبه العلامة ابن حزم في هذا الصدد في كتابه « الفصل » - ٤ س ٩٦ وما بعدها ط مطبعة التدن .

(٢) مقدمة ابن خلدون س ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ ، وانظر أيضاً تفسير الأوسى - ٢ س ٣٤٩ وما بعدها ط بولاق .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل - ٤ س ١٤٨ .

أى فأصبحت ناصرها وحامى ذمارها . وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور ؛ قال الله تعالى : « وإنى خفتُ الموالى من ورأى » يعنى بنى العم ، وقال الفضل ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب يخاطب بنى أمية :

مهلاً بنى عمناً مهلاً موالينا لا تُذبتوا بيننا ما كان مدفونا
لا تحسبوا أن تُهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أنا لا نُحبكم ولا نلوكممُ ألا نُحبونا

« وأما المولى بمعنى المعتق والمعتق ، فأظهر من أن يكشف ؛ يقال : فلان مولى فلان يعنى معتقه ومالك ولأته ، وفلان مولى لفلان يراد به مُعتق له . وأما المولى بمعنى الموالى المحب فظاهر فى اللغة ؛ يقال فلان مولى فلان أى محب له وولى له ؛ وقد روى فى قول النبي صلى الله عليه : « مُزينةٌ وجهينةٌ وأسلمٌ وغفارٌ موالى الله ورسوله » أى مُحِبُّونَ موالونَ لها . وأما المولى بمعنى الجار فعروف فى اللغة ؛ قال مِرْبَعٌ بنٌ دَعْدَةَ ، وكان جاور كَلَيْبَ بن يربوع فأحسنوا جواره :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه كَلَيْبَ بن يربوع وزادهم حدا
مُهم خلطونا بالنفوس والجوا إلى نصر مولاهم مُسَوِّمةً جُردا

أى إلى نصر جارهم . وأما المولى بمعنى الصَّهر فعروف أيضاً ؛ قال أبو المختار يزيد بن قيس السكلابى فى ظلامته إلى عمر فى أمرائه :

فلا تسنينَّ النافقين كلِّهما وهذا الذى فى السُّوق مولى بنى بدر
وكان الرجل صهراً لبنى بدر . وأما المولى بمعنى الخليف فذكر أيضاً ؛ قال بعض الشعراء :

مَوَالِي حِيفٍ لَمَوَالِي قَرَابَةٍ وَلَكِنْ قَطِينًا يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَ رَا
« فأما ما قصد به النبي صلى الله عليه بقوله : « من كنتُ مولاهُ فعلى مولاهُ » فإنه يحتمل أمرين ، أحدهما : من كنتُ ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهرى وباطنى وسرى وعلائقى ، فعلى ناصره على هذا السبيل ؛ فتكون فائدة ذلك الإخبار

عن أن باطن على ظاهره في نصرة الدين والمؤمنين سواء ، والقطع على سريره وعلو رتبته ، وليس يُعتقد ذلك في كل ناصر المؤمنين بظاهره ؛ لأنه قد ينصّر الناصر بظاهره ، طلب النفاق والسمعة وابتغاء الرُّدِّ ومتاع الدنيا ؛ فإذا أخبر النبي صلى الله عليه أن نصرة بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنصرتهم هو ، صلى الله عليه ، قطع على طهارة سريره وسلامة باطنه ؛ وهذه فضيلة عظيمة .

« ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله : « فن كنت مولاه فعلي مولاه » أى من كنت محبوباً عنده ووليّاً له على ظاهري وباطني ، فعليّ مولاه ، أى إن ولّاه ومحبته من ظاهره وباطنه واجب ، كما أن ولّائي ومحبي على هذا السبيل واجب ، فيكون قد أوجب موالاته على ظاهره وباطنه ؛ ولسنا نوالى كل من ظهر منه الإيمان على هذه السبيل ، بل إنما نواليهم في الظاهر دون الباطن ^(١) .

وأما الأبيات التي رواها لنا ابن الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي في كتابه « ألف با ^(٢) » والتي يقول فيها على معدداً مفاخره :

محمد النبي أخى وصهرى وحزة سيد الشهداء عى
وبنت محمد بيتى وعرمى منوط لحمها بدمى ولجى
وسيطا أحمد ولداى منها فأيكُم له مهم كسهمى ؟
وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمى
سبقتكم إلى الإسلام طفلاً صغيراً ما بلغت أوان حلمى
وأوجب لى الولا حقاً عليكم رسولُ الله يوم غدير خم

أقول أما هذه الأبيات فأكبر الظن أنها ليست لعلى وإنما هي لمولى ، وإن صحَّ إسناد الأبيات الأولى لابن أبي طالب ، فالبيت الأخير — بيت التصيد — منحول عليه مافى ذلك ريب ، يؤيدنا في ذلك ياقوت الحموى حينما حدثنا في معجمه

(١) التهيد للفاضى أبى بكر الباقلانى ص ١٧١ وما بعدها ط القاهرة ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة الألويسى الكبير في تفسيره في هذا الصدد ص ٢٠٠ وما بعدها ط بولاق .

(٢) ألف با ص ١٠٣ ط القاهرة .

— معجم الأدباء ^(١) — حديث هذه الآيات ؛ إذ لم يرو هذا البيت الأخير المنحول وكذلك فعل ابن كثير ^(٢) .

وأهل السنة يحترمون عليًا ويعتبرونه — دون مساس بمقوق أسلافه في الخلافة — رجالًا ذا فضائل ومعارف تفوق المألوف ، وهو « رباني هذه الأمة » كما لقبه بذلك الحسن البصري ، بيد أن الشيعة لم ترضهم هذه المرتبة المتواضعة ، فرفعه المعتدلون منهم إلى أخرى ، لا يدانيه فيها أحد ، حيث قالوا إن النبي قد بثه علومًا كان يخفيها عن جمهور صحابته ؛ لأنهم لم يكونوا لها أهلاً ، وإن كان عليٌ نفسه ينكر ذلك ؛ ففي مسند أحمد : « عن مخارق عن طارق (يعني ابن شهاب) قال سمعت عليا يقول : ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا ما في القرآن وما في هذه الصحيفة (صحيفة كانت في قراب سيف كان عليه ، حليته حديد) ، أخذتها من رسول الله ، فيها فرائض الصدقة » .

وأكبر الظن أن عليًا قد رُمى بذلك حال حياته حتى لينكره أشد الإنكار ، على أننا بذلك نجد مزاعم الشيعة تصعد بذورها إلى العصر الإسلامي الأول ، وفي هذا الصدد نجد أيضاً شخصيتين كبيرتين — صحابياً وتابعياً — هما ابن عباس وابن الحنفية ، من ولد علي ، يُسألان عن ذلك ، فيؤكدان أن النبي لم يترك سوى القرآن ؛ ففي « الجامع الصحيح » لحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي :

« حدثنا قتيبة بن سعد ، حدثنا سفيان (يعني ابن عيينة) عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي من شيء ؟ (زاد الإسماعيلي سوى القرآن) قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ، قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسالناه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين » .

وقد زعمت الصوفية هذا الزعم نفسه في الصحابي « حذيفة بن اليمان » الذي

(١) معجم الأدباء ، ١٤ ص ٤٨ ط دار المأمون .

(٢) البداية والنهاية ٨ ص ٨ .

يشغل في حياتهم ما يشغله على عند شيعته ، وقد وصفه الخطيب البغدادي بأنه : « كان صاحب سر رسول الله ؛ لقر به منه وثقته به وعلو منزلته عنده ^(١) » ، ولكننا مع ذلك نجد أن علياً قد أربى فزاحم حذيفة لدى الصوفية ، حتى ليقول ابن القارض في « تأييده الكبرى » :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً على بعلم ناله بالوصية وقد قالوا بخلوده ورجعته ؛ روى الشعراني عن الصوفي « على وفا » أنه كان يقول : « إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى عليه السلام ، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام » ثم قال الشعراني : « وبذلك قال سيدي على الخواص رضى الله عنه فسميته يقول : إن نوحاً عليه السلام أبقى من السفينة لوحاً على اسم علي بن أبي طالب رضى الله عنه يُرْفَعُ عليه إلى السماء ، فلم يزل محفوظاً في صيانة القدرة حتى رُفِعَ علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فالله أعلم بذلك ^(٢) » .

والإسلام السنّي يرفض بحق رفضاً باتاً أن يكون الرسول — حاشاه — قد خصّ أحداً من الناس بعلم كتبه عن جمهور صحابته ؛ قال العلامة ابن حزم :

« واعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سرّ تحته ، كله برهان لا مسامحة فيه ، وانهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادّعى للديانة سرّاً وباطناً ، فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتّم من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب ، على شيء من الشريعة ، كتّمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ولا باطن ، غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتّمهم شيئاً لما بلغ كما أسر ^(٣) » .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص ١٦١ وما بعدها ط القاهرة .

(٢) أنظر طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٠ ط بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٣) الفصل ج ٢ ص ١١٦ ط المطبعة الأدبية .

وعلى ث عند الشيعة هو وصي محمد؛ إذ لا بد الأنبياء عندهم من أوصياء، كما تنص على ذلك تعاليم أستاذهم عبد الله بن سبأ، وباختيار النبي لمولى خليفته له أصبح هذا وصيه، قال ابن سبأ: «إن لكل نبي وصيًا وإن عليا وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء»^(١).

وقد روت الشيعة عن النبي أنه قال: «من الذي يبايعني على ماله؟ فبايعته جماعة، ثم قال: من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدى؟ فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين على عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه»^(٢). وهم بأمثال هذا الخبر المختلق يحملوننا على تصديق اختيار النبي لمولى لولاية الأمر من بعده، كما يريدون إيهامنا بأن لفظ «الوصي» جرى على لسان النبي وأنه من وضعه، بيد أن هذا القول الفسل المنسوب إليه عليه السلام، ليس له من القوة ما يحملنا على شيء من ذلك، فهو ضعيف متهدم متهاك لا يكاد يقف على قدميه ودلائل نخله ظاهرة. وقد أنكرت عائشة ذلك كل الإنكار؛ ففي صحيح البخاري: «ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصيًا، فقالت متى أوصى إليه؟، وقد كنت مسندته إلى صدرى — أوقالت حجرى — فدعا بالطست، فلقد اخنث في حجرى، فما شعرت أنه قد مات، فتي أوصى إليه»^(٣).

وقد لقب الخوارج عليًا بهذا اللقب (الوصي) فيما دار بينهما من جدال بعد التحكيم، وقد قبله منهم على وارتضاه إذ يقولون له في جدالهم، كما يحدثننا ابن واضح اليعقوبى: «وزعم أنه وصي فضيَّع الوصية»، فيجيبهم على بقوله: «وأما قولكم إني كنت وصيًا فضيَّعت الوصية، فإن الله عز وجل يقول: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين)

(١) مختصر الفرق بين الفرق للرسنى ص ١٤٣ ط القاهرة.

(٢) أنظر الملل والنحل للشمسطنى ص ١٠ ص ٢٢٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية.

(٣) أنظر البخارى ص ٤ ص ٣ و ٦ ص ١٤ ط بولاق، وأنظر أيضاً ابن كثير: البداية

والنهاية ص ٥ ص ٢٥١.

أفرأيت هذا البيت لو لم يحجج إليه أحد كان البيت يكفر؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر؟ وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركى لكم^(١).
ومن أمام هذا النص الذى جاءنا به اليعقوبى، وهو مؤرخ متشيع، إزاء فروض ثلاثة؛ فإما أن يكون على نفسه قد ابتدع هذا اللقب ابتداءً وزعمه لشخصه، حتى ليقول له الخوارج « وزعم أنه وصى »، وهذا أضعف الفروض وأبعدها، وإما أن يكون الناس في عصره قد خلعوه — مع فلسفته — عليه خلعاً، بتأثير عناصر أجنبية كتماليم ابن السوداء مثلاً، فلم يتردد هو في قبوله ولو سياسياً لا دينياً. وقد يكون هذا الفرض قريباً إلى المعقول، ولكن يمنعنا من الأخذ به دين على وعدم معرفته بالسياسة، التى أخفى فيها إخفاقاً تاماً. وأكبر الظن أن الاختلاق جاء في نسبة هذا النص لعلى كدأب أشياعه دائماً، عادة معروفة من أخذم، ولنا في لغته الركيكة — التى لا تناسب بلاغة على — للمعترف بها — وحججه الواهنة الصبائية، ورى على للخوارج بالكفر لجرد تركهم له، ما يقوى كثيراً من هذا الظن، وما آفة الأخبار إلا روايتها.

وابن أبى الحديد يحددنا في شرحه للنهج فيقول:

« لا ريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ولسنا نعى بالوصية النص على الخلافة، ولكن أموراً أخرى، لعلها إذا لحث أشرف وأجل^(٢). »

وأكبر الظن أن ابن أبى الحديد يقصد بهذه الأمور التى هى أشرف وأجل، ما يزعمونه من اختصاص النبى لعلى بعلوم لا يشركه فيها غيره. وقد أورد شارح النهج آيات قيلت في الوصية^(٣)، نقلها عن أبى مخنف لوط بن يحيى، وعن نصر

(١) أنظر تاريخ ابن واضح اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٨ ط النجف .

(٢) شرح النهج مجلد ١ ص ٤٦ ط القاهرة .

(٣) المصدر السابق مجلد ١ ص ٤٧ وما بعدها .

ابن مزاحم بن يسار المنقري ، منها قول عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب :

ومنا عليّ ذاك صاحب خير وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه
وقول أبي الهيثم بن التيهان وكان بدرياً :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأيت قریش فعلنا يوم القليب أولئك الكفار
كنا شعار نبينا ودناره يفديه منسا الروح والأبصار
إن الوصي إمامنا ووليها برح الخفاء وباحت الأسرار
ويقال إن رجلاً من قبيلة « الأزد » قال يوم الجمل : وإنك لتلح في شعره
دلائل الوضع :

هذا عليّ وهو الوصي آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدى الولي وعاه ونسى الشقي
ويقال أيضاً إن غلاماً من بنى ضبة معلماً ، خرج من معسكر عائشة يوم الجمل
وهو يقول :

نحن بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قديماً بالوصي
وفارس الخليل على عهد النبي ما أنا عن فضل عليّ بالعمى
لسكني أنى ابن عفان التقى إن الولي طالب ثار الولي
ولا يسم الباحث المنصف إلا أن يرفض بحق هذه الأبيات المنحولة ومثيلاتها ،
أو على الأقل ما يشتمل منها على حديث الوصي والوصاية ، فقد وضعها دون ريب
وزورها متشيعون علويون .

وقد ورث خلفاء عليّ رئاسة الدولة وولاية الحكم باعتبارهم الأئمة ، جاء
في (السكافي) :

« نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ، ومفاتيح الحكمة ومعادن العلم ، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وموضع سر الله ، ونحن وديعة الله في عبادته ، ونحن حرّم الله الأكبر ، ونحن ذمة الله ، ونحن عهد الله ، فمن وفى بهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده ^(١) » ، « نحن خزّان علم الله ، ونحن تراجمة وحى الله ، نحن الحجة الباقية على من دون السماء ومن فوق الأرض » ^(٢) .

ومن هؤلاء الأئمة الحُضَرُ والفُيُوبُ ، الظاهرون والختفون ، والختفى كالظاهر فيما له من تقدس وإيمان ، جاء في (الكافي) : « وإذا بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها » ^(٣) .

وقد انحدرت إلى هؤلاء الأئمة من على صفاته الروحية الخاصة ، وكل ما امتاز به من علوم وانفرد به من أسرار ؛ فورثوا عنه اسم الله الأعظم ، وجميع السكتب المنزلة التي يعرفونها بلغاتها المختلفة كما ورثوا « القرآن الصحيح » الذي لم يجمعه ولم يحفظه — كما أنزل الله — إلا على ^(٤) . . . ، كما ورثوا أيضاً مصحفاً آخر لفاطمة ، والجماعة ، والجفرين — الأكبر والأصغر — فهم يعلمون لذلك علم ما كان وما سيكون ^(٥) ، كما يعلمون متى يموتون ؟ ولا يموتون إلا بمحض اختيارهم . . . ، ولا يفوتنا أن نذكر أيضاً أن هناك كتاباً آخر خاصاً بآل البيت نزل به جبريل على محمد ، فدفعه إلى على ^(٦) خلفه هذا لذريته الأئمة يتوارثونه من بعده إماماً بعد إمام ، حتى ينتهى به المطاف أخيراً إلى الإمام الأخير أعنى المهدي ، وفي هذا الكتاب أوامر من الله لكل إمام من الأئمة ؛ روى الكليني عن معاذ بن كثير عن أبي عبد الله أنه قال : « إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً فقال جبريل : يا محمد هذه وصيتك إلى النجباء فقال : ومن النجباء يا جبريل ؟ فقال : على بن أبي طالب وولده ، وكان

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ١٠٥ وما بعدها ط طهران .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ص ١١٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٦ .

على الكتاب خواتم من ذهب ، فدفعه رسول الله إلى عليّ وأمره أن يفكّ خاتماً منه فيعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسن فكفّ منه خاتماً فعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسين فكفّ خاتماً فوجد فيه (أن اخرج بقومك إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك واشتر نفسك لله) ففعل ، ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين فكفّ خاتماً فوجد فيه (أن اطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيتك اليقين) ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه محمد بن عليّ فكفّ خاتماً فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدق آباءك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك) ، ثم دفعه إلى جعفر الصادق فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله ، وانشر علوم أهل بيتك وصدق آباءك الصالحين ، فإنك في حرز وأمان) ، ففعل ثم دفعه إلى موسى . . . » ، وهكذا إلى المهدي ^(١) .

وكل إمام من هؤلاء الأئمة وصيّ أسلفه الذي هيّنه بأقراره الصريح ، موافقاً للترتيب الإلهي الذي سبق أن كتبه الله وقضى به ، ونفّذ الرسول كتحليل إلى منصب الحكم وولاية أمور الأمة ، كما لاحظ ذلك بحق سيد الباحثين العلامة الطيب الذكّر جولديهر Goldziher ^(٢) .

وأبحاث الشيعة للمقدمة في الإمامة ، ونظرتهم القدسية إلى الإمام ، تلقى أضواء وهاجة قوية على تاريخ دولهم ؛ فنستطيع أن نعمل بها خضوع الناس واستكانتهم لحكامهم المقدسين الإلهيين ، مهما كانوا ظالمين جائرين ؛ إذ كل ما يقومون به من أفعال أو أقوال إنما مرده إلى الله ، الذي يجريه على أيديهم وأستهم ، فكان حتماً على الجماهير تلقى ذلك بالرضى والقبول . وسنعرض في هذا الصدد أبيات مختارة لشاعر الشيعة الإسماعيلية الفاطمية ، ابن هانيّ الأندلسي تصور أثر هذه العقيدة تصويراً قوياً رائعاً .

(١) السكافي للكليني ج ١ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢) العقيدة والفرقة في الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٧٥ ط القاهرة .

قال ابن هاني من قصيدة يمتدح بها المعز لدين الله أبا تميم معداً :
 ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأت الواحد القهار !!
 وكأنا أنت النبي محمد وكأنا أنصارك الأنصار
 أنت الذي كانت تبشّرنا به في كتبها الأحبار والأخبار
 هذا إمام المقيّنين ومن به قد دُوخ الطغيان والكفار
 هذا الذي تُرجى النجاة بحبه وبه يحط الإصر والأوزار
 هذا الذي يُجدي شفاعته غداً حقاً ونحمد أن تراه النار

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصمٌ ومُجار
 أتم أحبّاء الإله وآله خلفاؤه في أرضه الأبرار
 أهل النبوة والرسالة والمهدى في البيئات وسادةً أطهار
 والوحي والتأويل والتحرّيم وال تحليل لاخلفٌ ولا إنكار
 إن قيل من خير البرية لم يكن إلّا كمُ خلقٍ إليه يُشار
 لو تلمسون الصخر لانبعجت به وتفجرت وتدفت أنهار

شرُفت بك الآفاق وانقسمت بك اأرزاق والآجال والأعمار 1
 جئت صفاتك أن تُحمدَ بمقول ما يصنع المصدق والمكثار
 واللهُ خصّك بالقرآن وفضله واخجلتي ما تبلغ الأشعار ٢ (١)

ويقول في المعز أيضاً :
 وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنّه في مسلك الشمس سالك
 وما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مشارك !! (٢)

(١) ديوان ابن هاني - ص ٦٢ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

وفيه أيضاً يقول ابن هاني:

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعله ما كانت الأشياء
ليست سماء الله ما ترونها ولكن أرضاً تحتويه سماء
أما كواكبها له فخواضع تخفى السجود ويظهر الإيمان !
هذا أمين الله بين عباده وبلاؤه إن عدت الأمناء
نزت ملائكة السماء بنصره وأطاعه الإصباح والإمساء !
والدهر والأيام في تصرفها والناس والخضراء والغبراء !^(١)

ويقول :

هذا معدن والخلائق كلها هذا المرئ متوجاً والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التي بدأ الإله وغيبها المكنون !
من أجل هذا قدر المقدور في أم الكتاب وكون التكوين !
وبذا تلقى آدم من ربه عفواً وفاء لبوس الیقطين !
النور أنت وكل نور ظلمة والفوق أنت وكل قدر دون
فارزق عبادك منك فضل شفاعه واقرب بهم زلفى فانت مكنين !
لك حمدنا لا أنه لك مفخر ما قدرك المنثور والموزون
قد قال فيك الله ما أنا قائل فكان كل قصيدة تضمين^(٢)

(١) ديوان ابن هاني، ص ٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

الفصل الثاني

الرمز :

« الدور » أو عودة الأشياء بعينها إلى الوجود في آماذ لانهاية ، نظرية فلسفية يونانية تُنسب إلى الفيثاغوريين أتباع « فيثاغورس » Pythagore ، حتى ليقول « أوديموس » Eudème تلميذ « أرسطو » Aristote مخاطباً تلاميذه : « إذا صدقنا الفيثاغوريين فسيجيء يوم نجتمع ثانية في هذا المسكان ، فتجلسون كما أنتم لتسمعوا إلى » وأنحدث أنا إليكم كما أفعل الآن^(١) . وهذا الرأي الفلسفي ليس من قبيل « الرجعة » التي نحن بصدد دراستها في هذا الفصل ؛ إذ الأول فلسفي عام لكل الكائنات في دورات متعاقبة لانهاية لها ، أما الثاني فمعتقد ديني ساذج مقصور على أناس بأعيانهم في دورة واحدة فقط قبل نهاية هذا العالم ، يعقبها فناء تام شامل للأكوان وانتقال إلى عالم آخر .

فالرجعة التي نحن بصدها هي : عودة الميت أو المحتفى إلى الظهور أو الحياة من جديد في الدور الأخير دور الاحتضار لهذا الكون . ويرجع تفسيرها السيمكولوجي إلى وجود زعيم روحي أو سياسي ، ذي شخصية قوية تساعد على فرض تقديره وإجلاله وحبه في قلوب الأشياع والأتباع ، المجريين عادة من التفكير والإرادة ، فينساق هؤلاء طواعية نحو ضوئه القوي الوهاج ، متهافتين بين أحضانه تهافت الفراش ، مُسلمين له القيادة والأزمنة ، مخلصين له الحب الواله ، من أبعاد أعماق القلوب غوراً ، فينسبهم ذلك إنسانيته وخضوعه لسنن الكون ونواميسه ، فلا يفسكرون قط في موته كأي إنسان تجري عليه قوانين الطبيعة ، فإذا قضت عليه هذه القوانين الصارمة بالموت ، وهي لا بد قاعلة في غير هواة ولا لين غير عابثة بشيء ، أصابهم

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٩ الطبعة الأولى .

الجزع والهلل وأذهلتهم المفاجأة ، فتدور رءوسهم ولا ترى أعينهم ، فيسرع إليهم الشك في موت صاحبهم ، ثم يرفع بهذا الشك إلى رتبة اليقين ، ما تسفههم به أحلام اليقظة من تسليتهم وتهذئة انفعالاتهم وإثلاج صدورهم بغيبة صاحبهم الذي لم يت ، بل تزيد فتحدد لهم مدة غيبته عنهم ، وتكون بادئ الأمر قصيرة كل القصر ، لتمتلي حياتهم أملاً خالصاً بعودته ورجوعه ، ولكن الغيبة تطول بل وتسرف في الطول ، ولا يرى الأتباع لعودة صاحبهم ظلاً ولا يلمسون لرجوعه عيناً ولا أثراً ، ولكن الحيلة لا تموزم فيحتالون ويلجأون إلى التأويل في مدة الغيبة ، فاليوم ليس كأيامنا والعام ليس كأعوامنا ، وإن لم في القرآن القائل : « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » لمثلاً يحتذى ، فتستقر قلوبهم بعد اضطراب وتهدأ نفوسهم بعد قلق ، وينقلب الأمل في عودة صاحبهم إلى عقيدة راسخة ذات أصول وجذور ، يورثها الأجداد للأحفاد ، ويأخذها الأخلاف عن الأسلاف .

وإنا لنكاد نطبق شيئاً من هذا التفسير السيكلوجي للرجمة على موقف عمر ابن الخطاب من موت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ فقد ذهل الناس واشتد بهم الملح حتى فقد البعض صوابه ، وكأنهم كانوا لفرط ولهم به وجههم له لا يتوقعون له موتاً ، وقد أنستهم المفاجئة كل ماورد في القرآن مؤكداً موت النبي كسائر البشر كقوله : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، « أفإن مت فهم الخالدون » .

حدثنا اليمقوبى — المتوفى بعد عام ٢٩٢ هـ — في تاريخه ، وهو من أقدم مصادر التاريخ الإسلامى على تشييع فيه ، فقال :

« ولما توفي صلى الله عليه وسلم قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال : والله ما مات رسول الله ولا يموت وإنما غيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود ، والله ليقطن أيدي قوم وأرجلهم ! . وقال أبو بكر بل قد نعام الله إلينا فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) .

فقال عمر : والله لكأنى ما قرأتها قط ! ثم قال : لعمرى لقد أيقنت أنك ميت ،
ولكنى أبدى الذى قلته الجزع^(١) !

فعمرو رضوان الله عليه بحب للرسول عليه السلام ، ولكنه يوقن مع هذا الحب
بموتة صلوات الله عليه ككل كائن حى ، فلما واجهته السكارثة أذهلته حتى لقد

(١) أنظر البيهقي ٢٠ ص ٩٥ ط النجف ، وفي رواية أخرى أن الآية الكريمة التى نطق بها
أبو بكر فى هذا الظرف هى قوله تعالى « وما محمد إلا رسول . . . الآية » فى الطبري :

« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالا من المنافقين
يزعمون أن رسول الله توفى ، وإن رسول الله — والله — ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه
كما ذهب موسى بن عمران ففاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن
رسول الله فليظمن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات ، قال : وأقبل أبو بكر حتى
نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حيرة ؟ فأقبل
حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما المونة التى كتب الله
عليك فقد ذهبت ثم لن يصيبك بعدها مودة أبدا ، ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج — وعمر يكلم
الناس — فقال : على رسلك يا عمر فأنتصت ، فأبى ألا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت ،
أقبل على الناس — فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر — لحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ،
ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » إلى آخر الآية . قال فوالله لكأن
الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تلاها أبو بكر
بومضة ، قال وأخذها الناس عن أبى بكر فإنما هى فى أفواههم ، قال أبو هريرة ، قال عمر : والله
ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها ففقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملى رجلاى وعرفت أن
رسول الله قد مات » الطبري ٣ ص ١٩٧ وما بعدها ط الحسينية ، وأنظر أيضاً ابن الأثير ٢
ص ١٢٣ ط الحلبي ، وأنظر كذلك صحيح البخارى ٦ ص ١٤ ط بولاق .

أما ابن أبى الحديد فيجمع بين الروايتين إذ يقول : « روى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله
صلى الله عليه وآله لما توفى ، كان أبو بكر فى منزله بالنجف ، فقام عمر بن الخطاب فقال : ما مات
رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يموت ، حتى يظهر دينه على الدين كله ، ويرجعن فليظمن
أيدي رجال وأرجلهم من أرجف بموتة ؟ لا أسمع رجلا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وآله
إلا ضربته بسيفي ، فجاه أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : بأبى وأمى
طابت حياً وميتاً ، والله لا يذيقك الله الموتين أبداً ، ثم خرج — والناس حول عمر وهو يقول لهم
لأنه لم يموت ويحلف — فقال له أيها الخائف على رسلك ، ثم قال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ؟ قال الله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال
(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) قال عمر : فوالله ما ملكست نفسى حيث سمعتها أن سقطت إلى
الأرض وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات » أنظر شرح التهجد مجلد ١ ص ١٢٨ .

أنسته آية من الذكر الحكيم ما كان لمثله أن ينسأها لولا هول المصاب ، وألجأته حالته النفسية الجياشة الثائرة إلى أن يقول بغيبة الرسول وعودته ويقسم على ذلك أحث القسم ، ولكن سرعان ما قام أبو بكر الذي كان يبدو في هذا الظرف المصيب — رغم شيخوخته — أملك لأعصابه وأحضر لذهنه وأجمع لعقله ، فأرجع عمر إلى صوابه ورشده .

يهودية « الرجعة » وتسربها إلى الشيعة :

الرجعة في جملتها معتقد يهودي ؛ حدثنا الشهرستاني أن اليهود اتخذوا من قصة « عزيز » — حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه — مبرراً لقول بها ، كما رأوا ذلك في موت هارون ، قال الشهرستاني :

« وأما جواز الرجعة فإنما وقع لم من أمرين ، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني حديث هارون عليه السلام إذ مات في التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى ، واختلفوا في حال موته ، فمنهم من قال : مات وسيرجع ، ومنهم من قال : غاب وسيرجع^(١) . وقد دخل هذا المعتقد البيئة الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ ، اليهودي البني المقتسم المعروف بابن السوداء ، الذي يرجع إليه الكثير من الأفكار والمذاهب القريبة عن الإسلام ، كما أنه أول من قال بها في المجتمع الإسلامي ؛ إذ زعمها بادي الأمر في الرسول عليه السلام حيث يقول :

« لمحب من يزعم أن عيسى يرجع^(٢) ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) محمد أحق بالرجوع من عيسى^(٣) » .

(١) أنظر المال والنحل ٢ - ص ٥١ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) رجعة عيسى في الإسلام أثر مبيح .

(٣) أنظر الطبري ٥ - ص ٩٨ ط الحسينية .

نم نجده قد تحول فقالها في على بن أبي طالب ، الذي اختاره ليكون قطباً لرحى أفسكاره ، تدور حواليه كل ما يدور برأسه من آراء ومعتقدات .

وإذا تركنا القرن الأول الهجري ، وجدنا في أوائل المائة الثانية أحد وضّاعي الحديث المعروفين وهو جابر بن يزيد الجعفي^(١) السكوفي ، يردد نداء ابن السوداء ويقول برجمة على " وقد رأى في قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم » مستنداً لأقواله ، مدعياً أن الآية تشير إلى الرحمة ، زاعماً أن الدابة هنا هي على بن أبي طالب^(٢) ... !

وقد حدثنا ابن قتيبة حديثاً في هذا الصدد لا يخلو من طرافة حيث يقول : « بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المسكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم من جبراني يكثرّون الدخول على رجل قلت : من هذا الذي تدخلون عليه ؟ فقالوا : هذا على بن أبي طالب ، قلت أدخلوني معكم ، فضيت معهم وخبأت معي سوطاً تحت ثيابي ... ، فدخلت فإذا شيخ أصلع بطين^(٣) ، قلت له : أنت على بن أبي طالب ؟ ! فأوماً برأسه ، أى : نعم ، فأخرجت السوط فما زلت أقتعه وهو يقول : لتأوى لتأوى ... فقلت لهم : يافسقة ، على بن أبي طالب نبلى ... ! ،

(١) توفي عام ١٢٨ هـ وقد قال فيه أبو حنيفة : « ما رأيت أكذب منه » . انظر الألويسي ٦ ص ٣١٢ ط بولاق ، حيث نقل ذلك عن ميزان الاعتدال للذهبي .

(٢) ويزعم جابر أن رجلاً قال لعمار بن ياسر : « يا أبا اليقظان ، آية في كتاب الله تعالى أفسدت قلبي ، قال عمار : وآية آية هي ؟ فقال : قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم ... » الآية ، فأية دابة هذه ؟ قال عمار : والله ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أريكمها . فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، وهو يأكل تمرأ وزبداً ، فقال يا أبا اليقظان هلم ، فجلس عمار يأكل معه ، فتمتع الرجل منه ، فلما قام عمار ، قال الرجل : سبحان الله خلقت أنك لا تجلس ولا تأكل ولا تشرب حتى تربطها ! قال عمار : قد أريتكمها إن كنت تعقل ... ! ! » انظر الألويسي ٦ ص ٣١٢ ط بولاق .

وأكبر الظن أن لتعاليم ابن السوداء ضلعاً في ذلك ، حتى ليرى على بهذا الإنك حال حياته ؟ روى الألويسي : « قيل لمولى كرم الله وجهه إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض ، فقال : والله إن لدابة الأرض لريشاً وزغباً ومالاً ريش ولا زغب ، وإن لها لحافراً ومالاً من حافر ... الخ انظر المصدر السابق .

(٣) كان على أصلح بطيناً .

ثم قلت له : ويلك ما قصتك ؟ فقال : جعلت فداك ، أنا رجل من أهل السواد ،
أخذني هؤلاء فقالوا : أنت على بن أبي طالب ^(١) !... »

ولقد دانت الشيعة بهذا المعتقد ، معتقد الرحمة ، الذى وجد فى تربتها أرضاً خصبة
صالحة للنمو والازدهار ، وذلك يرجع إلى ماسبق أن قدمناه لك من نظرتهم القدسية
إلى أمتهم ؛ قال أبو جعفر السكلى فى تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بالجنس الجوار
الكنس) « إمام يحنس ^(٢) فى زمانه ثم يبدو كالشهاب الواصل فى ظلمة الليل ^(٣) » .
وتسوق الشيعة قوله تعالى (أو كالأذى مرعى على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى
هذه الله بعد موتها فأما الله مائة عام ثم بعثه) فى مقام الاحتجاج على صحة ما ذهب
إليه ، كما تردد ما قاله اليهود من قبل فى هذا الصدد ، وقد رأت فى إحياء عيسى
للموتى دليلاً على وقوع الرحمة التى يدينون بها

ومن الشيعة من يدين بمودة أناس ليسوا من أمتهم ، وذلك لتعذيبهم والتشكيل
بهم فقط من قبل الإمام ، جزاءً وفاقاً لما قدموا فى حياتهم الأولى من ظلم وغصب
لآل البيت ؛ فالشريف المرتضى يقول برجمة أبى بكر وعمر فى آخر الزمان عند
ظهور المهدي وأنهما سيصلبان على شجرة ^(٤) ... ويجوز فى عودة هؤلاء الأعداء
بنوع خاص ، أن تسكون فى غير صورهم الإنسانية زيادة فى النكال بهم ، فاضطر
المشيعون إلى القول بالتناسخ ، حتى ليأخذ أحدهم — فيما يقول ابن حزم — البغل
أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجمعه ، على أن روح أبى بكر أو عمر
قد حلت فيه ^(٥) .. !

ومن طريف ما حدثنا به الأغاني فى هذا الصدد أن رجلاً قال للسيد ^(٦) الجهرى :

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبع الدار .

(٢) أى يحنق .

(٣) السكافى ج ١ ص ١٤٩

(٤) ضجى الإسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٤٦

(٥) أنظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٢ طبع مطبعة التمدن .

(٦) شاعر الشيعة السكيسانية ، توفى ببغداد عام ١٧٩٩ هـ .

« بلغنى أنك تقول بالرجمة فقال السيد : صدق الذى أخبرك وهذا دينى . قال : أفتعطىنى ديناراً بمائة دينار إلى الرجمة ؟ قال السيد : نعم وأكث من ذلك إن وثقت لى بأنك ترجع إنساناً ... قال : وأى شئ أرجع ؟ ! قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالى ^(١) » .

والشيعة الإمامية الاثنا عشرية يسألون الله فى دعوات حارة أن يرجعهم بعد موتهم إلى هذه الدنيا ، ليكونوا فى جيش المهدي محمد بن الحسن العسكري وبصحبته ، كما سنحدثك عن ذلك فيما بعد .

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« والرجمة إحدى العناصر الجوهرية فى نظرية الإمامة عند كافة فروع الشيعة ^(٢) » ويقول : « وفكرة الرجمة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التى اختلفوا بها ، ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية ^(٣) » . ويقول أيضاً « والاعتقاد بالإمام الخلفى يسود كافة فروع الشيعة ، ويعتقد كل فرع منها بخلوده وعودته إلى الظهور فى المستقبل مهدياً ^(٤) » . وفى ختام حديثنا عن الرجمة نعرض هنا أبيات فيها رائحة لشاعر الشيعة الكيسانية السيد الجبرى (المتوفى عام ١٧٩ هـ) قال ^(٥) :

إذا ما المرء شاب له قَدَالٌ ^(٦) وعَلَّه المَواشِطُ بالخَضَابِ
فقد ذهبَ بِشاشته وأودى قَمَّ بِأبيك فابك على الشِبابِ
فليس بِمَائِدَ ما فأت منه إلى أَحَدٍ إلى يومِ المآبِ

(١) الأغاني - ج ٧ ص ٢٤٢ طبع الدار .

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٩١

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١

(٥) أنظر المقدم الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٠٧ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، و انظر كذلك مقدمة ابن خلدون ص ٩٧ طبع بولاق ١٢٧٤ هـ .

(٦) القَدَال : جماع مؤخر الرأس .

إلى يوم يؤوب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب
أدين بأن ذاك كذاك حقاً وما أنا في الشور بذى ارتياب
لأن الله خبر عن رجال حيوا من بعد دس في القراب
وقال^(١) يرى أخاه معتقداً رجعتة :

يا ابن أمي فذتك نفسى ومالى كنت ركنى ومقرعى وجمالى
ولعمري لئن تركتك ميتاً رهن رمس ضنك عليك مهال
لوشيكاً ألقاك حياً صحيحاً سامعاً مبصراً على خير حال
قد بُعثتم من القبور فأبتم بعد ما رمّت العظام البوالى
أو كسبعين وافداً مع موسى عاينوا هائلاً من الأهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأنى برؤية التعالى
فرمام بصعقة أحرقتهم ثم أحيائهم شديد المحال

غصيرة « المخلص » فى الشرق القديم وأثرها فى معتقد المهرية :

لقد ابتليت الشعوب الشرقية القديمة بحكومات الاستبداد المطلقة ، فرسخت تحت نيرها الثقيل قروناً متطاولة وأحقاباً ممتطية بأصلاهبها ، تسودها ظلمات الجهل وبدادة الفسك ، كان الناس فيها مقرّنين فى أضفاد من الانحطاط الفسكرى ومن ظلم الحاكمين بأمرهم ، الذين كانوا يفترضونهم كالأنعام ، ويسومونهم شتى صنوف الذل والخسف والحرمان ، ويسوقونهم — بالعدوان — إلى حيث يرغبون ، كقطعيم من الأغنام لا تدرى أين المساق ؟ فمضا الراعى تدفعهم بعنف تارة إلى المزرعة وأخرى إلى الجزيرة ! ، وقد وطّد لهؤلاء الحاكمين الفاشمين ، ما ابتدعوه من حقوق إلهية مقدسة ، لاقت رواجاً وقبولاً لدى الجماهير ، الذين ظنوا — واهمين — أن بين

سادتهم وبين السماء نسباً وصهرأ ، فزاد ذلك في رضوخهم وفناء ذاتياتهم ،
الذى قوبل من جهة السادة بالإمعان في الخسف والتفكيك ، والإسراف في
الاضطهاد والتقتيل .

غير أن الشعوب الشرقية قد بدأت تشعر بالظلم وتحس بألمه ، فاستيقظت بعد
نوم ، وصحت بعد سكرة ، ولسكن الناس يقومون من نومهم حيارى ، ويفتحون
عيونهم بعد طول إغماض ، فيرون أهوالاً تشيب الولدان وخطوباً لا تطيقها الجلاميد
الضم ، فرجعوا إلى أنفسهم ، فما آنسوا فيها القوة على الخروج والثورة على حكامهم
وسادتهم ، فأثروا الحرب من الواقع المرير ، حيث وجدوا في الخيال الجميل متنفساً
بثّوا فيه نجواهم وشكايتهم ، بزفرات حارة ملتهبة وأنفاس حبيسة مكتوبة ، وقد
أوحى إليهم هذه الأحلام الجميلة بالخلاص من هذا الجحيم في المستقبل القريب
أو البعيد ، على يد « المنقذ » مبعوث العناية الإلهية ، وإن لم يكن في ذلك لعزاء وسلوى .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الروح الشرقية العامة — كما لاحظ ذلك بحق
العلامة « فان فلوطن » Van Vloten — تصبو دائماً إلى كل ماله علاقة بالتنبؤ
وكشف حجب الغيب عن المستقبل المجهول^(١) . فمقدمة « الخالص » أو « المنقذ »
الموآمة للطبيعة الشرقية والناجحة عن ظلمات الجهل والاستبداد ، نجدتها ذائعة أيما
ذوبع بين جميع الشعوب الشرقية القديمة ؛ فسيحبو الأحباش ينتظرون عودة مايكهم
« تيودور » كهدى في آخر الزمان ، كما يؤمن كثير من المسيحيين برجمة المسيح
لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفتكه بأخيه الإنسان ، ويعتقد المغول أن « تيموجين »
(جنسكينخان) — الذى تقدم على ضريحه القرايين — كان قد وعد قبل موته
بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصيني . ولا يعسر
على الباحثين الاهتداء إلى بذور هذا المعتقد بين قدامى المصريين ، وفي القديم من
كتب الصينيين ، وعند الفارسيين ، وكذلك في تناسخ « براهما » إحدى عقائد

(١) السيادة العربية والعبادة والإسرائيليات في عهد بنى أمية (الترجمة العربية) ص ١٠٧

المنوّد ، الذين ينتظرون هم الآخرون عودة « فشنو » إلى الوجود^(١) .
ولقد كانت عقيدة « الخائض » هذه — أكبر الظن — من أهم العوامل التي
خلقت عقيدة « المهدي » في المجتمع الإسلامي ، فبيّنت هذه على غرار تلك ،
أما حاكمتها فهم الشيعة على يد ابن السوداء ، اليهودي المتمسك العالي في
تشيعة الموهوم .

والمهدية من الحركات الثورية الهدامة في التاريخ الإسلامي ، شغلت صحائفه
قروناً عديدة بما أوحى من فتن واضطرابات ، وبما أقامت من حكومات وأسقطت
من أخرى ، وبما أفسدت من عقول ساذجة ، خدعها بريق الفكرة ولونها الديني
فأجابت — دون وعي — كل ناعق وناعب ، وانساقَت — يلهبها الشعور والعاطفة —
وراء كل ثائر وداعية ، منذ فجر التاريخ الإسلامي حتى القرن المنصرم ، فاعجب
لأسطورة تسلب الناس إرادتهم ثم تخلق تاريخاً . وتاريخ كل أمة مرآتها ، وهو
رهين بنصيبها من التعليم وحفظها من الحضارة .

(١) أنظر « جولزير » Goldziher المعبدة والشريعة في الإسلام (الترجمة العربية)

الفصل الثالث

المهدية في الإسلام

لقد آن لنا بعد أن درسنا « الإمامة » في الإسلام ، وتحدثنا عن « الرحمة » ،
وعقيدة « المخلص » في الشرق القديم ، أن نلج موضوع البحث وهو « المهدي » ،
وننتقل إليه بأدواتنا في الدرس . ولا يسع الباحث إزاء هذا المعتقد إلا أن يبتدئ
بمادة اللغة نفسها كخطوة أولى من خطوات بحثه العلمي المنظم .

لفظة « المهدي » :

نبدأ بلغة الضاد نسألها — مستهدين — لنعرف ما لهذا المبنى عندها من معنى ؟
قالت اللغة : « المهدي » اسم مفعول من هدى ؛ هداه الله إلى الإيمان هدىً ،
وهديته الطريق وإلى الطريق أهديه هداية ، والمهدي : ضد الضلال وهو الرشاد .
ونحن لا نشك في عراقة هذه الكلمة في اللغة العربية ، فهي جاهلية التاريخ مولداً
ونشأة ، وليست من مستحدثات الإسلام ؛ فالهداية إلى الخير ، وإلى الطريق نجدها
— دون ريب — في العصر الجاهلي^(١) ، وجاء الإسلام مزاد في معانيها الهداية إلى

(١) كان يعيش في شبه الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام أقوام هم جيل من العرب ، هم حياتهم الخاصة ومعاييرهم الأخلاقية ومثلهم العليا ، بما فيها من سمو وكآل أو نقص وإسفاف ، ولست أجدني ميالاً إذا قلت إن هذه الحياة قد جاءتنا منقوصة ببعض الشيء على ألسنة الرواة والمؤرخين ، لسبقها للتاريخ العربي من جهة ، وللعمل من جهة أخرى على الخط منها وتشويهها إزاء البصر الإسلامي الذي اكتسحها وأعقبها وغير الكثير من عرفها .

والحق أن القرآن وهو ذلك المصدر الهام لدراسة العصر الجاهلي ، قد حدثنا عن الكثير من معائب هذا العصر وآثامه ، ولكن الباحث لا يستطيع مع ذلك أن يطبع أهل الجاهلية طابعة بطابع الإثم والرذيلة ، وما نظن أن عصرنا من المصور رسم جميع أفرادهم بمسح الخير أو الشر . وتاريخ الآداب العربية يحدثنا عن فضائل كثيرة لهؤلاء الناس الذين كانوا يضربون في صحراء شبه جزيرة العرب ويضطربون بها في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد ، وهو ذلك العصر المني دامتاً بأقب « الجاهلية » ، ذلك اللقب الإسلامي الذي لم يكن في أكبر الظن مشتقاً من الجهل بمعنى عدم .

الإيمان فأسبغ عليها ثوباً دينياً ، زادها على الألسن انتشاراً ودوراناً ، وفي العربية نمواً وبقاءً ، وإن كنا لانعثر على لفظة « المهدي » هذه في القرآن الكريم الذي خلا منها خلواً تاماً . وهذه اللفظة بمنهاها اللغوي المتقدم ، وُصف بها الرسول صلوات الله عليه في أشعار لحسان بن ثابت يرثيه بها فيقول^(١) :

ما بال عينك لا تنسام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على « المهدي » أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعث
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدى
كما امتدحه الفرزدق أيضاً بهذا اللقب في قوله^(٢) :

بقوم أبو العاصي أبوم توارثوا خلافة « مهدي » وخير الخواتم
وقد وُصف بهذه الكلمة الخلفاء الأربع ؛ جاء في الحديث : « عليكم بسنتي
وسنة خلفاء الراشدين المهديين » .

وفي العصر الأموي نجد رعيلاً من الشعراء يثدقون هذا اللقب على كثير من
خلفاء بني أمية وأمرائهم ؛ ففي سليمان بن عبد الملك يقول نهار بن تومة^(٣) :

له راية بالثغر سوداء لم تزل تُفَضُّ بها للمشركين جموع
على طاعة « المهدي » لم يبق غيرها فأبنا وأمرُ المسلمين جميع
وفي سليمان هذا يقول الفرزدق^(٤) :

==المعرفة ، وإنما هو ضد الحلم ، ويؤيده قول النبي لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، وقد
ارتأى هذا الرأي كثير من الباحثين وعلى رأسهم العلامة « جولدزيهر » Goldziher بحثين
يقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليتنا
والباحث يشك بحق فيما رواه لنا الراوون عن حياة العرب قبل الإسلام ، وبأسف لما كان
يقوم به بعض الرواة من اتعالم للأشعار واقتماع للأخبار واصطناع للرواية كادت تضيع معه
معالم الحقيقة .

(١) ديوان حسان ص ٩٧ نشر البرقوق بالقاهرة عام ١٩٢٩ .

(٢) أنظر « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١

(٣) « جولدزيهر » Goldziher « دائرة المعارف الإسلامية » مادة « مهدي » .

(٤) « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١

وأقيمت من كفّيك جبل جماعة وطاعة « مهدي » شديد النقائم وفيه أيضاً يقول جرير^(١) :

سليمان المبارك قد علمتم هو « المهدي » قد وضع السبيل وقد أطلقه جرير على النبي إبراهيم عليه السلام في قوله في النقائض^(٢) :
أبونا أبو إسحق يجمع بيننا أبٌ كان « مهدياً » نبياً مطهراً
كما أطلقه أيضاً على الخليفة الأموي هشام حيث يقول^(٣) :

فقلت لها الخليفة غير شك هو « المهدي » والحكم الرشيد
والطبري يحدثنا أن سليمان بن صُرد الأخذ بثأر الحسين قد دعا له بعد موته
بقوله : « اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي^(٤) » .

ويلاحظ بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher ، أن المسلمين المعاصرين يطلقون اسم « المهدي » على من يدخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى ؛ قال الباحث الإسلامي الكبير : « وقد تولى مشيخة الأزهر شيخان في اسميهما لقب المهدي ، الذي لا يخرج في معناه عن مدلوله الحديث ، وهما الشيخ محمد المهدي الحفني — وكان في الأصل قبلياً اسمه « هبة الله » — وتولى المشيخة من سنة ١٨١٢ إلى ١٨١٥ ، والثاني الشيخ محمد العباسي المهدي ، وقد تولى مشيخة الأزهر من سنة ١٨٧٠ إلى ١٨٩٠^(٥) » .

هذا هو المعنى اللغوي ، وهو كما تراه بسيط ساذج ، ثم أخذ يتطور ويتحور حتى طلع علينا بشيء آخر جديد ، ليس في سهولة الأول ، بل فيه كل التركيب والتمقيد ، إذ هو يقول : المهدي « إمام منتظر يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » .

(١) المقيدة والشرعية في الإسلام ص ٣٤٩

(٢) المصدر نفسه .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أنظر الطبري ج ٧ ص ٧٠ ط الحسينية .

(٥) المقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٢

قال ابن الأثير في (النهاية) ونقله ابن منظور في (اللسان) : « المهدي الذي قد هدام الله إلى الحق ، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة ، وبه سُمي « المهدي » الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان ^(١) » .
وقد امتدح سبط ابن التعاويذي الخليفة العباسي الناصر لدين الله ولقبه بالمهدي ، وقد غالى في مدحه وتمجيده حتى رأى في خلافته ما ينفى عن انتظار مهدي في آخر الزمان ، فقال ^(٢) :

أنت الإمام « المهدي » ليس لنا إمام حق — — — — —
تبدو لأبصارنا خلافاً لأن يُرغم أن الإمام منتظر
ودراسة هذا المعنى الجديد هو دراسة المهديّة وتاريخها .

الشيعة وعوامل الفكرة عندهم :

كانت الشيعة أسبق الفرق الإسلامية إلى التعاطق بهذه الأسطورة ، التي تركّز في وجودها على عاملين : خارجي يهودي ؛ فالتنبي إيليا أو إلياس الذي رفع إلى السماء ، والذي لا بدّ أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق ، هو تماماً النموذج الأول للأئمة المحترفين ، ويظهر هذا العامل اليهودي واضحاً في قول الشاعر الكيسانى كثير عزة في ابن الحنفية ^(٣) :

هو المهدي خبّره كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالى
وقد ندّد العلامة ابن حزم الظاهري الأندلسي بالقائلين بمهدية عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب ، وأنه حي يُرزق ببجبال أصفهان ، ولا بد من ظهوره ثم عَقِبَ فقال :

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٤٤ ط المطبعة المئانية سنة ١٣١١ هـ

(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٥٨ نشر « مرجليوث » Margoliouth بالقاهرة

سنة ١٩٠٣

(٣) شرح ديوان كثير ج ١ ص ٢٧٥ ط الجزائر سنة ١٩٢٨ .

« وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد ، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهرًا ، وكان عبد الله هذا رديّ الدين معطلاً مستصحبًا للدهرية .

« قال أبو محمد (هو ابن حزم) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكصديق بن عامر بن أرغش بن سام بن نوح ، والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بنؤال بن ناخور بن تارخ ، على إسحاق ابنه عليه السلام ، وإلياس عليه السلام ، وفنحاس بن الماذار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض نوكة الصوفية ، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم ^(١) » .

وكان من أثر اليهودية في المسيحية ، أن قال المسيحيون برجعة عيسى كمهدي في آخر الزمان ، ثم غزت المسيحية السوق الإسلامية ببضاعتها هذه ؛ فقال بها الإسلاميون .

وقد دخل هذا العامل اليهودي البيئية الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ الذي يتحدثنا عنه النوبختي في كتابه « فرق الشيعة » أنه كان يقول هذه المقالة في يوشع ابن نون أيام يهوديته .

أما العامل الثاني في خلق هذا المعتقد في البيئية الإسلامية ، فهو إسلامي — منزع من بيئة الإسلام — إذ عندما أفلت زمام الأمر من يد الشيعة ، وأدال الأمويون دولتهم ، وانهارت آمالهم في الخلافة وشالت نعماتهم ، حرصوا على استغلال روح الجماهير الفطرية الساذجة الحبة لآل البيت ، وبشّوا فيها هذا المعتقد ، كي لا يفقد الناس آمالهم في البيت العلوي ، ولا يهدم الخارج من هذا البيت أنصاراً تؤيده بقوة السيف وتعاونيه على تحقيق أغراضه ومطامعه .

وقد ساعدت المظالم والفظائع التي أوقعها بنو أمية بالعلويين على تمسك الجمهور بهذا المعتقد ، حتى يقول السكيت ^(٢) بن زيد الأسدي المتوفى عام ١٣٦ هـ :

(١) أنظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ج ٤ ص ١٨٠ ط مطبعة التمدن .

(٢) الهاشميات ص ٦٩ وما بعدها نشر الرافعي بالقاهرة .

فتلك ملوكُ السوء قد طال ملكهم فختّام ختّام العناء المطوّل
فيارب هل إلّا بك الصريرُ تجي عليهم وهل إلّا عليك المعوّل
ويقول^(١) :

قفل لبنى أمية حيث حلّوا وإن خفتُ المهند والقطيعا^(٢)
ألا أفيرٍ لدهرٍ كنتُ فيه هِدَانًا طائعا لكم مطيعا
أجاء الله من أشبتموه وأشع من مجوركم أجمعيا
ولا يغيب عن بالنّا أن السكيت معتدل في تشيعه ، ألا تراه يقول^(٣) :

أهوى عنيّا أمير المؤمنين ولا ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فذكّا بنتَ النبي ولا ميراثه كفرّا
الله يعلم ماذا يأتیان به يوم القيامة من عذير إذا اعتذرا

فإذا كان شعر السكيت يعبر بقوة عن مبلغ سخط المعتدلين من الشيعة ،
فُتْرى كيف كان شعور غلاتهم نحو مظالم بنى أمية ؟

يقول ابن أبي الحديد إنهم « حاربوا عليّا ، وصموا الحسن ، وقتلوا الحسين ،
وحملوا النساء على الأفقاب حواسر ، وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين ، حين
أشكل عليهم بلوغه ، كما يُصنع بذراى المشركين إذا دُخلت دورُهم عنوة ، وبعث
معاويةُ بسرّ بن أرطاة إلى اليمن ، فقتل ابني عبيد الله بن العباس ، وهما غلامان
لم يبلغا الحلم ، وقتلَ عبيدُ الله بن زياد يوم الطّف تسعة من صلب عليّ عليه السلام ،
وسبعة من صلب عقيل ، ولذلك قال ناعيم :

عين جودى بعيرة وعويل واندى إن ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب عليّ قد أصيبوا وسبعة لعقيل
« ثم إن بنى أمية تزعم أن عقيلًا أعان معاوية على عليّ عليه السلام ، فإن

(١) الهاشميات ص ٨٢

(٢) القطيع : الدوط .

(٣) الهاشميات ص ٨٣ وما بعدها .

كانوا كاذبين ، فسا أولام بالكذب ، وإن كانوا صادقين ، فسا جازوا عقيلاً بما صنع ، وضُرب عنق مسلم بن عقيل صبراً وغدراً بعد الأمان ، وقتلوا معه هانيّ ابن عروة ، لأنه آواه ونصره ، ولذلك قال الشاعر :

فإن كنت لاتدري ما الموت فانظري إلى هانيّ في السوق وابن عقيل
تريّ بطلاً قد هشمّ السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
وأكلت هند كبّد حمزة ، فنهزم آكلة الأكباد ، ومنهم كهف النفاق ، ومنهم
من نقر بين ثنيتي الحسين عليه السلام بالقضيب . . . الخ^(١) .

وفي شرح النهج أيضاً يقول أبو جعفر محمد بن علي الباقر لبعض أصحابه :

« يا فلان : ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ، وقد أخبرنا أولى الناس بالناس ، فقبالات علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجبت على الأنصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد ، حتى رجعت إلينا ، فنسكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الأمر في صمود كشود حتى قُتل ، فبيع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ، ووُثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ، ونُهبت عسكره ، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده ، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته ، وهم قليل حق قليل ، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ، ثم غدروا به ، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ، ثم لم يزل أهل البيت يُستذل ويُستضام ويُقصى ويُتمن ويُحرم ويُقتل ويُخاف ، ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لسكذبهم وجحودهم موضعاً ، يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، لخدشهم بالأحاديث الموضوعة المسكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ، ليبغضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية ، بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقُطعت الأيدي والأرجل على

(١) أنظر شرح النهج مجلد ٣ ص ٦٨ طبع القاهرة .

الظنة ، وكان من يُذكر بحبنا والانتقطاع إلينا ، سُجن أو نُهب ماله ، أو هُدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد ، إلى زمان عبيد الله بن زياد ، قاتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظمة وتهمة ، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر ، أحب إليه من أن يقال شيعة علي^(١) ... ! . وهكذا تصور لنا هذه الوثيقة الخطيرة مقدار ما أصاب العلويين من عسف ومظالم على يد بنى أمية ، حتى إن العلوى ليتستر من بطشهم بالزندقة أو الكفر وقد سئل أحد شيوخ الأمويين عن سبب سقوط دولتهم فقال — كما يروى للمعوى — : « إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا ، فيسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا » .

ولم تسكن دولة بنى أمية لعدم المخلصين من رجالها ، الذين كانوا يحذرونها دائماً عواقب سياستها الوحشية ، التي كانت تسرع بها إلى الانهيار ، فالطبرى يروى لنا كيف يتمثل العباس بن الوليد بن عبد الملك بأبيات يحذر فيها بنى أمية من سوء سياستهم ، وينذرهم بعاقبة أمرهم الوبيلة ، ويطلعهم على مقدار سخط الناس على حكومتهم ، فيقول^(٢) :

إلى أعيذكُمُ اللهُ من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلجمن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتمّ لا حسرة تغنى ولا جزع
وأكبر الظن أنه لم يكن لمثل هذه الصيحات المندرة سبيل إلى قصور بنى أمية ، فقد حالت دونها حجب اللهو وأستار العبث ، تلك التي حالت دون صيحات نصر ابن سيار ، حتى أخذ القوم إعصار فيه نار ؛ وهنا يقول العلامة « دونالدسن »

: Donaldson

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٣ ص ١٥
(٢) أنظر الطبرى ٩ ص ٨ طبع الحسينية .

« إن من المحتمل جداً أن الإخفاق الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل والتساوى ، على زمن دولة الأمويين ، كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمن ^(١) » .

ويقول العلامة « جولز زير » Goldziher :

« على أنه قد تبين أن الاحتكام إلى الله ، أو ترك الأمر لله ، الذي كان يتمثل في الامنات التي كان يصحبها الانتقياء المتذمرون على الأمويين ، كان من الأسلحة التي لا تجدى فتيلاً ، على أنه مهما يكن ، فقد كانوا يرون أن ما أذن الله به أن يكون ، لا يمكن أن يعترض عليه الإنسان ، وإذا فلا يسع المرء إلا أن يضع رجاءه في الله الذي سيحكم يوماً ما العالم المليء بالمظالم والآثام ، وتلك هي الآمال الصامته التي خرجت منها فكرة المهدي ، التي وفقت بين الواقع والمثل الأعلى ، وبدأ على أثرها الاعتقاد الراسخ في ظهور حاكم إلهي يوجهه الله توجيهاً حسناً ^(٢) » .

ولم يكن العباسيون — مع الأسف — أرفأ بآل علي من سابقهم الأمويين حتى ليقول بحق العلامة « فان فلوطن » Van Vloten :

« ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي الخنل حفراً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي ، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره ^(٣) » .
وأبو الفرج يحدثنا فيقول ^(٤) :

« جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله التميمي إلى سُوَيْفَةَ ^(٥) ، وهو طريد بنى العباس وذلك بعقب أيام بنى أمية ، وابتداء خروج ملكهم إلى بنى العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيْفَةَ ، فاستدشده عبد الله شيئاً من شعره فأشده ، فقال له : أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك ؛ فأشده :

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٣١

(٢) العقيدة والعربية في الإسلام و الترجمة العربية « ص ٧٤

(٣) السيد، العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية « الترجمة العربية » ص ١٣٢ .

(٤) أنظر الأغاني ج ١١ ص ٢٩٨ وما بعدها ط الدار .

(٥) موضع قرب المدينة كان يسكه آل علي .

تقول أمانة لما رأت نشوزى عن المضجع الأنفس
وقلة نوى على مضجعى لدى هجمة الأعين النعس
أى ، ما عراك؟ فقلت الموم م عرون أباك فلا تُبليسى^(١)
لفقد المشيرة إذ نالها سهام من الحدث لبئس
فصرعاهم فى نواحى البلا د تلتقى بأرض ولم تُرَمَس
فكم غادروا من بواكى العيو ن مَرَضَى ومن صببة بُؤَس
إذا ما ذكرنهم لم تتم لحر الموم ولم تجلس
يرجمن مثل بكاء الحما م فى مائمه قلابي المجلس
فذاك الذى غالى فاعلمى ولا تسألين فتستفحمى^(٢)
فا أَسْ لا أنس قتلاهم ولا عاش بعدهم من نسي

« قال : فلما أتى عليها ، بكى محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له عمه الحسن
ابن حسن بن على عليهم السلام : أتبكي على بنى أمية ، وأنت تريد بنى العباس
ما تريد ؟ !

« فقال : والله ياعم لقد كنا نعلمنا على بنى أمية ما نعلمنا ، فما بنو العباس إلا أقل
خوفا لله منهم ، وإن الحجة على بنى العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت
للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر^(٣) .

وفى هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع ابن الرومى (على بن العباس) ، من
قصيدة^(٤) يرنى بها يحيى بن عمر بن الحسين :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فاختشوا أو ارتجوا

(١) الإبلان : اليأس والتعير والسكرات من التم والحزن .

(٢) استنحس فلان الأخبار : نجسها .

(٣) يقصد الخليفة المنصور .

(٤) أنظر « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغاني أبى الفرج الأصفهاني ص ٦٤٦ وماسدها

طبع الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٤٩

أَكَلَ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّد
تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرًّا أُمَّةُ
بَنِي الْمَصْطَفَى كَمَا كُلُّ النَّاسِ شُلُوكُمْ
أَمَّا فِيهِمْ رَاجِعَ لِحَقِّ نَبِيِّهِ
لَقَدْ عَمَّهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ
أَبْعَدَ الْمَسْكُونِ بِالْحُسَيْنِ تَهْيِيدَكُمْ
أَجْنُثُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَاكُمُ
وَحَلَّوْا وَلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغَيْبَهُمْ
غَرَّرْتُمْ إِذَا صَدَقْتُمْ أَنَّ حَالَهُ
لَمْ يَلَمْ لَمْ فِي مَنْطَوَى الْفَيْثِ ثَائِرًا
فَيَدْرِكُ ثَارَ اللَّهِ أَصَارَ دِينِهِ
أَيُّ الْحَقِّ أَنْ يُمَسَّوْا خَمَاصًا وَأَنْتُمْ
تَمْشُونَ مَخْتَالِينَ فِي حِجْرَاتِكُمْ
وَلَيْدَهُمْ بَادِي الطَّوَى وَوَلِيدَكُمْ
وَلَمْ تَقْنَعُوا حَتَّى اسْتَنَارَتْ قُبُورُهُمْ
وَفِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا يَقُولُ أَبُو عَطَاءٍ أَفْلَحَ^(٧) بَنُ إِسَارِ السَّنْدِيِّ مَتَحَسِّرًا مُلْتَمَاعًا :
يَا لَيْتَ جُورَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا
يَا لَيْتَ عَدْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ

(١) يفسد ويضطرب ، ويريد يفسد الأمة : خلفاء بني العباس

(٢) أى غير ميين .

(٣) الغياب ، جمع غيبة ، وهى . ما يجعل فيها الناع ، والإشراج : شد الحريظة .

(٤) أى ذو لونين أسود وأبيض .

(٥) المتبلى الذراعين والساقين .

(٦) البهيم : الأسود . والديزج : ما له لون بين لوتين غير خالص لأحدهما .

(٧) من مخضرمى الدوليين ومن موالى بنى أسد ، وأحد شعراء القرن الثانى الهجرى ، وقد توفى بعد الثمانين والمائة ، راجع إن شئت ترجمته فى الأغاني ، وفى فوات الروفيات لابن شاذكر السكيتي ، وفى دائرة المعارف الإسلامية ، وفى نزهة الخواطر لابن نضر الدين الحسنى ط حيدر آباد .

ويقول الشاعر العلوى النائر الهجاء ، دعبل بن على الخزاعى المتوفى عام ٢٤٦ هـ :

وليس حىٍّ من الأحياء نعلمه من ذى يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء فى دماهم كما تشارك أيسار^(١) على جزر
قتل وأسروا وتحريق ومنهبة فقلّ الفزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إذ قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
وقال معبراً عن موجة عامة من روح الاستياء ضدّ خلفاء بني العباس :

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد
فرّ ذاك وصرّ الشؤم يتبعه وقام ذا فقام النحس والنكد
وقال فأوجع :

أنى يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسق
ولا نستطيع فى هذا المقام أن نفعل « تائية »^(٢) دعبل الرائعة ، التى يبكى فيها
آل البيت أحراراً بكاء ، وقد فجّعه ما حلّ بهم على أيدي بني أمية وبنى العباس جميعاً ،
ونذب فيها ديارهم وروبعهم ، وعزّى نفسه بخروج الإمام المهدي ، ليجزى على النعماء
والنقبات ، وقد كان الخليفة العباسى المأمون بن الرشيد ، يبكى عند سماع هذه القصيدة
ويستعيدها ، رغم نيل « دعبل » منه وهجائه له ولآبائه ، وفى هذه التائية العصماء
يقول دعبل :

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلٌ وحى مقفّرُ العرصات
ديارٌ عليّ والحسين وجعفر وحمة والسجاد ذى الثغينات^(٣)
فقا نسأل الدار التى خفّ أهلها متى عهدُها بالصوم والصلوات ؟
وإن الألى شطّتهم غربة النوى أفانين فى الآفاق مفترقات ؟

(١) الأيسار : المقامرون .

(٢) أنظرها بمعجم الأدباء ج ١١ ص ١٠٣ وما بعدها ، ط دار المأمون .

(٣) جمع ثغمة ، وهى من الإنسان ركبتة ، يريد أن ركبتة تأثرنا بكثرة السجود . والسجاد : هو على بن عبد الله بن العباس .

قبورٌ بكوفاتٍ وأخرى بطييةً وأخرى بفتح^(١) نالها صلواتي
وقبرٌ ببغدادٍ لنفس زكية تضمها الرحمن في الغرفات
قليلة زوارٍ سوى بعض زورٍ من الضمع والعقبان والرخات
لهم كل حين نومة بمضاجح لهم في نواحي الأرض مختلفات

الم تر أنى من ثلاثين حجةً أروح وأغدو دائم الحمرات
أرى فيهم في غيرهم متشماً وأيديهم من فيهم صفرات
قال رسول الله نحفُ جُوسومهم وآلُ زياد حقل القصرات^(٢)
بناتُ زياد في القصور مصونة وآلُ رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ لقطع قلبي إثرهم حمراتي
خروجُ إمام لا محالة خارجٌ يقوم على اسم الله والبركات
يميزُ فينا كل حق وباطل ويجزي على النماء والنفات
فيا نفس طيبة نم يا نفس أبشري فقير بعبد كل ما هو آت
ولما اضطلعت المتوكل على الله الخليفة العباسي شيعة علي ، وهدم قبر الحسين
فسواه بالأرض حتى لا يجمع إليه الزائرون ، قال يعقوب بن السكيت العالم اللغوي
المعروف ، وقيل البسamy الشاعر :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهودما
أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فقتلوه رميا
وأبو بكر الخوارزمي يقص علينا في رسالة له إلى شيعة نيسابور ، ما حاق بآل
البيت من محن وأحداث على أيدي بني أمية ، والزبيريين ، وبني العباس جميعاً ،
وهي دون شك وثيقة خطيرة ، نرى أنفسنا مسوقين إلى تسجيلها ، لما لها من أهمية

(١) موضع بكمة .

(٢) جمع قصرة وهي : أصل العنق .

بالغة فيما نحن بصدده ، مع اعتذارنا للقارئ لإسقاطنا بعض ما فيها من خش وإقذاع وهجر ؛ فقد كان الخوارزمي متشيعاً صادق التشيع ، فألمه وأحزنه — إلى حد بعيد — ما مئى به العلويون ، آل البيت ، من قتل ونفى وتشريد وفاقة ونحصة « من مختلف صنوف الحاكمين ، فسكتب إلى شيعة نيسابور هذه الرسالة القريذة » يؤرخ فيها للخطوب التي لحقت بالشيعة ، ويسجل منحهم ومصائبهم المتلاحقة ، منذ فجر التاريخ الإسلامى ، عقب وفاة النبي حتى أيام بنى العباس ، ويسخط فيها كل السخط على هؤلاء الذين ناصبهم العداء ، وأراقوا منهم الدماء ، وقد ألخس في سخطه هذا وأقذع فأوجع ، قال أبو بكر :

« سمعت أرشد الله سعيكم ، وجمع على التقوى أمركم ، ماتكم به السلطان الذى لا يتحمل إلا على العدل ، ولا يميل إلا على جانب الفضل ، ولا يبالي أن يمزق دينه إذا رقادنيه ، ولا يفكر فى أن يقدم رضا الله إذا وجد رضاه ، وأنتم ونحن أصلحنا الله وإياكم ، عصابة لم يرض الله لنا الدنيا ، فذخرنا للدار الأخرى ، ورغب بنا عن ثواب العاجل ، فأعد لنا ثواب الآجل ، وقسمنا قسمين : قمماً مات شهيداً ، وقسماً عاش شريداً ، فالخى يحسد الميت على ما صار إليه ، ولا يرغب بنفسه عما جرى إليه ، قال أمير المؤمنين بعسوب الدين عليه السلام : « ألحن إلى شيعة أسرع من الماء إلى الحدور » ، وهذه مقالة أسست على ألحن ، ووُلد أهلها فى طالع المزاهر والفتن ، فغاية أهلها نفص ، وقلوبهم حشوها غصص والأيام عليهم متحاملة ، والدنيا عنهم ماثله ، فإذا كنا شيعة أئمتنا فى الفرائض والسنن ، ومتبى آثارهم فى كل قببج وحسن ، فبينى أن تتبع آثارهم فى ألحن .

« غُصبت سيدتنا فاطمة ، صلوات الله عليها وعلى آله ، ميراث أبيها ، صلوات الله عليه وعلى آله ، يوم السقيفة ، وأخر أمير المؤمنين عن الخلافه ، وسُم الحسن رضى الله عنه سراً ، وقتل أخوه كرم الله وجهه جهراً ، وصلب زيد بن على بالكُناسه ، وقطع رأس زيد بن على فى المركة^(١) ، وقتل ابنه محمد وإبراهيم على

(١) كذا فى الأصل طبع بولاق وطبع الحوائى ، ورأس زيد قطع بعد المركة ، ولعل الصواب : وقطع رأس يحيى بن زيد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني ص ١٥٨ .

يد عيسى بن موسى العباسي^(١) ، ومات موسى بن جعفر في حبس هارون ، وسُمِّىَ
«طلي بن موسى بيد المؤمن» ، وهُزِمَ إدريس بفتح حتى وقع إلى الأندلس فريداً ،
ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً ، وقُتِلَ يحيى بن عبد الله بعد الأمان والامان
وبعد تأكيد اليهود والضمان . . . !

« هذا غير مافعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان ، وغير قُتِلَ محمد بن زيد
والحسن بن القاسم الداعي على أيدى آل ساسان ، وغير ماصنعه أبو السراح (كذا)
في علوية المدينة ، حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى ساسرا ، وهذا بعد قتل
قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي ، حين أخذه بأبويه ، وقد ستر نفسه ،
ووارى شخصه ، بصانع حياته ، ويدافع وقاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل
المصعبي يحمي بن عمر الزيدى خاصه ، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة
كافه ، وبحسبك أنه ليست في بيضة الإسلام بلده ، إلا وفيها لقتيل طلي تر به ،
تشارك في قتالهم الأموي والعباسي ، وأطبق عليهم المدنانى والقحطاني :

فليس حتى^٢ من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دماهم كما تشارك أبصار على جُزُر

« قادتهم الحية إلى المنية ، وكرهوا عيش الذله ، فاتوا موت العزة ، ووثقوا
بمالهم في الدار الباقية ، فسخت نفوسهم عن هذه القانية ، ثم لم يشربوا كأساً من
الموت ، إلا شربها شيعتهم وأولياؤهم ، ولا قاسوا لونا من الشدائد ، إلا قاساه
أنصارهم وأتباعهم .

« داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ، ونفى أباذر الغفاري
إلى الربد ، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي ، وغرب الأشتر النخعي ، وعدى
ابن حاتم الطائي ، وسير عمر بن زرارة إلى الشام ، ونفى كميل بن زياد إلى العراق ،

(١) كذا في الأصل طبع بولاق وطبع الجواثب ، ولعل الصواب : وقتل محمد وإبراهيم
ابن عبد الله بن الحسن على يد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ وما بعدها .

وجفا أبى بن كعب وأقصاه ، وعادى محمد بن حذيفة وناواه ، وعمل في دم محمد بن سالم ماعمل ، وفعل مع كعب ذى الخطبة مافعل !

« واتبعه في سيرته بنو أمية : يقتلون من حاربهم ، ويفقدون بمن سالمهم ، لا يحفلون المهاجري ، ولا يصونون الأنصاري ، ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس ؛ قد اتخذوا عباد الله خوفا ، ومال الله دولا ، يهدمون الكعبة ، ويستعبدون الصحابة ، ويعطلون الصلاة الموقوتة ، ويخنمون أعناق الأحرار ، ويسرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار ، وإذا فسق الأموى ، فلم يأت بالضلالة عن كلاله .

« قتل معاوية حجر بن عدى السكندی ، وعمر بن الحق الخزاعي ، بعد الأيمان المؤكدة ، والمواثيق المغلظة ، وقتل زياد بن سمية الألوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبورا ، وأوسعهم حبسا وأسرا ، حتى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله ، وختم عمره بشر أحواله ، فاتبعه ابنه ، يجهز على جرحاه ، ويقتل أبناء قتلاه إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أولا ، وعقب بالحارث ابن زياد الرياحي ، وبأبي موسى عمرو بن فرطة الأنصاري ، وحبيب بن مظهر الأسدي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، ونافع بن هلال الحلي ، وحفظلة بن أسعد الشامي ، وعابس بن أبي شبيب الشاكري ، في نيف وسبعين من جماعة شيعته ، وأمر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانيا ، ثم سلط عليهم الدعوى ابن الدعوى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ، ويقتلهم ألوان القتل ، حتى اجتث الله دابره ، ثقل الظاهر بدنائهم التي سفك ، عظيم التبعة بحريتهم الذي انتهك ، فانتبعت لنصرة أهل البيت طائفه ، أراد الله أن يخرجهم من عهدة ماصنعوا ، ويفسل عنهم وضر ما اجتروحوا ، فصمدوا صمد الفئة الباغية ، وطلبوا بدم الشهيد ، الدعوى ابن لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم ، وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم ، إلا إقداما على القتل والقتال ، وسخاء بالنفوس والأموال ، حتى قُتل

سلمان بن صرد الخزاعي ، والسيب بن نجية الفزاري ، وعبد الله بن وال النيمى ، فى رجال من خيار المؤمنين ، وعلية التابعين ، ومصاييح الأمام ، وفرسان الإسلام .

« ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار — بعد أن شق الأوتار وأدرك النار ، وأفنى الأشرار ، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل فاته ونفى خاذله — وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحر بن شميظ ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبد الله بن كامل ، وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثله ، ويقتلونهم شر قتله ، حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد ، وأراح من أخيه مصعب العباد ، فقتلها عبد الملك بن مروان (كذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) ، بعد ما حبس ابن الزبير محمد ابن الحنفية وأراد إحراقه ، ونفى عبد الله بن العباس وأكثر إرهابه .

« فلما خلت البلاد لآل مروان ، سلطوا الحجاج على الحجاز بين ثم على العراقيين فتلعّب بالهاشميين ، وأخاف الفاطميين ، وقتل شيعة على ، ومح آثار بيت النبي ، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي . واتصل البلاء مدة ملك المروانيه ، إلى الأيام العباسيه ، حتى إذا أراد الله أن يهتم مدتهم بأكثر آثامهم ، ويجعل أعظم ذنوبهم فى آخر أيامهم ، بعث على بقية الحق المهمل ، والدّين المعطل ، زيد بن على ، فخذله منافقو أهل العراق ، وقتله أحزاب أهل الشام ، وقتل معه من شيعته نصر ابن خزيمه الأسدي ومعاوية بن إسحاق الأنصارى ، وجاعة من شايعه وتابعه ، وحتى من زوجته وأدناه ، وحتى من كلّ وماشاه !

« فلما انتهكوا ذلك الحرّيم ، واقتروا ذلك الإثم العظيم ، غضب الله عليهم وانتزع الملك منهم ، فبعث عليهم أبا بجرم — لا أبا مسلم — فنظر ، لا نظر الله إليه ، إلى صلابه العلويه ، وإلى لين العباسيه ، فترك تقاه واتبع هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وسلط طواغيت خراسان ، وخوارج سجستان ، وأكراد أصفهان ، على آل أبى طالب

يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، ويطلبهم في كل سهل وجبل ، حتى ساط عليه أحب الناس إليه ، فقتله كما قتل الناس في طاعته ، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته ، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه ، وأن ركب ما لا يهواه ، وخلصت من الدوانيقي الدنيا فخطب فيها عسفا ، وتقضى فيها جوراً وحيفاً ، إلى أن بات وقد امتلأت سجونته بأهل بيت الرسالة ، ومعدن الطيب والطهارة ، قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرم ، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني بالسند ، على يد عمر بن هشام بن عمر النخعي ، فما ظنك بمن قرب مقتاوله عليه ، ولان مشه على يديه ؟ ! وهذا قليل في جنب ماقتله هارون منهم ، وقعله موسى قبله بهم ؛ فقد عرقم ما توجه على الحسن بن علي بفخ من موسى ، وما اتفق على علي بن الأفضل الحسيني من هارون ، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي ، وعلى القاسم بن علي الحسيني من حبسه ، وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله ، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة . . . !

« وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعشى ؟ فقد شتموه ! ومن شريك ؟ فقد عزلوه ! ومن هشام بن الحكم ؟ فقد أخافوه ! ومن علي بن يقطين ؟ فقد اتهموه . . . !

« فأما في الصدر الأول فقد قُتل زيد بن صرحان العبدي ، وعوقب عثمان ابن حنيف الأنصاري ، وخفي حارثة بن قدامة السعدي ، وجندب بن زهير الأزدي ، وشريح بن هاني المرادي ، ومالك بن كعب الأرحبي ، ومعمل بن قيس الرياحي ، والحارث الأعور الهمداني ، وأبو الطفيل السكناني ، وما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً ، أو عاش في بيته ذليلاً ، يسمع شتمه الوصي فلا ينسكر ، ويرى قتله الأوصياء وأولادهم فلا يغيّر ، ولا يخفي عليكم حرج عاتمتهم وحيرتهم ، كجابر الجعفي وكرشيد الهجري ، وكزارة بن أعين ، وكفلان وأبي فلان . . . ، ليس إلا أنهم رحمهم الله كانوا يتولون أولياء الله ، ويتبرأون من أعداء الله ، وكفى به جرماً عظيماً عندهم ، وعيباً كبيراً بينهم .

« وقل في بني العباس ، فإنك ستجد بحمد الله تعالى مقالا ، وجُلَّ في محابهم ، فإنك ترى ما شئت مجالا :

« يُجى فيهم فيفرق على الديلمي والتركى ، ويحمل إلى المغربى والفرغانى ، ويموت إمام من أئمة الهدى ، وسيد من سادات بيت المصطفى ، فلا تُتبع جنازته ، ولا تُخصص مقبرته ، ويموت (ضراط) لهم أو لاعب ، أو مسخرة أو ضارب ، فتحضر جنازته المدول والقضاء ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاء ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سعى ابنه علياً ، ولو لم يقتل من شيعه أهل البيت غير العلى بن حبيش قتيل داود بن على ، ولو لم يحبس فيهم غير أبى تراب المروزي ، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ ، وثائرة لا أطفأ ، وصدعاً لا يلتئم ، وجرحاً لا يلتئم ، وكفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ، ويعارضون فيها أشعار المسلمين ، فحملت أشعارهم ودونت أخبارهم ، ورواها الرواة مثل الواقدي ، ووهب بن منبه النخعي ، ومثل السكبي والشرقي بن القطامي ، والهيثم بن عدي ، وداب بن السكتاني ، وأن بعض شعراء الشيعة يتسكلم في ذكر مناقب الوصي ، بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقطع لسانه ، ويمزق ديوانه ، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي وكما أريد بالسكيت بن زيد الأسدي ، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النخعي ، وكما دُمر على دعبيل بن علي الخزاعي ، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة الجعفي ، ومن علي بن الجهم الشامي ، ليس إلا اغلوا في النصب ، واستيجابها مقت الرب ، حتى إن هارون ابن الخيزران ، وجعفر المتوكل على الشيطان — لا على الرحمن — كانا لا يعطيان مالا ، ولا يبذلان نوالا ، إلا لمن شتم آل أبي طالب ، ونصر مذهب النواصب ، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري ، ووهب بن وهب البختری ، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي ، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريب

الأصمى ، فأما فى أيام جعفر ، فقتل بكار بن عبد الله الزبيرى ، وأبى السمط ابن أبى الجون الأموى ، وابن أبى الشوارب العبشمى .

« ونحن أرشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى ، وآثرنا الدين على الدنيا ، وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا ، ولن يحمل لنا عقدة نقصان من نقص منا ؛ فإن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدا ، كلمة من الله ووصية من رسول الله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ومع اليوم غد ، وبعد السبت أحد ، قال عمار ابن ياسر ، رضى الله عنه ، يوم صفين : لو ضربونا حتى نبلغ سفوفات هجر ، لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ، ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم ، ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) ، ولولا محنة المؤمنين وقتلهم ، ودولة الكافرين وكثرتهم ، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ، ولما قال الله تعالى (ولسكن أكثرهم ليعلمون) ، ولما تبين الجزوع من الصبور ، ولا عُرف الشكور من الكفور ، ولما استحق المطيع الأجر ، ولا احتقب العاصى الوزر ، فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ، وعفدنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله ، ولكل مقامه مقال ؛ فعند الحن الصبر ، وعند النعم الشكر ، ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر ، فما شككنا فى وصيته ، وكُذِّب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة ، فما اتهمناه فى نبوته ، وعاش إبليس مدة تزيد على المئتين ، فلم ترتب فى لعنته ، وابتليتنا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ، ودُفِعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام والرضا بعد الرضا ولا مزية عندنا فى حجة إمامته ، وكان وعد الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، وسيعلم الذين ظالموا أى منقلب ينقلبون ، ولتعلمن نبأه بعد حين . . !

« اعلموا رحمكم الله أن بنى أمية الشجرة الملعونة فى القرآن ، وأتباع الطاغوت والشيطان ، جهدوا فى دفن محاسن الوصى ، واستأجروا من كذب فى الأحاديث

على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحولوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة ، والخلافة — زعموا — إلى دمشق عن الكوفة ، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال ، وقلدوا عليه الأعمال ، واصطنعوا فيه الرجال ، فاقدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ، ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله ، ولقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العترة ، ويكتم بفضائلهم بعضاً بالدليل والحجة ، لا تنفع في ذلك هيبة ، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة ، والحق عزيز وإن استذل أهله ، وكثير وإن قلّ حزبه ، والباطل ذليل وإن رصّع بالشبهه ، وقبيح وإن غطى وجهه بكل مليح ، قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفاس بني أمية :

تسمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل
غيره :

لئن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام
وقال أبو دهب الجمحي في سمة سلطان بني أمية وولاية آل بني سفيان :
تبيت السكاري من أمية نؤماً وبالطف قتل ما ينم حميمها
وقال سليمان بن قتة :

وإن قتل الطف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وقال السكيت بن زيد ، وهو جار خالد بن عبد الله القسري :
قتل لبني أمية حيث حلّوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشيعتموه وأشيع من يجوزكم أجيعا
« وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن
كرهوه ، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه ؛ قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون :

آل النبي ومن يحبهم يتطامنون مخافة القتل
(٥)

ومن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في أزل^(١)

وقال دعبل بن على ، وهو صنينة بنى العباس وشاعره :

ألم ترأى مسد ثمانين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات
وقال على بن العباس الرومى ، وهو مولى المعتصم :

لكل أوان للنبي محمد قتيل زكى بالدماء مضرّج

وقال إبراهيم بن العباس الصولى ، وهو كاتب القوم وعامهم ، في الرضا لما
قرّبه المأمون :

يئنّ عليكم بأموالكم وتطون من مائة واحدا

« وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بنى عمهم جوعاً وسعياً ، ويملاؤن ديار
الترك والديلم فضة وذهباً ، يستنصرون الغربى والفرغانى ، ويجفون المهاجرى
والأنصارى ، ويولون أنباط السواد وزارتهم ، وقُلف المعجم والطاطم قيادتهم ،
ويعمون آل أبى طالب ميراث أمهم ، وفى جددهم ، يشهى العلوى الأكلة
فُيحرّمها ، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات
الحرمين والحجاز ، تصرف إلى ابن أبى مريم المدبى ، وإلى إبراهيم الموصلى ، وابن
جامع السهمى ، وإلى زلز الضارب ، وبرصوما الزامر ، وإقطاعُ بختيشوع النصرانى
قوتُ أهل بلد ، وجارى بفا التركى ، والأفشين الأشروسى ، كفاية أمة ذات عدد ،
والموتوكل — زعموا — يتسرى باثنى عشر ألف سريره ، والسيد من سادات أهل البيت
يتعفف بزنجية أو سنده ، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاة ، وعلى
موائد المحاشنة ، وعلى طعمة السكّلابين ، ورسوم القرّادين ، وعلى غارق وعلوبة
الغنى ، وعلى زرزر ، وعمر بن بانة الملهى ، ويبخلون على الفاطمى بأكلة أو شرية ،
ويصرفونه على دائق وحبّه ، ويشترون العوادة بالبدر ، ويحرون لها ما يفي برزق

(١) في القاموس ، الأزل : الضيق والشدة .

عسكر، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس، وحرّمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والحجبة، يتكففون ضرا ويهلكون فقرا، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه بعين مريضه، ويتشدد على ذهره بنفس ضعيفه، ليس له ذنب إلا أن جده النبي، وأباه الوصي، وأمه فاطمه، وجدته خديجه، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن.

« وقد كانت في بنى أمية مخازي تذكر، ومعايب تؤثر، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين، وأمه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين، وابنه يزيد القروء، مرعى الفهود، وهادم السكمبه، ومنهب المدينة، وقاتل المقره، وصاحب يوم الحره، وكان مروان الوزغ ابن الوزغ، لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله أباه وهو في صلبه، فالحقته لعنة الله ربه، وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الأرض وشملت، وهى توليته الحجاج بن يوسف الثقفي؛ فأتاك العباد وقاتل العبيد، ومبيد الأوتاد ومخرب البلاد، وخبيث أمة محمد الذي جاءت به الفذر، وورد فيه الأثر، وكان الوليد جبار بنى أمية، وولى الحجاج على المشرق، وقرّة بن شريك على المغرب، وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظّه، ومات بشماً ونخمه، وكان يزيد صاحب سلامة وحبابه، الذي نسخ الجهاد بالخرم، وقصر أيام خلافته على العود والزمر، وأول من أغلى سعر المغنيات، وأعلن بالفاحشات، وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب، ويزيد بن معاوية من جانب، فهو ملعون بين ملعونين، وعريق في الكفر بين كافرين، وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف ابن عمر الثقفي، وكان الوليد بن يزيد خليف بنى مروان، الكافر بالرحمن، الممزق بالسهم القرآن، وأول من قال الشعر في نفي الإيمان، وجاهر بالفسوق والعصيان...! »

« وهذه المثالب، مع عظمتها وكثرتها ومع قبورها وشتمتها، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بنى العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، وفرّقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين...! »

« هؤلاء أرشدكم الله ، الأئمة المهديون الراشدون ، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون . . . ! بذلك يقف خطيب جمعهم ، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم . . . ! »
 « فإن كسد التشيع بخراسان ، فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين ، وبالجزيرة والتفرين ، وبالجليل واليفارين^(١) ؟ وإن تحمل علينا وزير أو أمير ، فإننا نتوكل على الأمير الذي لا يُعزل ، وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل ، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوه ، ولا يطلب سجلاً ولا شهادة ، وإياه تعالى نحمد على طهارة المولد ، وطيب المحتد ، ونسأله ألا يكلنا إلى أنفسنا ، ولا يحاسبنا على مقتضى علمنا ، وأن يميزنا من رعونة الحشوية ، ومن لجأج الحروريه ، وشكّ الواقفيه ، وإرجاء الخنفية ، وتحالف أقوال الشافعية ، ومكابرة البكرية ، ونصب المالكيه ، وإجبار الجهميه والنجاريه ، وكسل الراونديه ، وروايات السكيسانيه ، وجحد العثمانيه ، وتشبيه الخنبايه ، وكذب القلاة الخطاييه ، وألا يحشرنا على نصب أصفهاني ، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاشي ، ولا على إرجاء كوفي ، ولا على تشبيه قتي . ولا على جهل شامي ، ولا على تحنبل بغدادي ، ولا على قول بالباطن مغربي ، ولا على عشق لأبي حنيفة بلخي ، ولا على تناقض في القول حجازي ، ولا على مروق سبجزي ، ولا غلو في التشيع كرخي ، وأن يحشرنا في زمرة من أحببناه ، ويرزقنا شفاعه من توليناه ، إذا دعا كلّ أناس بإمامهم ، وساق كلّ فريق تحت لوائهم ، إنه سميع قريب ، يسمع ويستجيب^(٢) . »

ولا يسمنا في ختام هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة إلا أن نأسف مع الخوارزمي لما أصاب بني عليّ من كوارث وخطوب ، حتى من بني عمهم العباسيين ، بعد أن أقاموا دولتهم على نفوذهم ، وتاجروا بين الجماهير باسمهم فدعوا إلى (الرضا من آل محمد) . ولقد كانت هذه الكوارث التي صورها لنا الخوارزمي خاصة والمؤرخون عامة ،

(١) كذا بالأصول ؟

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ص ١٢٥ وما بعدها ، طبع بولاق مطبعة عبد الرحمن رشدي

من العوامل الفعالة التي زادت الشيعة تمسكاً بعقيدة المهدي ، الذي سيرفع عنهم هذه الحزن ، ويعيد إليهم حقهم المكتسب وملسكهم المسلوب .

مستقرات السبعة :

أقد حرص الشيعة أكبر الحرص على تبين الأساس الديني لهذا المعتقد — معتقد المهدي — والدفاع عنه جاهدين ضد سخرية المرتابين ، وقد استغرق ذلك صفحات عديدة من مؤلفاتهم الدينية ، وفي العصر الحديث — كما يجبرنا « جولدزيهر »^(١) Goldziher ظهر بفارس كتاب ، يدعو إلى التوفيق من الشك الذي تماظم تياره الجارف ، فأوشك أن يذهب بالإيمان بإمام العصر الخفي .

وقد رأت الشيعة في ميدان « الحديث » الواسع مستنداً ومجالاً ، فإ كان هذا الميدان الفسيح جداً يرد ذا حاجة قط ، أو يوصد بابه دون ملتجئ طارق ، وسرعان ما اختلقت الشيعة الأحاديث الكثيرة ، ووضعها مؤيدة لوجهة نظرها ، ورفعها إلى النبي ، لتصبح هذا المعتقد بصيغة إسلامية رسمية ، من ذلك قولهم :

« لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، و « نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا وحزوة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدي » ، وكقولهم « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » ، و « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » ، و « يخرج ناس من المغرب فيوطنون للمهدي » ، و « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، إلى آخر ما ابتدعوا وصنعوا وإنه لكثير . . . ١

وأمثال هذه الأحاديث لم تروها الكتب الصحيحة المشددة في الرواية ،

كصحيحى البخارى — محمد بن اسماعيل — ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وإنما روتها الكتب الأكل تشدداً ، كسنن أبى داود وابن ماجة والترمذى والنسائى ومسند أحمد ، ولقد أوسع علماء الحديث ونقدته هذه المجموعة نقداً وتفصيلاً ، ورفضها بشدة العلامة ابن خلدون فى مقدمته^(١) .

يقول العلامة « دونالدسن » Doneldson :

« ومما هو جدير بالملاحظة أن استعمال هذا المصطلح ، سبق تدوين الحديث بنحو مائتى سنة ، وهى مدة كافية لتبلور فكرة المهدى ، ولما كان القرآن نفسه لم يرد فيه ما يؤيد هذه الفكرة ، كان من الضرورى الالتجاء إلى الحديث لإثباتها ، وقد فند ابن خلدون فى مقدمته جميع الأحاديث الواردة فى هذا الصدد ، فأشار إلى عدم ورودها فى صحيحى البخارى ومسلم ، وأشار إلى أن الأحاديث الواردة فى الترمذى وأبى داود مأخوذة عن « عاصم » ، وعاصم هذا فى حديثه اضطراب ، وقد تكلم فيه ابن علية فقال : « كل من اسمه عاصم سبىء الحفظ » ، ومع هذا فبالنظر إلى عدم ذكر القرآن شيئاً عن المهدى ، وأن الأحاديث الواردة بشأنه كلها ضعيفة أو مشكوك فيها ، فإن عقيدة المهدى لا تدخل فى اعتقادات أهل السنة والجماعة^(٢) . »
ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

« والناظرون فى هذه الأحاديث من أولى البصائر ، لا يحدون فى صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله من قولها ؛ فإن فيها من الغلو والخطب فى التواريخ والإغراق فى المبالغة والحمل بأمور الناس والبعد عن سنن الله المعروفة ، ما يشر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة ، تعمّد وضعها رجال من أهل الزينغ أو المشايخين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة فى بلاد العرب أو المغرب^(٣) » .

وقد عمدت الشيعة أيضاً إلى القرآن — كما عمدت إليه سائر الطوائف الإسلامية

(١) المقدمة ص ٩٦ طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) عقيدة الشيعة ص ٢٣١

(٣) أنظر دائرة معارف وجدى مادة « مهدى » .

المتشعبة والبيئة الاختلاف — نحاول أن نجد في نصوصه تأويلاً واضحاً سهلاً ،
أو خفياً متسقاً ، يؤيد معتقدهم ، فيقولون :

قال الله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » قال ابن حجر في صواعقه : « قال مقاتل
ابن سليمان ومن تبعه من المفسرين ، إن هذه الآية نزلت في المهدي ، ولذلك فهم
ينظمونها في سلك الآيات النازلة في آل البيت ^(١) » .

وأكبر الظن أني لست في حاجة لبيان ما في هذا التفسير من مجانية لنص
القرآن ، وقد عرض علينا « جولدزيهر » Goldziher ^(٢) تفسيراً شيعياً طريفاً لسورة
« الشمس » ، يمكن به أن نكون لأنفسنا فكرة عن هذا التأويل القرآني ومدى
تعصفه ، قالوا « والشمس وضحاها (الشمس هي محمد) ، والقمر إذا تلاها (القمر
هو علي) والنهار إذا جلاها (النهار الحسن والحسين) والليل إذا يشاها (الليل
هو الأمويون) ! »

ويحدثنا ابن قتيبة الدينوري عن مدى تعصف الشيعة في تفسيرهم لآيات القرآن
فيقول : إنهم يفسرون قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » بأنها عائشة
رضي الله عنها . . . ! ويقولون في قول الله عز وجل : « قتلنا أضربوه ببعضها » إنه
طلحة والزبير ، قال ابن قتيبة : « ويقولون في الحجر والميسر إنهما أبو بكر وعمر رضي

(١) يزعم المتشيعون أن المقصود بأهل البيت في قوله تعالى « إنا يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً » إنا هو علي وفاطمة والحسن والحسين ، ومن هذا يفلتون
على ذرارهم اسم « آل البيت » ويروي الحب الطبري صاحب « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى »
أن الآية السكرية نزلت على الرسول في بيت أم سلمة ، فدعا النبي إلى وفاطمة والحسن والحسين
وجعلهم بكساء ، ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، قالت
أم سلمة : « وأنا معهم يا رسول الله » قال : أنت على مكانك وأنت على خير « والحق أن المنصود
في الآية بأهل البيت ، هن زوجات الرسول ، فالخطاب لمن قبل هذه الآية وبعدها ، وقد كان
عكرمة بنادى في الأسواق بنزول هذه الآية في نساء النبي خاصة ، فأزواج النبي — أمهات
المؤمنين — هن أهل البيت ، أما ذرية فاطمة فهم آل علي لا آل البيت آل النبي ، وهذا دون
شك ما يقره الأسلوب القرآني المنزه عن العبث والإسفاف .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٣١

الله عنهما . . . والجبت والطاغوت لإنهما معاوية وعمر بن العاص . . . مع مجائب
أرغب عن ذكرها ، ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها^(١) .

وهذا تفسير شيعي آخر طريف إلى أبعد حدود الطرافة رواه لنا الأغاني قال :
« كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالى
المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل (وأوحى ربك إلى النحل أن
اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر) ؟

« فقال له بشار : النحل التي يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ، النحل :
بنو هاشم ، وقوله (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)
يعنى العلم . . . ! فقال له بشار : أراى الله طعامك وشرابك فيما يخرج من بطون
بنى هاشم ، فقد أوسعتنا غثاءً . . . ، فغضب وشتم بشاراً ، وبلغ المهدي الخبر ،
فدعا بهما فسألها عن القصة ، فحدثته بشاراً بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ،
ثم قال للرجل : أجل ! فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم
فإنك بارد غث^(٢) . . . » .

والحق أن تفسير الشيعة لنصوص القرآن ، كان بعيداً كل البعد عن روحه
الظاهرة وعن مادة اللغة نفسها ، ولم يكن قط حائزاً لرضى أهل السنة ، أو أهل اللغة
الذين كانوا ينظرون إليه بعين السخرية والاستخفاف ، قال الشعبي — فيما يرويه
لنا ابن عبد ربه :

« ماشبهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضموف من بنى مخزوم
من أهل مكة ، وجدته قاعداً بفناء الكعبة فقال (أى للشعبي) : ما عندك في
تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يفلطون فيه ؛ يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم ،
وهو قول الشاعر :

(١) أنظر تأويل مختلف الحديث ، ص ٨٦ ط الكردى بالقاهرة .

(٢) أنظر الأغاني ص ٣٠٨ ط الدار .

بَيْتَ زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ بَفَنَانِهِ وَمَجَاشِيعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت وأشار بيده إلى الكعبة ، وزرارة : الحجر زُرَّرَ حول البيت ، فقلت له : فمَجَاشِيعُ ؟ قال : زمزم ؛ جشمت بالماء ، قلت : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلاً ثم قال : أصبته ... ؛ هو مصباح الكعبة طويل أسود ، وهو النهشل^(١) ... ! .

وتزاحم الصوفيُّ الشيعيُّ في هذا الميدان من التأويل الباطني لآيات القرآن ، وقد كتب في ذلك مشايخهم كالنستري والسلمي ومحيي الدين بن عربي . وهذا التفسير الخفي عندهم — وهم الخاصة — هو مراد الله ، وهو « الحقيقة » أما التفسير الظاهري لنصوص الكتاب عند العامة — غير الواصلين إلى مراتب المعرفة بالكشف والقناء بالادماج — فهو « الشريعة » ، والأول عند الصوفية هو الحق ؛ لاعتماده على الإشراف والكشف ، وهو معرفة تشبه إلى حد كبير — كما يقول العلامة الطيب الذكر « نيكلسون » Nicholson — فكرة الغنوصية في الديانة الملمنيستية ؛ فهي تأمل انتشائي في الله يشعر به القلب الذي غمره الضوء الإلهي ، وليس للعقل الإنساني فيها نصيب^(٢) ، وأما التفسير الثاني للقرآن وهو تفسير « الشريعة » وما يتصل به من علوم الظاهر ، فيعتمد على اللغة والفكر البشري والتلقي عن المشايخ والاستفادة من الكتب ، وهو لهذا تافه لا قيمة له ، بعيد عن الحق عند الصوفية وإخوانهم الشيعية .

ومن مستندات الشيعة أخيراً قول عليّ أو علوي في (النهج) : « لتعطفن

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١٠ وما بعدها ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وانظر ابن قتيبة : عبون الأخبار ج ٢ ص ١٤٦ ط الدار ؛ وابن قتيبة أيضاً « تأويل مختلف الحديث » ص ٨٦ ط المكردي بالقاهرة

(٢) أنظر ما كتبه في ذلك « نيكلسون » Nicholson في مجموعة دراساته التي ترجمها الأستاذ أبو العلا عفيفي باسم « في التصوف الإسلامي وتاريخه » ص ١١٥ وما بعدها .

الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس^(١) على ولدها ، وتلا عقيب ذلك (وزريد
أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) .

« قال ابن أبي الحديد : « والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب
الذي يملك الأرض في آخر الزمان ؛ وأصحابنا يقولون إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض
ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لا بد أن يكون موجوداً ، وإن كان غائباً
إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام ، أن يُخلق في آخر الوقت^(٢) » .

ولا يعزب عن بالنا أن « النهج » منحول على عليّ ، وقد صنفه محمد بن الحسين
العلوي المعروف بالرضي ؛ قال ابن شهر آشوب السَّروى وهو شيعي من أهل القرن
السادس : « الشريف الرضي الموسوي ، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين ، له
نهج البلاغة^(٣) ... الخ »

وقيل صنفه أخوه علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ، وكلاهما من أئمة الإمامية
ومن فصحاء العربية ؛ قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » :

« من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله
عنه ، فقيه السبِّ الصراح والخطُّ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،
وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين
الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين ، جزم بأن أكثره باطل^(٤) » .

وفي هذا الصدد يقول العلامة المرحوم محمد إسماعيل النجاشي :

« فتلك الأقوال في النهج ذوات الأنباء بالقيس ، وكلام ابن أبي الحديد ،

(١) الضروس : الناقة .

(٢) شرح النهج مجلد ٤ ص ٣٣٦

(٣) انظر « معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً »
لأبي شهر آشوب السَّروى رشيد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ المنشع المتوفى عام ٥٨٨ هـ ، ص ٤٤ ،
وكتابه هذا تمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبي جعفر الطوسي ، وقد نشره عباس إقبال
بطهران عام ١٣٥٣ هـ .

(٤) الإسلام الصحيح - ١ ص ٣٣٦ ط القدس .

وتلك الألفاظ المولدة في الخطب ، دح عنك المقالات الكلامية والمذاهب الإمامية والاعتزالية ، والكتابات الإغريقية والفارسية ، وتباين الأنفاس المختلفة ، وتباعد الأساليب في القول ، وأغلاط في اللغة وفي علم العربية — وإن قلت — كل ذلك يُسند ماذهب إليه (منهاج السنة) و (ميزان الاعتدال) و (مختصر إرشاد الحيارى) . ويحققه ، ويدفع كلام ابن أبي الحديد ومن ماشاء ويزهقه (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١)) .

غمرة الشيعة وألوهية الرُّوح:

سبق أن تحدثنا إليك عن عقيدة الشيعة في « الإمام » وما فيها من تقديس ، وعن نظرتهم إلى إمامهم الأول « علي » ، وما فيها من إفراط وغلو . وقد ساق هذا الإفراط بعضهم إلى أن قالوا بنبوته ، وهؤلاء هم جماعة « العُرابية » القائلين إن محمداً كان أشبه بعلي من العراب بالعراب فالتبس الأمر على جبريل وأعطى الرسالة خطأً لحمد ، ولألوم عليه في هذا الخطأ غير المقصود ، بيد أن منهم جماعة تلغنه وتكفره ؛ لأنه لا يعمد إعطاء الرسالة لمحمد^(٢) . وقال العلويون ذراع الدوسي — وقيل الأسدي صاحب فرقة العلوية — بألوهية علي ، وأنه هو الذي بعث محمداً ، وكان يدعو إلى ذمّه قائلاً إن محمداً بُعث ليدعو إلى علي ، فدعا إلى نفسه^(٣) . . . !

وقد اصطدم هؤلاء جميعاً بقول القرآن « محمد رسول الله » فذهبوا — مـوتـورين — يطعنون في القرآن وينسجون الأساطير حول شخصية علي ، فقالوا بلجول جزء إلى فيه ، فهم إذ حرمهم الواقع نبوة صاحبهم ، يعيشون في جو ميثولوجي وراء ألوهيته .

(١) الإسلام الصحيح - ص ١ من ٣٥٥

(٢) الفصل لابن حزم - ص ٤ من ١٨٣ ، وانظر الفرق بين الفرق للشيدي ص ١٥٢ ومختصره الرسمي ص ١٥٧ ، وانظر أيضاً الإسفراييني « التبصير في الدين » ص ٧٤ .

(٣) أنظر الشهرستاني « الملل والنحل » - ص ٢ من ١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

وكان أول القائلين بألوهية عليّ هو ابن سبأ ، الذي زعم أن روح الله حلت في كل نبي ، وأنها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر ، وقد انتقلت بعد وفاة محمد إلى عليّ ، ثم إلى أبنائه الذين انتقلت إليهم الإمامة ، وقد واحه ابن السوداء علياً بمقيدته هذه فقال له « أنت أنت » أى أنت الإله ، فنفاذ عليّ إلى المدائن وأحرق بالنار كثيراً من رجال فرقته « السبائية » ، الذين واجهوه أيضاً بقولهم — كما يحدثنا ابن حزم^(١) — « أنت هو » فقال لهم عليّ : « ومن هو ؟ » قالوا « أنت الله » ! فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأجّجت وألقى بهم فيها ، فجعلوا يقولون « الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله » ! وفي ذلك يقول عليّ :

نَا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارًا وَدَعَوْتُ قُبْرًا^(٢)

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد « بيان بن سيمان » — وقيل بنان — التميمي الهدي ، مؤسس فرقة « البيانية » فقد كان له في هذا المذهب شأن خطير ؛ حدثنا الشهرستاني قال :

« وهو من الغلاة القائلين بألمية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، قال : حلّ في عليّ جزء إلهي واتحد بجسده ، منه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال : (والله ما قلمت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بمحرمة غذائية ، ولكن قلمته بقوة ملكوتية)^(٣) .

بيد أن صاحبنا هذا « بيان » لم يقف عند القول بألوهية عليّ ، بل انساق وراء أضراليل ابن السوداء ، فزعم أن الجزء الإلهي قد انتقل إليه من عليّ بنوع

(١) « الفصل » ح ٤ ص ١٨٦ ، والشهرستاني ح ٢ ص ١١ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٢ ، ومختصره للرسمي ص ١٤٢ ، والنصير في الدين ص ٧١ ، وانظر كذلك « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ص ٨٧ .

(٢) قنبر : خادم عليّ ، وتلاحظ هنا أن عقوبة عليّ للسبائية بإحراقهم بالنار على مقاتلهم فيه ، لم يسبق لها نظير في الإسلام .

(٣) أنظر الملل والنحل ح ١ ص ٤٠٢ على هامش ابن حزم .

من التناسخ، بعد حلوله في محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم، فاستحق « بيان » بذلك أن يكون إماماً، وقد كتب إلى محمد الباقر يدعوه إلى نفسه، ويقول له: « أسلم تسلم — فإني لا تدري حيث يجعل الله النبوة »^(١). ولكن يبدو أن مزاعم « بيان » ومحاولته الزَّج بنفسه في عداد الأئمة بهذا الطريق الملتوى، لم تقابل من مشايخ الشيعة إلا بالاستخفاف والازدراء، مع أنه كان يؤكد إمامته بزعمه أن الله أشار إليه في القرآن بقوله « هذا بيان للناس »^(٢)، ثم كانت خاتمته على يد خالد بن عبد الله القسري، الذي أحرقه بالنار هو والمغيرة بن سميد المجلبي في يوم واحد عام ١١٩ هـ^(٣)، وقد كان المغيرة أيضاً من الغلاة في علي^(٤)، القائلين بقدرته على إحياء الموتى؛ قال ابن قتيبة: « قال الأعشى: قلت للمغيرة هل كان عليّ يحيي الموتى؟ فقال: لو شاء لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً »^(٥). وفي عام ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م كان أحد خطباء الشيعة يفتاد يدعو في خطبة الجمعة بعد الصلاة على النبي فيقول: « وعلى أخيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب مكلّم المججمة، ومحبي الأموات، البشريّ الإلهي، مكلّم الفتية أصحاب الكهف ».

وقد وُجد في العصر الحديث — كما يحدثنا « جولدزيهر » Goldziher^(٦) — من يعبد عليّاً بين فلاحي التركان، الذين يقطنون مقاطعة « قارص » (أردغان) التي تنازلت عنها تركيا لروسيا بعد الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م^(٧).

(١) الملل والنحل - ١ - ص ٢٠٥.

(٢) أنظر ابن حزم - ٤ - ص ١٨٥، وعبود الأخبار - ٢ - ص ١٤٨.

(٣) أنظر الطبري - ٨ - ص ٢٤٠ وما بعدها بالحسينية.

(٤) الصهرستاني - ٢ - ص ١٣ على هامش ابن حزم، وانظر أيضاً ابن حزم - ٤ -

(٥) عبود الأخبار - ٢ - ص ١٤٩ ط الدار.

(٦) العقيدة والصريفة في الإسلام - الترجمة العربية - ص ٣٣٢.

(٧) هذه المقاطعة هي من أملاك تركيا اليوم، وتطالب بها في إصرار روسيا السوفيتية. بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد قام العلامة « ديفتسكي » Devitzki بدراسة أحوال هذه الطائفة ومعتقداتها ، وإن كنا - مع الأسف - لم نحظ بالاطلاع على نتائج دراسته .

وقد تبرأ السيد الحيرى ، شاعر الشيعة الكيسانية من هذا الغلو في عليّ قال :^(١)
قوله غلّوا في عليّ لا أبا لهم وأحشوا أنفسهم في حبه تعباً
قالوا : هو الله : جل الله خالقنا من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا
وقال شاعر آخر هو إسحق بن سويد القدوى^(٢) :

برئت من الخوارج لست منهم من القرآن منهم وابن باب^(٣)
ومن قوم إذا ذكروا عليّاً يردون السلام على السحاب
وبعد تأليه عليّ ، نرى القول بألوهية الأئمة قد انتشر في الأوساط الشيعية ، وقالت به منهم طوائف عدة ، حدثنا عنها كثير من مؤرخى الفرق الإسلامية .
كأبى منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى عام ٤٢٩ هـ في كتابيه « أصول الدين »
و « الفرق بين الفرق » ، كما حدثنا عنها الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ،
وابن حزم في « الفصل » والشهرستاني في « الملل » ؛ فن هؤلاء القائلين بحلول
الجزء الإلهي في زعمائهم البشر ، أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ،
الذى حلّت فيه عندهم الروح الإلهية ، ومن الغلاة من ألّه أصحاب الكساء الخمسة ،
محمدّاً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا : خمسة شيء واحد ، والروح حالة
فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر ، وقد كرهوا أن يقولوا (فاطمة) بالثانيث
فقالوا (فاطم) وفي ذلك يقول شاعرهم^(٤) :

نوليت بعد الله في الدين خمسة نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً

(١) المقد الفريد لابن عبد ربه - ٢ ص ٤٠٥ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٢) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٧١ نشر الطائر ، وانظر أيضاً التبصير في الدين
للأصفهاني ص ٤١ ، والمقد الفريد - ٢ ص ٤٠٥ .
(٣) النزال ، وابن باب : كتبنا وأصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد من شيوخ المغيرة الأول .
(٤) أنظر المعبرستاني - ٢ ص ١٣ على هامش ابن حزم .

ومن « المغيرية » من قال بالوهية المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسري ، وقد كان المغيرة يقول بها في عليّ فأحرقه مولاة .

وزعمت « المنصورية » ^(١) أن أبا منصور المجلي عُرِجَ به إلى السماء ، وأن الله سبحانه مسح بيده على رأسه وقال : « يا بني بَلِّغْ عني » وأُنْزِلَ بعد ذلك إلى الأرض فهو « السكسف » الساقط من السماء ، وهو المعنى بقوله تعالى : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » إلى آخر الآية ، فقيل لهذه الطائفة « السكسفية » ، وكانت خاتمة أبي منصور هذا على يد والي السكوفة يوسف بن عمر أيام هشام بن عبد الملك . وهناك أتباع أبي الخطّاب الأسدي ^(٢) الذين يؤمنون جمعراً الصادق ، والمنفَعُ الخراساني ، الذي زعم أن روح الإله قد حلت فيه بعد أبي مسلم ، وتابعه في دعواه هذه أشياء وأنصار ^(٣) ، وغير هؤلاء كثيرون!

ولا يسع الباحث إلا أن يتساءل : من أي مصدر استقت الشيعة هذه التعاليم ؟ ومن ذلك الذي جلب بذورها ورمى بها في تربة الإسلام الشيعي ، فكان لها أسوأ الأثر لدى جمهور أهل السُنّة ، والمنصفين من الفرق الإسلامية الأخرى ؟

نحن لا نشك في أن للنقاش المسيحي حول شخصية « يسوع » ، ولتلك المسيحية الفلاسفة التي ناقشت طبيعة « المسيح وعيسى » - لاهوته وناسوته - تلك التي اختط منهاجها « أوريجانوس » Origenes (١٨٥ - ٢٥٤ م) ، أقول : كان لذلك دون ريب أكبر الأثر في القول بحلول الجزء الإلهي في أئمة الشيعة ، ونحن لا نشك كذلك في أن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية من المسيحية الفلاسفة ، وزعمها في عليّ وذريته ، وقد زجَّجَ بها - كما عودنا في كثير من المعتقدات

(١) الشهرستاني ٢ - ١٤ ومايهدا ، وابن حزم ٤ - ١٨٥ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٩ ، ومختصره ص ١٣٤ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢ - ١٦ ، وانظر ابن حزم ٤ - ١٨٧ والبهنادي في الفرق ص ١٥٠ ، ومختصر الزمعي ص ١٣٥ .

(٣) أنظر التبصير في الدين للأسفراني ص ٧٦ ومايهدا .

والمذاهب الأجنبية - في البيئة الإسلامية ، لا سيما تلك التي تقدّس « آل البيت » ،
فنمت وازدهرت وما زال يترقق في أغصانها ماء الحياة حتى العصور الحديثة .
وإننا لنأنس في هذا الصدد بما يحدثنا به العلامة الشمرستاني إذ يقول :
« وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب
اليهود والنصارى ؛ إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ،
فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق
بعض الأئمة » ^(١) .

ويقول ابن خلدون :

« ومنهم طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حدَّ العقل والإيمان في القول بالوهمية
هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل في ذاته
البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه » ^(٢) .

(١) أنظار الملل والنحل ج ٢ ص ١٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية -

(٢) أنظار المقدمة ص ٩٦ وما بعدها ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

المهدي عند الشيعة

مهدي الشيعة ، إمام من أئمتهم الختفين ؛ له كل ما للإمام الظاهر من خصائص روحية ، ولا بد من ظهوره بعد اختفاء ، تؤيده العناية الإلهية ، وليس ظهوره فقط لتخليص العالم وتطهيره من الجور ، ولكن لينتصر أيضاً آل البيت الذين ذاقوا صنوف الحسف من مختلف الحاكمين .

وليس هذا المهدي الختفي في عزلة تامة عن شيعته ، بل يتصل به الصفوة منهم اتصالاً شخصياً مباشراً ؛ روى الشعراني — فيما حدثنا به « جولدزهر »^(١) Goldziher — عن الصوفي حسن العراق أنه في حديثه — وهو مقيم بدمشق — قد أضاف المهدي وقراء أسبوعاً كاملاً ، وأخذ عنه أساليب الذكر والزهادة ، وأن الفضل في طول عمره يرجع إليه . وقد كانت سن العراق عندما روى عنه الشعراني روايته هذه سبعمائة وعشرين ومائة سنة .

وليس حتماً أن يكون الاتصال بالمهدي شخصياً ، بل يجوز أن يكون بطريق التراسل ، وقد قال رواة الشيعة ، إن بعض علمائهم في التفسير قد راسل المهدي لاستجلاء بعض المسائل الغامضة في أبواب التشريع الإسلامي الشيعي ، كما يقولون إن علي بن بابويه القمي — والد الفقيه المتهيج أبي جعفر محمد المعروف بالصدوق والمتوفى بالري عام ٣٥١ هـ^(٢) = ٩٩١ م — قد أرسل طلباً مكتوباً إلى المهدي — وهو هنا مهدي الإمامية الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري — مع رجل يدعى علي بن جعفر بن الأسود ، يسأله فيه أن ينشفع له عند الله ليرزقه القريب ويرفع عنه محنة العقم ، فنسلم بعد قليل براءة مكتوبة من المهدي ، بشره فيها بولدين كان الفقيه

(١) العقيدة والتشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٥ .

(٢) ذكرت « دائرة المعارف الإسلامية » أن تاريخ وفاته الهجري هو عام ٣٨١ ، راجع هذه المادة في المجلد الأول من الترجمة العربية للدائرة .

أبو جعفر الصدوق أكبرهما ، وكان كثيراً ما يقتخر هذا الفقيه ، بأنه مدين بوجوده لبشرى « صاحب الأمر »^(١) .

ولهدى الشيعة كثير من خصائص الأنبياء السابقين ، قال صاحب الكافي^١ :
« قال الصادق : نظرت في صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر الذي خص الله به محمداً والأئمة من بعده ، وتأملت فيه مولد غائبنا ، وغيبته ، وإطاءه ، وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدر ذكره : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) بمعنى الولاية . قلنا يا ابن رسول الله ، كرمنا وشرّفنا ببعض ما أنت تعرفه من علم ذلك : قال : إن الله جعل في القائم منا سنناً من سنن أنبيائه ؛ سنة من نوح : طول العمر ، وسنة من إبراهيم : خفاء الولادة واعتزال الناس ، وسنة من موسى : الخوف والفيبة ، وسنة من عيسى : اختلاف الناس فيه ، وسنة من أيوب : الفرج بعد البلوى ، وسنة من محمد : الخروج بالسيف يهتدى بهداه ويسير بسيرته »^(٢)

وسيتظهر بظهور المهدي ، ذلك التراث الضخم الذي انحدر إلى الأئمة من الإمام الأول على^٢ ، والذي ظل عندهم سرّاً مكتوماً ، والسكافي يحدثنا عن شيء من هذا التراث الذي سيروّده المهدي ؛ فيكون معه حجر موسى ؛ به يطعم جيشه ويسقيه ، والجفران — الأكبر والأصغر — ، ومصحف على^٣ . ومصحف فاطمة ، والجامعة ، وصحيفتان ؛ إحداها فيها أسماء شيعته وأنصاره إلى يوم القيامة ، وفي الأخرى أسماء أعدائه كذلك ، وسيكون معه أيضاً درع النبي وسيفه ذو الفقار^(٤) .

والجفران — كما تقول الشيعة — إهاب ماعز وإهاب كبش ؛ فيهما زبور داود

(١) أحد ألقاب مهدي الاثني عشرية ، محمد بن الحسن العسكري ، الخنفي في السرداب منذ عشرة قرون ونيف ، وانظر فيما يتعلق بموضوع ابن بابويه القمي كتاب « جولدزهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤٥ .

(٢) أنظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٩٩ نشر الخانعي بالمعاصرة .

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ وما بعدها .

«توراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء . ومن مضى من علماء بني إسرائيل ، وفيهما عامة الحلال والحرام ، وعلم ما كان وما يكون . وقد أطلقت لفظة « الجفر » على الكتب الخفية الغامضة التي تبحث في التنبؤات عامة ، وتناول هذه الكتب وشرحها ، هو موضوع اهتمام المشتغلين بالسر والطلاسم ، وكثيراً ما أسهم الصوفي الكبير محي الدين بن عربي ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، بنصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب .

وقد سخر ابن قتيبة من تفسير الروافض للقرآن الكريم ، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعد بن هارون العجلي ، وقال فيه ^(١) :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا : إله ، ومنهم طوائف سمته النبي المطهرا
فإن كان يرضى ما يقولون جعفر فإني إلى ربي أقار جعفرا
ومن عجب لم أقضه جلد جعفرم برئت إلى الرحمن ممن تجعرا
وقد سخر أيضاً شاعر المعرة ، أبو العلاء — الفيلسوف الإسلامي المنشأ — من جفر الشيعة في قوله ^(٢) :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك ^(٣) جفر
ومرأة المنجم وهي صفري أرته كل عامرة وقفر
أما مصحف علي ، فهو عندم القرآن الصحيح الذي نزل به جبريل من السماء ، وهو يختلف عن مصحف السنة ؛ روى الكافي عن الصادق أن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة آلاف آية ، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتين وثلاث

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها ط (الدار) ، وانظر « تأويل مختلف الحديث » ص ٨٥ ، وانظر أيضاً البغدادي « الفرق بين الفرق » ص ١٥٣ وما بعدها .
(٢) التزويبات ج ١ ص ٣٩٠ ط المحروسة ١٨٩١ م .
(٣) المسك : الجلد .

وستون آية فقط ، والبواقى مخزونة عند أهل البيت ، فيها جمعه على بن أبى طالب ؛ قال الكليني : « إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فها جمعه وحفظه كما نزله الله إلا على ابن أبى طالب والأئمة من بعده » ^(١) . وليس مصحف السنة ناقصاً فحسب ، بل هو عند غلاة الشيعة مغيرٌ مبدلٌ ؛ تسمّد جامعه حذف الآيات النازلة فى علىّ ووضع أخرى مكانها فى محمد ؛ قال عبد القاهر البغدادي :

« والخلاف الثالث مع الروافض الذين قالوا : لاحجة اليوم فى القياس والسنة ولا فى شيء من القرآن ، لدعواهم وقوع التحريف فيه من الصحابة ، وقد زعموا أن الحجة ، إنما هو قول الإمام الذى ينتظرونه ، وهم قبل ظهوره فى التيه حيارى ، إلى أن يستنقذهم الإمام الذى ينتظرونه ، إذا ظهر ، بزعمهم » ^(٢) .

وقال ابن حزم : « ومن قول الإمامية كلّها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدلٌ ؛ زيدٌ فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبُدِّل منه كثير » ^(٣) . وأما مصحف فاطمة ، فهو قرآن من نوع آخر ، مخزون عند آل البيت ، إلى أن يخرج به المهدي ؛ روى الكليني :

« قال الصادق : هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ؛ مكثت فاطمة بعد النبي خمساً وسبعين يوماً ، صُبَّت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها وعما يحدث لذريتها ، وكان علىّ يستمع ويكتب ماسم ، حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه شيء من حلال ومن حرام ، ولكن فيه علم ما يكون » ^(٤) .
و « الجامعة » قالوا : هى صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه

(١) السكافي ١ ص ١١٠ ، وانظر الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جاره الله ص ٢٣ ، وانظر أيضاً « التبصير فى الدين » للأستقرائى ص ٢٤ وما بعدها .
(٢) أنظر « أصول الدين » ص ١٩ ط استانبول ١٩٢٨ م .
(٣) « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ج ٤ ص ١٨٢ ط مطبعة التمدن .
(٤) السكافي ١ ص ١١٥ ، وانظر أيضاً « الوشيعة » ص ٩٨ .

«فإناس وهمي من إماماء النبي وخط على»^(١) . . .

ويهبز الإسلام الشئ بكل هذا التراث الموهوم ، ويعدده من الشيعة سرقة في القول وشططاً بل خلطاً وخبطاً ، ويقطع أهل السنة بكفر من شك في القرآن ، أو قال بنقصه أو تبذيله ، مجهمين على أن مصحف عثمان هو تماماً الذي هبط به جبريل على محمد ، كما ينكرون نزول جبريل من السماء بعد موت الرسول ، ويشكون — محقين — في إسناد ما يروى من أمثال هذه الأقوال إلى جعفر الصادق .

وجعفر الصادق هذا الذي ينقل عنه الكافي — بخارى الشيعة — بكثرة ظاهرة ، وترتفع إليه روايات الشيعة مسندة أو دون إسناد ! هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر ، فهو علوي الأب بكرى الأم ، وفي هذا الصدد يقول الشريف الرضي :

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد ولقرابته هذه من جده الخليفة الأول أبي بكر ، كان يُنظر إليه دائماً نظرة فيها الكثير من الاحترام والاعتدال ، والصادق سادس الأئمة الاثني عشرية ، وقد لُقّب بالصادق لصدقه في القول ، كما لُقّب أبوه محمد بالباقر لتبقره في العلم أي توسعه فيه . وقد وُلد جعفر عام ٨٠ هـ وتوفي في شوال عام ١٤٨ هـ في العام العاشر من حكم الخليفة أبي جعفر المنصور ، ودفن ببيقاع الفرقد بالمدينة مع أبيه وجده وعم جده الحسن بن علي .

ويحتل الصادق لدى جمهور أهل السنة مكانة محترمة ، لذلك يشكون في كل ما ينسب إليه من أقوال بعيدة عن روح الإسلام السني ، الذي يظهر أن الصادق لم يؤخذ عليه في حياته ما يتناقض معها أو يبدو غريباً عنها^(٢) . وقد زعمت

(١) « الوشيعة » ص ٩٨ .

(٢) يؤيد ذلك ما رواه العلامة الأوسى ، إذ يحدثنا فيقول :

« وأطلق بعض الثلاثة من الشيعة القول بالإجماع إلى الأئمة الأطهار ، وهم رضي الله تعالى عنهم بمنزل عن قبول قول أولئك الأشرار ؛ فقد روى أن سديراً الصيرفي سأل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فقال :

« النأوسية »^(١) أن جعفرأ هذا هو المهدي المنتظر ؛ فقالت بحياته وعدم موته حتى يظهر ويظهر أسره ، ورووا عنه أنه قال : « لورأيتم رأسي يُذهذه عليكم من الجبل فلا تصدقوا ، فإني صاحبكم صاحب السيف » .

ونحن لانعلم إلا القليل عن أوصاف الصادق الحسنية ، إلا أنه كان أبيض الوجه والجسم أشم الأنف حالك الشعر ، ولم يُذكر كذلك إلا القليل عن حياته البيتية غير أننا نعلم أنه أعقب أولاداً عشرة ، سبعة ذكور وثلاث بنات من أمهات مختلفات ومن نساء كان يتسراهن . أما في عالم السياسة فلم يكن له — فيما يظهر — شأن خطير في ميدانها ، بل كان يمتاز بطابع الزهد في الدنيا والابتعاد عن ذوى السلطان ، سواء أكان ذلك عن تقية منه أو عن عقيدة ومبدأ ، وقد بدا هذا الطابع السلبي في موقفه من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ؛ فقد كتب إليه :

« لم لا نغشانا كما تغشانا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوكم له ، ولا أنت في نعمة فتهنيك بها ، ولا نعدّها نعمة فنمزيك لها » ، فكتب إليه المنصور : « نصحبنا لتصححنا » ، فأجابه الصادق بقوله : « من يطلب الدنيا لا يصححك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك »^(٢) .

حكى المسعودي^(٣) أن أبا سلمة (داعية العباسيين) حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام ، أضرع الرجوع — عما كان إليه من الدعوة العباسية — إلى آل أبي طالب

== جعلت فداك ، إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرتم ، حتى قال بعضهم : إن الإمام ينكت في أذنه ، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف في قلبه ، وقال آخرون : يرى في منامه . وقال آخرون : إنما يفتي بكتب آبائه ...! فبأى جوابهم آخذ يجمانى الله فداك ؟ .

« قال : لا تأخذ بشيء مما يقولون يأسدير ، نحن حجج الله تعالى وأماؤه على خلقه ؟ حللنا من كتاب الله تعالى وحرامنا منه » . أنظر تفسير الألوسي > ٧ ص ٦٥ ط بولاق .

(١) أنظر المهرستاني > ٢ ص ٣ على هامش ابن حزم ، وأنظر أيضاً ابن حزم > ٤ ص ١٨٠ ، والفرق بين الفرق > ٣٨ وما بعدها ، وعنصره لفرسني > ٥٦ .

(٢) الكشكول لبهاء الدين العاملي > ١ ص ١٢٩ ط بولاق .

(٣) أنظر صروح الذهب > ٨ ص ٢٨ وما بعدها على هامش ابن الأثير .

فبعث بكتابين مع رسول إلى المدينة ؛ أحدها إلى جعفر (الصادق) ، والآخر إلى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب فلما وصل الرسول إلى جعفر ، أعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه ليلاً ، فقال جعفر : وما أنا وأبو سلمة ، وأبو سلمة شيعة لغيري ؟ قال له : إني رسول فتقرأ كتابه وتحببه بما رأيت ، فدعا جعفر بسراج ، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال : للرسول : عرّف صاحبك بما رأيت ، ثم تمثل بقول الكهيت :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويأحاطباً في غير حبلك تحطبُ

ومهما يكن من شيء فلقد كان لموقف الصادق السلي أثر كبير في نجاته من اضطهاد بني أمية وبني العباس على السواء ، في عصر كان يموج بالفساد والفتن ، وقد اكتسب الصادق بسياسته هذه ، رضي الخليفة الصارم أبي جعفر المنصور ، حتى ليحدثنا ابن واضح اليعقوبي فيقول :

« قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع ، وقال لي : ماعلت ما نزل بأهلك ؟ فقلت وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي ، فقلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : جعفر بن محمد ، فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه ، فقال لي : إن جعفرأ كان ممن قال الله فيه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات^(١) . »

وقد عُرف الصادق — كأبيه — بعلمه الفياض الغزير ، لاسيما درايته الواسعة بالحديث ؛ قال الشهرستاني :

« وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يقيد الشيعة المنتقمين إليه ، ويُفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة

(١) أنظر تاريخ ابن واضح ج ٣ ص ١١٢ ط النجف بالعراق ١٣٥٨ هـ .

قط ، ولانازع أحداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تولى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط^(١) .

وقد تتلذذ عليه عالم المدينة الإمام مالك بن أنس ، واستمع إليه عالم العراق أبو حنيفة النعمان . ويقال إنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء ، وقد نسب إليه كتاب « الجفر » ، وذكر ابن خلكان^(٢) أن من تلامذته جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي ، الذي جمع رسائل أستاذه وهي خمسمائة في كتاب ، يشتمل على ألف ورقة . والصادق يشغل — كما قلنا — في كتب الشيعة مكاناً ملحوظاً ؛ فلا يكاد يخلو كتاب من إسناده أقوال وأحاديث وروايات إليه ، « ولم يرو عن أحد من أهل بيته ماروياً عنه ، حتى قال الحسن بن علي الوشاء — من أصحاب الرضا — : أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد السكوفة) تسعة عشر شيخاً ، كل يقول : حدثني جعفر بن محمد . . . وذكروا أن الرواة عنه بلغوا نحو أربعة آلاف رجل^(٣) » . ونحن لانشك في وضع الكثير من تلك الأقوال على لسانه ؛ قال الشهرستاني : « لكن الشيعة بعده اختلفوا ، وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروجه على أصحابه ، فنسب إليه ورواه به ؛ والسيد يرى من ذلك^(٤) . . . » .

وقد اختلف في الصادق رجال الحديث ، فالبخاري أسقط روايته^(٥) ، وقال يحيى ابن سعيد « في نفسي منه شيء » وقال القطان : « مجالده أحب إلي منه^(٦) » ، وقد وثقه الشافعي ، ويحيى بن معين وابن عدي وغيرهم^(٧) ، ويصفه الذهبي بأنه

(١) اللؤلؤ والنحل ج ١ ص ٢٢٤ و ج ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) وفیات الأعيان ج ١ ص ١٠٥ ط الحلبي ، وانظر أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٢٢٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٣) أعيان الشيعة لمحسن الأمين العامل ج ٤ ص ٦٥٠ ط دمشق .

(٤) اللؤلؤ والنحل ج ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٥) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٧ ط حيدر آباد ١٣٣٣ هـ ، وانظر أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٢٢٠ .

(٦) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٧) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ ، وانظر ضحى الإسلام

لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٦٥

سيد بنى هاشم^(١) ، وقال ابن حبان : « كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً ، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه . . . » ، وقد اعتبرت حديث الثقات عنه ، فראيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأنبات ، ومن الحال أن يلصق به ما جناه غيره^(٢) . . . » .

أما تلك المؤلفات التي تحمل اسم الصادق في التنجيم والسحر والكيمياء ، فنحن لانشك في أنها قد دُست عليه فيما بعد .

ولابد لنا قبل أن نختم هذا الفصل ، أن نعالج مسألة وقت ظهور مهدى الشيعة وخروجه من مخبأه فنقول : لعل من الطبعي أن يميل أنصار هذا المعتقد إلى تحديد اللحظة التي يظهر فيها إمامهم المهدي ، متلهفين قلقين ، مشرئين أعناقهم واجفة قلوبهم ، كما أوضحنا في حديثنا عن « الرجعة » . وقد قام بهذه المحاولة بعض من الصوفية والشيعة ، الذين سلكوا — كما يقول « جولدزهر »^(٣) Goldziher — نفس الطريق الذي سلكه فقهاء اليهود ، فقد سبق أن قام هؤلاء بحسابات تأويلية في هذا الصدد ، انتهجها الإسلاميون فأولوا آيات القرآن الكريم ، وحاولوا جذبها إليهم جذباً عنيفاً ، وتفسيرها تفسيراً متعسفاً ، كما قاموا أيضاً بحسابات ونجيمات للحروف والأعداد ، ليصلوا من ذلك كله إلى تحديد الوقت الذي يظهر فيه إمامهم الخفي . ولم تصادف هذه المحاولة نجاحاً ولا قبولاً في الإسلام الشيعي بوجه عام ؛ إذ لم يرق هذا الصنيع لدى أقطاب التشيع المعتدل ، فنددوا بهؤلاء « الموقتين » ووصمهم بالخداع والتدجيل ، وحظروا الاشتغال بمثل هذه المسألة ، محتجين في ذلك بأقوال وروايات للأئمة ، وهذه الروايات تؤلف في « الكافي » فصلاً خاصاً هو « باب كراهية التوقيت »^(٤) . وقد ألف أحد غلاة الشيعة وهو محمد بن حسن القمي

(١) أنظر دول الإسلام للذهبي = ١ ص ٧٢ ط حيدر آباد ١٣٦٤ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني = ٢ ص ١٠٣ ط حيدر آباد .

(٣) المقيدة والحرية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٣ .

(٤) الكافي للكليني = ١ ص ١١٥ وما بعدها .

— المعروف بوضعه للحديث — كتاباً وسمه باسم « وقت خروج القائم ^(١) » ذهب فيه إلى تحديد الوقت الذي سيظهر فيه المهدي ، ولم يصل هذا الكتاب إلى أيدينا ، حتى نستطيع أن نرى فيه فلسفة « التوقيت » اليهودية ومبلغ نضجها .
ومهما يكن من شيء ، لم تصادف هذه الفلسفة لدى الشيعة قبولاً ، من جراء ما قوبلت به من معارضة ورفض ، ويدللك على مبلغ رفضها لدى معتدلي الشيعة ، أن كتاب تراجمهم — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » ^(٢) Goldziher — إذا تحدثوا عن أحد علماء الكلام الشيعي ، قالوا — خطأ له وتنكيراً منه — « إنه من المبائين في الوقت » أي في تقدير وقت ظهور المهدي .

(١) أنظر « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٣٣٨

(٢) « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٣٣٨

الفصل الرابع

فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد

لقد ذهب أهل التشيع في معتقداتهم مذاهب شتى ؛ فتعددت فرقهم وكثرت طوائفهم كثرة بالغة ، بيد أنهم يرجعون في جملتهم إلى أربع فرق رئيسية : سبئية ، وكيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وسنحاول التحدث عن « المهديّة » عند كل فرقة من هذه الفرق .

السبائية :

أسبق فرق الشيعة ظهوراً على مسرح التاريخ الإسلامى ، وإن سبىها متشيعون ، لكن لا معنى لفرقة ذات عقائد وكيان ؛ بل بمعنى أنصار وأشياع ، وهذا هو المعنى اللغوى لفظ « الشيعة » . وشيعة على « أنصار على » ، هم أولئك الذين اتفوا حوله وامتنعوا عن مبايعة أبى بكر ، ساخطين على مؤتمر السقيفة ، الذى أهدر حقوق بنى هاشم ، وتناسى قرابتهم للرسول صاحب الأمر ، فخطَّ بذلك أول سطر فى ظلم « آل البيت » الذى عجّت به صحائفهم الحراء الدامية من مختلف الحاكمين . وفى هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمى^(١) :

حَمَلُوهَا يَوْمَ « السَّقِيفَةِ » أَوْزَا رَأَى تَحَنُّفَ الْجِبَالِ وَهِيَ تَقَالُ
يَالَهَا سُوءَةً إِذَا « أَحَدٌ » قَا مَ غَدَاً بَيْنَهُمْ فَقَالَ وَقَالُوا
وَيَقُولُ أَيْضاً^(٢) :

وَقَدْ جَمَلَ^(٣) الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ لِحَيْدَرٍ^(٤) بِالْخَبَرِ الْمُسْتَدِرِّ

(١) ديوان مهيار ح ٣ ص ١٦ ط البار .

(٢) المصدر السابق ح ١ ص ٢٩٩ .

(٣) الضمير يعود على الرسول عليه السلام .

(٤) من ألقاب على بن أبى طالب .

وسمّاه مولّى بإقرار من لو اتّبع الحقّ لم ينجّد
يعزّلى « هاشم » و « النبي » تلاعبُ نعيم بها أو عدّى^(١)

أما « الشيعة » السبّاية ، فهم أصحاب ابن السوداء عبد الله بن سبأ البني ،
أحد أخصّاء اليهود الذين ساءت لهم الدعوة الإسلامية ، بقائدها البسيطة السهلة السمحة ،
التي كانت أكبر عامل في انتشارها وكثرة معتقبيها ، كما ساء لهم ظفرها ، إن في ميدان
الحجّة أو السيف ، فقد كانت تخرج دائماً من الميدانين أكثر أنصاراً وأعمّ ذيوماً .
وأشدّ عوداً وأصلب مكسراً ؛ فعمد هؤلاء اليهود الحنفون إلى التظاهر بالإسلام ،
ثم التشيع لآل البيت — وهم الجانب الذي يبدو مظلوماً لدى الجماهير — فاكتموا
ذلك رضى العامة وثقتهم ، ونالوا حظاً من العطف والإعجاب ساعدهم على بثّ
معتقداتهم المذمّمة وأفكارهم الغريبة ، التي تبثت على الشك أو تحاول العبث
بأصول الدين ، بغية هدم المجتمع الإسلامي وتقويض بنيانه ، وقد أغرق هؤلاء
الأخبار المتسلّمون الغرضون ، السوق الإسلامية ببضاعاتهم وإسرائيلياتهم ، التي
سرعان ما نفقت وراجت وطفعت بها كتب « التفسير » ، واتسع بها ميدان
« الحديث » ، واشتغلت بها العقول بين رفض وقبول .

وقد كان عبد الله بن سبأ ، أحد هؤلاء الأخبار ، ورأس كل الفتن والاضطرابات
التي حاقت بالمجتمع الإسلامي الأول ، وقد شك بعض الباحثين في شخصيته ووجوده ،
غير أن البحث العلمي حدا بالعلماء أخيراً إلى الاعتراف به كشخص له وجود تاريخي
وكيان حقيقي ، وقد ظهر هذا الداعي المتنقل في خلافة عثمان ، وأخذ يقطع البلاد
الإسلامية طويلاً وعرضاً ، يحاول بذلك « إضلال المسلمين » على حد تعبير الطبري^(٢) .
وأصله من صناع اليمن ، وقد طوّف بالحجاز ومدينتي البصرة والكوفة بالعراق ، ثم توجه
إلى الشام ، واستقر أخيراً في مصر ، حيث قام فيها بدور رئيسي هام في المؤامرة الواسعة

(١) « تيم » قبيلة أبي بكر ، و « عدى » قبيلة عمر بن الخطاب .

(٢) الطبري ج ٥ ص ٩٨ ط الحسينية .

النطاق التي حيكت حول عثمان ، عاملاً بذلك على مناصرة عليّ ، الذي كان يظهر دائماً في صورة المظلوم من الخلفاء السابقين له ، المتعصبين لحقه المنصوص عليه من الله . وقد كان الناقون في خلافة عثمان ، يكتاتيون صاحبنا هذا سرّاً ، فيملاً قلوبهم غيظاً وصدورهم حنقاً وعقولهم فساداً ، حتى إذا أثمرت بذور الشر التي بذرها ، وعلى مرّج الأمة الإسلامية ، سار مع الركب الذي توجه من مصر إلى المدينة ، قبل مقتل عثمان محرّضاً على الثورة^(١) .

وابن سبأ هو مؤسس فرقة السبائية التي تحمل اسمه ، والتي تعتبر — كما قلنا — أسبق فرق الشيعة وجوداً في التاريخ . وكازجّ هذا اليهودى بنظرية « الجزء الإلهي » في البيئة الإسلامية ، وبالتالي « الوهية عليّ »^(٢) كذلك زجّ بعقيدة « المهدي » فسكان أول القائلين بها ، وقد زعمها أيضاً في صاحبه عليّ ، الذي وجد فيه مزرعة لتجار به وحقلاً لعقائده ، مستعيناً في ذلك بقرابة عليّ من الرسول ومصاهرته له ، وكيد مؤتمر السقيفة به ، وعطف الناس عليه والتفافهم حوله ، وقد برّم عليّ رضوان الله عليه بادعاءات ابن السوداء التي زعمها فيه من تأليه ووصاية ومهدية ، وضاق بها وبه ذرعاً ، فهمّ بقتله — بعد أن أحرق بالنار كثيراً من أتباعه^(٣) — فصاح الناس : « يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعو إلى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك ؟ »^(٤) . ويدلنا هذا القول على مقدار تمكن ابن السوداء عند الجماهير وجبّهم له ، كما يدلنا على تعلقهم بعليّ وآل بيته ، وقد استجاب عليّ لنداء القوم ،

(١) الطبري صفحة ١٠٤

(٢) أنظر صفحة ٧٦ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر كتابنا أيضاً والصفحة نفسها

(٤) قال البغدادي : « وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة ، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل السكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لسكل نبي وصياً ، وأن علياً رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمداً خير الأنبياء ؛ فلما سمع ذلك منه شيعة على ، قالوا لى : إنه من محبيك ، فرغ على قدره وأجلسه تحت درجة منبره » أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٤ ، نشر العطار بالقاهرة .

أو مختصره للرسعنى ص ١٤٣

«فنفى ابن السوداء إلى ساباط المدائن ، خوفاً من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه كما يقول البغدادي^(١) .

وفي المدائن أخذ ابن سبأ يروج لبضاعته ، وقد التفَّ حوله أنصار وأشياع من غُلِّ القلوب وقُلِّ العقول ، ولما بلغه نعى عليّ قال للذى نعاها : « كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صُرَّة ، وأقت على قتله سبعين عدلاً ، لمللنا أنه لم يمت ولم يُقتل ولا يموت ، حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملك الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، ومن ثم قال ابن سبأ « برجة » على كهديّ في آخر الزمان ، كما أسلفنا القول في حديثنا عن « الرجعة »^(٢) .

(١) يقول البغدادي : « السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة السكوفة ، ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه ، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين ، حتى قال بعض الشعراء في ذلك :
 لقم في الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى في الحفرتين
 ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن » .
 أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٣ ، أو مختصره ص ١٤٢ . وانظر أيضاً « التبصير في الدين » للأستقرائى ص ٧١ وما بعدها .
 (٢) انظر كتابنا هذا ص ٣٨ وما بعدها .

السكيسانية

السكيسانية من أهم فرق الشيعة فيما نحن بسبيل درسه من عقيدة المهدية ، وهي منسوبة إلى « كيسان » قال الشهرستاني : هو « مولى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية^(١) » ، أما مؤسس الفرقة وزعيمها ، فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، المولود في السنة الأولى من الهجرة ، وأحد دهاة الساسة في العصر الأموي ، وقد لُقّب المختار بكيسان ، لأنه تلقى العلم عن « كيسان » مولى عليّ ، الذي يقال إنه هو الذي حمل على الطلب بدم الحسين وعرفه بقتلته ، أولاً لأن صاحب شرطته الفتاك المسكنى أبا عمرة اسمه « كيسان » ، أو لأن المختار نفسه — كما يقول البغدادي^(٢) — كان يلقب أصالة « بكيسان » .

والمختار من إحدى بيوت ثقيف العربية في المجد ، فهو حفيد عظيم لإحدى القريتين مسعود بن عمرو الثقفي ، وقد كان له في العصر الأموي تاريخ يدل على دهاء سياسي كبير ، وإن لم يكن مشرفاً من الناحية الأخلاقية ؛ إذ لم يعرف الإخلاص سبيلاً قط إلى قلبه ، فهو خير نموذج للأمير السكياقلبي ؛ كان خارجياً ، ثم ثار في وجه بني أمية مشايخاً لابن الزبير ، ثم تشيع لآل البيت خالفاً طاعة ابن الزبير ، ثم انفلت من تشيعه وهو في أوج عظمته وحارب الشيعة ، ثم خرج من الإسلام عامة وادّعى النبوة . وإلى القارىء نسوق شيئاً من قرآنه الذي أوحى إليه ، يقول :

« أما والذي أزل القرآن ، وبَيَّنَّ الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأتقن البغاة ، من أزد عمان ، ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان ، وتُعل ونهان ، وعبس وذبيان ، وقيس وعيلان — وحقَّ السميع العليم ، العلي العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركنَّ عرك الأديم ، أشراف بني تميم . . . !

(١) الملل والنحل ١٠ ص ١٩٦ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٦ نشر المطار بالقاهرة .

ويقول : « أما ومشى السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، العزيز الوهاب ،
القدير الغلاب ، لأنبشَنَّ قبر ابن شهاب ^(١) ، المفترى الكذاب ، المجرم المرتاب .
ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين ، لأقتلن الشاعر المدين ، وراجز المارقين ،
وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وإخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على
الأباطيل ، وتوقلوا على الأقاويل ، وليس خطاى إلا لدوى الأخلاق الحميدة ، والأفعال
السديدة ، والآراء العتيقة ، والنفوس السعيدة ^(٢) . . . » الخ

وأكبر الظن أن النبوة هي الأخرى — بمد نجاحه السيامى المنقطع النظير —
لم تشيع طموحه فانساخ منها وادعى الألوهية . . .

ولابد لنا من التحدث بإفاضة عن فرقة « الكيسانية » هذه بوجه خاص ؛
فتاريخها — بحق — يُعد نموذجاً رائعاً للاتجار بعقيدة « المهدي » واستغلالها
في المآرب السياسية .

ثار المختار في وجه بنى أمية مع مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وكاد يصيبه
ما أصاب مسلماً والحسين ، على يد عبيد الله بن زياد — الذى ضرب به على حاجبه
فشرته أو شجَّه ، فسُمِّيَ الأشتر — لولا شفاعته بعض القوم ، لحُلِّيَ ، بيد الله سبيله وأمره
بغفارة الكوفة في ثلاثة أيام وإلا قتله ، فخرج منها صاحبنا حائماً يترقب ميمماً شطر
الحجاز ، حيث بايع في مكة عبد الله بن الزبير الذى كان حارحاً على بنى أمية ، وفي
الوقت نفسه كان يضمر الشر للعالمين لامتناعهم عن مبايعته ، وقد بدأ ينظم بطشه
بهم عندما انتهت إليه ولاية الحجاز والعراق واليمن وفارس ، وكاد يقضى عليهم ،
لولا أن سارع بالقضاء عليه الحجاج بن يوسف الثقفي من قبيل بنى أمية .

وكان يقيم بمكة بجوار ابن الزبير ، أحدُ ولد علي بن أبى طالب من غير فاطمة ،
هو محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ، أمة خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة ،
وقيل هي سندية سوداء ليست من بنى حنيفة وإنما هي أمة لهم ، وقيل كانت من سبي

(١) يقصد الإمام المشهور محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .

(٢) أنظر « الفرق بين الفرق » للبغدادي ص ٣١ وما بعدها ، ولتختصر للرسمي ص ٤٥ .
وما بعدها ، وانظر أيضاً السكامل للبرد ص ٧٠ ص ٢٠٦ نقر المرصني .

الجماعة وصارت إلى عليّ فأولدها محمداً هذا الملقب بأبي القاسم ، والذي يُعد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة . وقد جاءته الإمامة من أبيه عليّ مباشرة ، حينما دفع إليه الراية يوم « الجمل » قائلاً له :

اطعنهم طعن أبيك محمد — لا خير في حرب إذا لم توقيد^(١)
بالمشرفي والتفنا المشرري

أو أن الإمامة قد انتقلت من عليّ إلى الحسن ثم إلى الحسين ، الذي أوصى بها إلى أخيه محمد هذا .

حاول ابن الزبير — جاهداً — أن يجذب إلى صفته كلاً من محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ، ليشدّ بهما وبنين هاشم أزره ، ولكن عبثاً حاول ، فقد رفضا مبايعته ، وعندئذ أخذ ابن الزبير يضطهد آل عليّ ، ويعدّ عدته للقضاء على ابن الحنفية ، وهنا وجد المختار الفرصة سانحة لتحقيق أغراضه ومطامعه ، فاعتزم الحرب إلى الكوفة متشجعاً وبشاح التشيع ، وأنفذ مالا كثيراً إلى عليّ بن الحسين بن عليّ ، وكتب إليه يريد مبايعته والقول بإمامته ، ولكن عليّاً — كما يقص علينا المسعودي^(٢) — رفض طلبته ، وأبى أن يقبل هديته أو يجيبه عن كتابه ، بل سيّبه على رموس الملاء في مسجد النبي وأظهر كذبه وخجوره ولما يئس منه المختار كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك ؛ فشاور ابن الحنفية ابن أخيه عليّ بن الحسين في الأمر ، فأشار عليه ألاّ يجيبه إلى شيء من ذلك ، وأن يُشهر أمره ويُظهر كذبه ، غير أن ابن الحنفية رأى أن يستشير في الأمر ابن عباس أيضاً ، فقال له ابن عباس : « لا تفعل فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير » قال المسعودي : « فأطاع (ابن الحنفية) ابن عباس وسكت عن عيب المختار »^(٣) .

(١) أنظر « التبصير في الدين » للأسفرايين ص ١٨ ، وعند البقداوي في « الفرق » ص ٢٦ والرسعي في « المختصر » ص ٣٦

لا خير في الحرب إذا لم تزيّد
(٢) أنظر مروج الذهب - ج ٦ ص ١٥٥ على هامش ابن الأثير .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦

وكهذا قيل ابن الحنفية ما عرض عليه المختار من الدعوة إليه وإظهار إمامته ، كما يتضح من رواية « مروج الذهب » وتم التعاقد بينهما ، فجاء المختار وقال له : — كما يحدثنا البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف » — « إني على الشخص للطلب بدمائكم والانتصار لكم ، فسكت ابن الحنفية ، ولم يأمره ولم ينهه ، فقال المختار : سكوتك عنى إذن لى وودّعه ، فقال له ابن الحنفية : عليك بتقوى الله ما استطعت » .

ومن روايتى المسعودى والبلاذرى هاتين ، نكاد لا نشك فى أن معاهدة خطيرة قد عقدت بين المختار وابن الحنفية ضدّ ابن الزبير وبنى أمية جميعاً ؛ على أن تكون مساعدة المختار حرية سياسية ، ومساعدة ابن الحنفية روحية دينية ، يُلْهب بها المختار الداهية ظهور الجاهير ، فتفساق وراثة عن طوعية ، يؤيد ذلك تأييداً قاطعاً ما رواه ابن سعد كاتب الواقدي فى « الطبقات » قال : « قال المختار لابن الحنفية : أنا خارج إلى العراق ، فقال له محمد : فأخرج وهذا عبد الله ابن كامل الحمدانى يخرج معك » (١) .

لم يجد المختار بدءاً بعد هذا من الاحتيال على ابن الزبير ، حتى يأذن له بالرحيل إلى العراق ، خوفاً من أن يقطع عليه تدبيره ، فتوجه إليه وقال له — كما يحدثنا ابن سعد — « أعلم أن مكافئ من العراق أنفع لك من مقامى هاهنا ، فأذن له عبد الله ابن الزبير ، فخرج هو وابن كامل ، وابن الزبير لا يشك فى مناصحته ، وهو مُصِرٌّ على القش لابن الزبير ، فخرجا حتى لقياً لاقياً بالعُزْب ، فقال المختار : أخبرنا عن الناس فقال : تركت الناس كالسفينة تجول لا ملاح لها ، فقال المختار : فأنّا ملاحها الذى يقيها » (٢) .

دخل المختار الكوفة ودعا شيعتها إلى جديد بعض الشيء ، هو مهدية ابن الحنفية الذى أكد المختار أنه استخلفه لأخذ البيعة له ، ولما اجتمعت حوله الشيعة ،

(١) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٧١ ط ليدن .

(٢) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٧١

خطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ، ومنتخباً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء ^(١) » .

فبدأ على شيعة الكوفة شيء كبير من التردد إزاء هذا الحدث ، ولعلمهم كانوا يعلمون شيئاً من تاريخ المختار وعدم صدقه في دعوة يدعيها ، أو عقيدة يعتقدها أو مبدأ يدين به ؛ فأرسلت وفداً من أعيانها إلى ابن الحنفية ليستأذنه في متابعة المختار ، فقال ابن الحنفية للوفد : « وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ^(٢) » . ولا ندرى لماذا لجأ ابن الحنفية إلى مثل هذا الأسلوب ، بدلاً من أن يواجه الناس بالصرح من القول ؟ وهو بنفسه الذي تعاهد مع المختار وأذن له بالرحيل إلى العراق ، كما اتضح من رواية ابن سعد ، وأكبر الظن أنه فعل ذلك متسترأ ، خوفاً على حياته من ابن الزبير الذي كان له بالمرصاد .

ومهما يكن من شيء فقد اعتبر الوفد الكوفي إجابة ابن الحنفية الملتوية إجازة لهم بمشايعة المختار ^(٣) ، فعادوا إلى الكوفة يشدون من أزره ، ولم يدع المختار - وهو السياسي الحنك - هذه السانحة الفريدة تفلت من يده ، فخطب الناس قائلاً :

« يا معشر الشيعة إن نقرأ منكم أحبوا أن يعملوا مصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام المهدي والنقيب المرتضى ، ابن خير من جلس ومشي ، حاشا النبي المجتبي ، فسألوه عما قدمتُ به عليكم ، فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ^(٤) » ، فقام عند ذلك أحد الموفدين وهو عبد الرحمن بن شريح ، من مشاهير شيعة الكوفة وقال :

« أما بعد يا معشر الشيعة فإننا قد كنّا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ، ولجميع

(١) الطبري ج ٧ ص ٦٤ ط الحسينية .

(٢) الطبري ج ٧ ص ٩٧

(٣) في الطبري : « فخرجنا من عنده ، ونحن نقول قد أذن لنا ، قد قال : لو ددت أن الله

انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره فقال : لا تفعلوا » طبري ج ٧ ص ٩٧

(٤) المصدر السابق .

إخواننا عامة ، فقد منا على المهدي ابن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأسرنا بمظاهره وموازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه ، فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ، فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم ^(١) .

ولقد كان من الطبعي بعد هذا أن يلتفت ^(٢) الشيعة حول المختار ، الذي أعمل الحيلة حتى وثب ووثبته الجريئة ، فاستولى على السكوفة ونواحها ، وقضى على عبيد الله ابن زياد ، ثم ساعده طالعه الحسن ، فخصعت له الجزيرة واستتب له الأمر بعض الشيء . وهنا عرف ابن الزبير ما بين المختار وابن الحنفية من مؤامرة واسعة النطاق للقضاء عليه ، وكان ابن الحنفية لا يزال مقيماً بجواره في مكة - دفعا للفتنة وبعداً

(١) الطبري ٧ ص ٩٧ ، وانظر البيهقي ٣ ص ٥ ط النجف ، وابن الأثير ٤ ص ٨٣ ط الحلبي .

(٢) ومن الشيعة من لم يفتحن عزام المختار في ابن الحنفية ؛ ولكنه خرج معه ليثار من قتلة الحسين ، فالطبري يمدتنا أن المختار توجه إلى دار ابراهيم بن الأشتر وقال له : « أما بعد ، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الرضي ، وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله . وهو يسألك أن تنصرا وتوازرنا » ، فقرأ ابن الأشتر الكتاب فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى ابراهيم بن مالك الأشتر ؛ سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإني قد بعث إليك وزيرى وأمينى ونجيبى الذى ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوى والطلب بدماء أهل بيتى ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندي بذلك فضيلة . . . الخ » .

فمنحج ابن الأشتر من هذا الخطاب ، وأبدى ارتياحه فيما حواه من مهبة ابن الحنفية ، وقال المختار متسائلا شاكاً : « قد كتب إلى ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه ؟ قال له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال ابراهيم : فن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ » وتجهلنا عدم الثقة في المختار واضحة ظاهرة ، ولكن المختار يستشهد بجماعة من أنصاره ، فيشهدون أن الخطاب هو حقاً من ابن الحنفية ، وعند ذلك يبايع ابن الأشتر ، ثم يقول لبعض خاصته : « أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال قلت له : قد شهدوا على ما رأيت ، وهم سادة القراء ، وشيخة المصر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً ، قال : فقلت له هذه لقالة وأنا والله لهم على شهادتهم منهم ، غير أنى يعجبني الخروح ، وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر ، فلم أطمح على ما في نفسي من ذلك » . انظر الطبري ٧ ص ٩٨ وما بعدها . وانظر أيضاً فيما يتعلق بهذا الخطاب المزعوم ، الدينورى « الأخبار الطوال » ص ٢٨٣ ط السادة ، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ ص ٢٦٥ وما بعدها .

للتهمة في أكبر الظن - فأسرع في القبض عليه ، وحبسه في سجن يدعى « عارماً »^(١) وحقن على آل عليّ وبنى هاشم جميعاً ، حتى ترك الصلاة على النبي من أجلهم ؛ قال اليعقوبي :

« وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملاً شديداً ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد (ص) في خطبته ، فقيل له : لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال إن له أهل سوء ، يشربون لذكرك ويرفون رءوسهم إذا سمعوا به ، وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بنى هاشم ، ليأبىعوا له فامتنعوا ، فحبسهم في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليأبىعن أو ليحرقنهم بالنار ... »^(٢).

رأى ابن الحنفية أن ابن الزبير جاثٍ في تهديده وقسمه ، فاستغاث بصاحبه المختار واستصرخه في كتاب رواه لنا اليعقوبي قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عليّ ومن قبله من آل رسول الله ، إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين . أما بعد ؛ فإن ابن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنأبىعنه أو ليضرمنا علينا بالنار ، فياغوثة ... »^(٣).

وأ أكبر الظن أن ابن الزبير قد علم بهذه المكاتبة فأخذته حتى الغضب ، وكاد يودى بحياة زعماء بنى هاشم وأعيانهم ، لولا أن استغاثه ابن الحنفية كانت قد وصلت إلى المختار ، الذي أسرع فأرسل إليهم أبا عبد الله الجدلي ، فأنقذهم من موت محقق ؛ إذ واقفهم والنار - كما يحدثنا الأغاني - مشتملة عليهم ، فأطفأها واستنقذهم ...^(٤).

(١) أنظر الأغاني ٩ ص ١٥ ط الدار ، وانظر كذلك الكامل للبرد ٧ ص ٢٠٧

نشر المرسى .

(٢) تاريخ ابن واضح اليعقوبي ٣ ص ٨ ، وانظر الطبري ٧ ص ١٣٦ ، وابن الأثير

٤ ص ٩٧ .

(٣) اليعقوبي ٣ ص ٨ .

(٤) قال أبو الفرج : « كان عبد الله بن الزبير قد أغرى بنى هاشم ، يقبهم بكل مكروه

ويشري بهم ويخطبهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم ، فرمى عارضه ابن عباس وغيره منهم ، =

ضاق ابن الزبير بعد ذلك ببني هاشم وأخفق في القضاء عليهم ، فأخرجهم من مكة إخراجاً قبيحاً - على حد تعبير ابن واضح^(١) - فنفي ابن الحنفية إلى ناحية رضوى ، وابن عباس إلى الطائف . بيد أن ابن الحنفية ارتأى أن يتجه إلى المختار بال عراق ، ليقاسمه الظفر بعد أن تاجر باسمه وحارب بنفوزه الروحي ، فأخذ طريقه إليه . ويظهر أن صاحبنا هذا كان ساذجاً إلى أبعد حدود السذاجة في ركونه إلى المختار ؛ فإكان المختار - وهو في أوج سلطانه - ليقبل جيرة ابن الحنفية ، خوفاً من التفاف الجماهير حوله ، ثم ضياع مملكته ونفوذه ، ولما علم بمقدمه قال لجنده : « إن المهدي علامة ، وهي أن يضرب بالسيف ضربة ، فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي ... »^(٢) وبهذه الحيلة التي احتالها تغلب المختار بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية ، وتخلص منه نهائياً ، إذ ما كاد يعلم هذا بالنبا ، حتى قفل راجعاً خوفاً على حياته ، في حرسه وندم ولات ساعة مندم .

وفي الحق لقد كان ابن الحنفية كآتيه على ، تنقصه الحفكة السياسية نقصاً كبيراً ، وقد وجد هو أخيراً بعد هذا الإخفاق والخيبة أنه ليس أهلاً للصراع السياسي ، فركن إلى عبد الملك بن مروان وبإيمه وألني عصاه . وتحاول السكيسانية أن تجد في التجاه ابن الحنفية إلى عبد الملك ذنباً كبيراً قد اقترفه وجناه ، مرتئية أن الله قد عاقبه عليه بحبسه بجبل رضوى حياً كما سنحدثك بعد . وقد مات ابن الحنفية في الحرمر

== ثم بدا له فيهم نجس ابن الحنفية في سجن عارم ، ثم جمعه وسائر من كان يحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في عيبس وملاءه حطبياً وأضرهم فيه النار ، وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدل وسائر شيعة ابن الحنفية ، قد وافوا نصرته ومحاربة ابن الزبير ، فكان ذلك سبب لبقائه به ، وبلغ أبا عبد الله الخبر ، فوأي ساعة أضرمت النار عليهم فأطفاها واستنقذهم ... » . الأغاني ج ٩ ص ١٥ ط الدار .

(١) تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٩ ط النجف .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣١ ، ومختصره لارسنقى ص ٤٥ ، وفي « التبيين في الدين » للأسفرايينى ص ١٩ يقول المختار : « المهدي محمد بن الحنفية وأنا على ولايته ، غير أن المهدي علامة ، وهي أن يضرب عليه بالسيف فلا يجيك فيه السيف ، وأنا أجرب هذا السيف على محمد بن الحنفية ، فإن حاك فيه فليس بمهدي ، فلما بلغ إلى محمد بن الحنفية هذا الخبر ، خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته ، فتوقف حيث كان » .

عام ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان وإلى المدينة ودفن بالقيع ، بعد نفوذ روحى كبير لم يحسن استغلاله لضعفه السياسى .

ولقد خلف ابن الحنفية أولاداً كثيرين من أمهات شتى ؛ قال ابن كثير : « وقد توفى ابن الحنفية فى الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة وكان له من الولد : عبد الله ، وحزرة ، وعلى ، وجعفر الأكبر ، والحسن ، وإبراهيم ، والقاسم ، وعبد الرحمن ، وجعفر الأصغر ، وعون ، ورقية ، وكلهم لأمهات شتى » ^(١) .

وتقول الشيعة إن النبي عليه السلام كان قد بشر به أباه علياً قبل مولده ، وسماه باسمه وكنيته « محمد أبى القاسم » ^(٢) ؛ قال « جولد زيهر » Goldziher :

« وكان من هذا أن أصبح ابن الحنفية فيما بعد موضع العقيدة الشيعية الخاصة بالخلود الجنائى والرجمة ، وهما صفتا من يختاره الله لهداية البشر ويُعرف بالمهدى - كما كان معقد رجاء وإيمان الأتقياء ، وموضع ثناء الشعراء المُتصالحين به » ^(٣) .

وأكبر الظن أن ابن الحنفية لم يكن زاهداً فى الدنيا ، أو بعيداً عن ملذاتها وترفها ، كما تحاول أن تصوره بذلك المصادر الشيعية ؛ فابن خلكان يقول : « وكان محمد يحنض بالحناء والسكرم وكان يتختم فى اليسار » ^(٤) . ويحدثنا ابن سعد فى طبقاته فيقول : « عن عبد الواحد بن أيمن ، قال : أرسلنى أبى إلى محمد بن الحنفية فدخلت عليه ، وهو مكحل العينين مصبوغ اللحية بحمرة ، فرجعت إلى أبى فقلت : أرسلتنى إلى شيخ تحنث ! فقال : يا ابن اللحناء ، ذاك محمد بن على ... » ^(٥) ، ويقول صاحب الطبقات أيضاً : « روى أبو إدريس : رأيت ابن الحنفية يحنض بالحناء والسكرم ، فقلت له : أكان على يحنض ؟ قال لا ، قلت فمالك ؟ قال أنشب به

(١) البداية والنهاية - ج ٩ ص ٣٩

(٢) أنظر ابن خلكان - ج ١ ص ٤٤٩ ط الحلى .

(٣) العقيدة والصريفة فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٤) وفيات الأعيان - ج ١ ص ٤٥٠ ط الحلى .

(٥) أنظر طبقات ابن سعد - ج ٥ ص ٨٥ ط ليدن .

للنساء...»^(١) وقد نقل العلامة « جولد زيهر » Goldziher هذه الرواية الأخيرة لابن سعد وأوردها في كتابه القيم « العقيدة والشريعة في الإسلام » ، وعقب عليها بقوله : « وفي الحق إذا نظرنا لأخلاق هذا المهدي على ضوء الحقائق التاريخية ، نرى أنه كان في الواقع - كما هو الظاهر - رجلاً ذا عقلية دينوية ، وأنه لم يكن قط بعيداً عن لذائذ الدنيا ومتعها ، ومع ذلك فقد كان يمثل المصالح الدينية المقدسة ، في سبيل السنن والتقاليد الإسلامية ، ولم يشعر أحد بأدنى تناقض بين إمامة ابن الحنفية وبين اعترافه السابق ، الذي يصير انسجامه مع إمامته ، والذي ربما وُضع على لسانه قصد الدعاية »^(٢).

أما صاحبنا الداهية المختار بن أبي عبيد ، فقد لحقته منيته قبل وفاة ابن الحنفية ، إذ قتله طارف وطريف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة عام ٦٧ هـ ، في معركة بينه وبين مصعب بن الزبير ، بعد أن ادعى النبوة ثم الألوهية وابتدع القول بالبداء ، وبعد أن أسس فرقة « الكيسانية » ، التي دانت بمهدية ابن الحنفية ، وهو الثاني في القائمة بعد أبيه عليّ .

وفي مصرع المختار يقول أعشى همدان^(٣) :

لقد نُبِئتُ والأنباء تنعى بما لاقى الكواذب بالتمذار^(٤)
وما إن سرّني إهلاك قومي وإن كانوا وحقك في خسار
ولسكني سررت بما يلاقى أبو إسحاق^(٥) من خزيٍ وعار
ولانشك أن ابن الحنفية ، الذي روى عن أبيه الحديث القائل : « المهدي منا

(١) طبقات ابن سعد ٥ ص ٨٥ ط ليدن

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٤ ومختصره للرسمي ص ٤٩ ، وانظر الطبري ص ٧

ص ١٤٩ ط الحسينية .

(٤) ناحية قرب الكوفة ، ذكرها ابن حوقل والمقدسي .

(٥) كنية المختار .

أهل البيت يصلحه الله في ليلة » ، كان يرى نفسه ذلك المهدي ، الذي اختلق له ذلك الحديث أو اختلقه المختلقون ، وأنه كان خفواً بلقب « المهدي » هذا راضياً عنه كل الرضى ، وإن تردد « مرجليوث » Margoliouth في ذلك إذ يقول : « لا ندري إذا كان ابن الحنفية قد رضى بهذا اللقب (المهدي) الذي خلعه عليه المختار أم لا ^(١) ؟ » . ولا ندري نحن كيف غابت عن Margoliouth نصوص ابن سعد القاطمة في هذا الصدد ؛ ففي الطبقات : « قلت السلام عليك يا مهدي ، قال وعليك السلام ^(٢) » ، وفيها : « عن أبي حمزة قال : كانوا يسلمون على محمد بن علي ، سلام عليك يا مهدي ، فقال : أجل أنا مهدي أهدى إلى الرشد والخير ، اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله ^(٣) ؛ فإذا سلم أحدكم فليقل سلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ^(٤) » .

ولقد كان لزاماً على ابن الحنفية أن يقبل هذا اللقب ويرضى به ، بل ويفترض أنه المهدي حقاً — جاريّاً وراء مزاعم المختار — ولو في شيء من التستر والتكتم ، لينتقم من قتلة الحسين ، وليدبل من دولة بني أمية وابن الزبير جميعاً ، جزاء وفاء لما أذاقوه لآل البيت من صنوف الخسف والعدوان ، بيد أن ضعفه السياسي ومكر المختار به ، لم يتيحاً له من تحقيق هذه المآرب ، إلا القضاء على قتلة الحسين .

وبعد موت ابن الحنفية ، اختلفت « الكيسانية » ، فاعترف بعضهم بموته ، وساق الإمامة من بعده إلى ولده أبي هاشم ، (ومنهم من أرجعها إلى ابن أخيه علي ابن الحسين) ، ولم يؤمن البعض الآخر بموته وهم « الكريية » أصحاب أبي كرب الضرير ؛ فهو عندهم مقيم بجبل رضوى ومعه أربعون من أصحابه ، وهي حتى يرزق ؛ عنده عينان من غسل وماء ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه

(١) أنظر مقال « مرجليوث » Margoliouth عن المهدي بدائرة معارف الدين والأخلاق .

(٢) أنظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٩ ط ليدن .

(٣) يشير بذلك إلى الحديث الوارد في هذا الصدد والذي يقول : « يواطىء اسمه اسمي ،

وكنيته كنييتي » .

(٤) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٦٨

إلى وقت خروجه ، وتنزل عليه الملائكة فتراجعه الكلام ، وتؤنسه هو وأصحابه .
وقد اختلفوا في سبب حبسه بجبل رضوى ، فمنهم من قال : « كان ذلك عقاباً له على
خروجه بعد قتل الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء
من قبيله » ، ومنهم من قال :

« كان ذلك عقوبة له ؛ لركونه إلى عبد الملك بن مروان ومبايعته له » ، وقال
آخرون : « لاندري سبب حبسه ، والله في ذلك سرٌّ لا نعلمه ^(١) » .
ولقد شملت « مهديّة » ابن الحنفية صفحات رائعة من شعر الشيعة ، سنحدثك
عنها في الفصل الخاص بذلك من كتابنا .

(١) أنظر البغدادي في « الفرق » ص ٣٤ ، والرصعي في « المختصر » ص ٥٠ ،
والأسفرايني في « التبصير في الدين » ص ٢٠ .

الزيدية

الفرقة الرئيسية الثالثة من فرق الشيعة هي «الزيدية» ، نسبة إلى زيد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ ، وقد ثار بالكوفة داعياً لنفسه عام ١٢٢ هـ — ٧٤٠ م ، بيد أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، أخذ فتنته وقضى عليه ؛ إذ أرسل إليه وإلى العراق ، يوسف بن عمر الثقفي — من قبله — جيشاً بقيادة «العباس المرّي» فأدار الدائرة على «زيد» ، وصُلب بكناسة الكوفة ؛ قال الطبري :

«وُبُعث رأسه إلى هشام ، فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأُتزل وأُحرق»^(١).

ويقول الكندي في كتابه «أمرء مصر» :

«إن أبا الحكم بن أبي الأبيض القيسي ، قدم إلى مصر برأس زيد بن عليّ يوم الأحد ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٢ ، واجتمع الناس إليه في المسجد ، وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون ، يقال إن رأسه مدفون به» . وقد رجّح القلقشندي هذه الرواية ونقل عن «خطط القاهرة» للقاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر قوله بأن رأسه «مدفون بالمشهد الذي بين كيمان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني المعروف بمشهد الرأس»^(٢). ولما صلب زيد كان الناس يأتون إلى خشبته فيتعبدون تحتها .

والحق أن زيداً — كما كان يتمتع بنفوذ روحى لدى أتباعه — كان يحظى أيضاً بمكانة ممتازة لدى جمهور أهل السنة ، وذلك لاعتداله في مذهبه في الإمامة ، وعدم قبوله الطعن في الشيخين ، ولقوله بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، مما دعا

(١) الطبري ٨ ص ٢٧٧ ط الحسينية .

(٢) أنظر صبح الأعشى ١٣ ص ٢٢٧

بعض أتباعه الغالين إلى رفض دعوته والانفصال عنه ، فسموا تبعاً لذلك بالرافضة أو بالروافض .

ولاشك أن لتعاليم المعتزلة أثراً كبيراً في عقلية « زيد » ؛ فقد تتلمذ لشيوخ المعتزلة واصل بن عطاء الفزّال ، وأخذ عنه أصول الاعتزال^(١) ، وقد حاول بعض أتباعه أن يحمل من قتله مظلمة تحدث بها النبي ؛ ففي تاريخ ابن عسّاك : « أخرج الحافظ عن حذيفة بن اليمان ، أن النبي نظر إلى زيد بن حارثة فقال : المظالم من أهل بيتي سمى هذا ، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سمى هذا — وأشار إلى زيد بن حارثة — ثم قال : أدن مني يا زيد ، زارك الله حباً عندي ، فإنك سمى الحبيب من ولدي ، زيد . . . » !!

ولما قضى على زيد حاول ولده يحيى متابعة الكفاح ، فهرب إلى خراسان حيث خرج بمجوزان ثائراً على نصر بن سيار ، وإلى خراسان ، الذي بعث إليه بسلم المازني ، على رأس ثلاثة آلاف رجل ، فقضى عليه عام ١٢٥هـ — ٧٤٣م ، وبُعث برأسه إلى نصر بن سيار ، فبعث به إلى الوليد بن يزيد .

ولقد رثى زيد بن علي كثير من الشعراء ، منهم فضل بن العباس بن عبد الرحمن ، الذي يقول في رثائه من قصيدة ضافية^(٢) :

ألا يا عينُ لا ترقِ وجودي بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابنُ النبي أبو حسينٍ صليبٌ بالكُفاسة فوق عود
يظل على عمودهم ويُمسى بنفسى أعظم فوق العمود

(١) قال العلامة المهرستاني : « أراد (زيد) أن يحصل الأصول والفروع ، حتى يتحل بالعلم ، فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الفزّال رأس المعتزلة — مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجبل وأصحاب الشام ، ما كان على يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه — فاقبض منه الاعتزال ، وصارت أصحابها معتزلة . » أنظر الملل والنحل ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبي الفرج الأصفهاني ص ١٤٩ ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

نمدى الكافر الجبار فيه فظفوا ينبشون أبا حسين
فطال به تلعبهم عتواً وجاور في الجنان بنى أبيه
فكم من والد لأبى حسين ومن أبناء أعمام سياتى
دعاه معاشراً نكثوا أباه فسار إليهم حتى اتاهم
وكيف تصنُّ بالعبرات عيني وكيف لها الرقاد ولم تراهى
تجتمع للقبائل من معدن كئائب كلما أردت قتيلاً
بأيديهم صفائح مرهفات بها نسق النفوس إذا التقينا
ونحكى فى بنى الحكم العوالى ونزل بالمعيطين حرباً
وإن تمكّن صروف الدهر منكم نجازيكم بما أوليتهـونا
ونترككم بأرض الشام صرعى تنوء بكم خوامعها^(٢) وطلس^(٣)
ولست بآبى من أن تصيروا فأخرجه من القبر اللعيد
خضياً بينهم بدمر جسيد^(١) وما قدروا على الروح الصعيد
وأجداداً لهم خير الجدد من الشهداء أو عم شهيد
لهم أولى به عند الورود حسناً بعد تأكيد اليهود
فما أرعوا على تلك العقود وتطمع بعد زيد فى المجود !
جيات الخليل تمدو بالأسود ! ومن قحطان فى حلق الحديد
تنادت : أن إلى الأعداء عودى صوارم أخلصت من عهد هود
ونقتل كل جبار عنيد ونجملهم بها مثل الحصيد
عمارة منهم وبنو الوليد وما يأتى من الأمر الجديد
قصاصاً أو نزيد على المزيد وشئ من قتيـل أو طريد
وضارى الطير من بقع وسود خنازيراً وأشباه القروـد

(١) الجسيد : الدم اليابس .

(٢) الخوامع : الضايغ ، جمع خامعة .

(٣) الطلس ، جمع أطلس : وهو الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى الداود .

وقال أبو ثُمَيْلَةَ الأَبَارِيقِي زَيْدًا^(١) :

يَا أَبَا الْحَسَنِ أَعَارَ قَدْرُكَ لَوْعَةً
فَقَدَا السَّهَادَ وَلَوْ سَوَّاهُ رَمَتْ بِهِ الْأَمَ
وَنَقُولُ : لَا نَبْعُدُ ، وَبِمَدُّكَ دَاوُنَا
كَنْتَ الْمُؤَمِّلَ لِلْعَظَائِمِ وَالنَّهْيِ
فَقُتِلْتَ حِينَ رَضِيتَ كُلَّ مَنَاضِلَ
فَطَلَبْتَ غَايَةَ سَابِقِينَ فَتَلَّتْهَا
وَأَبَى إِلَهَكَ أَنْ تَمُوتَ وَلَمْ تَسِرْ
وَالْقَتْلُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ سَجِيَّةٌ
وَالنَّاسُ قَدْ أَمِنُوا ، وَآلُ مُحَمَّدٍ
نُصِبُوا إِذَا أَلْقَى الظَّلَامُ سِتُورَهُ
يَأْلِيَتْ شَعْرَى وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ
مَا حَاجَةَ الْمُسْتَبْشِرِينَ بِقَتْلِهِ
مِنْ يَلْقَى مَا لَقِيََتْ مِنْهَا
وَكَذَلِكَ مِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَبْعُدُ
رُجَى لِأَمْرِ الْأُمَّةِ الْمُنَادُودِ
وَصَدَّتْ فِي الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَصْعَدٍ
بِاللَّهِ فِي سَيْرِ كَرِيمِ الْمُورِدِ
فِيهِمْ بِسِيرَةٍ صَادِقَةٍ مُسْتَنَجِدَةٍ
مِنْكُمْ وَأُخْرَى بِالْفِعَالِ الْأَمْجَدِ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ مُشْرَعٍ
رَقَدَ الْحَمَامُ وَلِيْلَهُمْ لَمْ يَرْقُدِ
أَسْبَبَ مُورِدَهَا وَمَالِمْ يُوْرِدِ
بِالْأَمْسِ أَوْ مَا عَذَرُ أَهْلَ الْمَسْجِدِ ؟

والزيدية فرقٌ تختلف مذاهبها بصدد عقيدة « المهدي » إثباتاً ونفيًا ؛ فالسليمانية أتباع سليمان بن جرير الزيدي ، والأبترية أو الصالحية أتباع الحسن بن صالح بن حبي (المتوفى عام ١٦٩ هـ) وكثير النواء الملقب بالأبتر (والمتوفى أيضاً في حدود هذا التاريخ) ، تنكران « المهدي » لأنهما ترفضان القول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة .

وتعاليم هاتين الفرقتين في جملتها ، هي تعاليم زيد بن علي نفسه ، وتسكاد تقترب « الصالحية » من أهل السنة ، بل هي أقرب فرق الشيعة إليهم ، وأكبر الظن أن « جولدزيهر » Goldziher كان يقصد هاتين الفرقتين من الزيدية أو إحداها بقوله :

(١) أنظر مقال الطالبيين للأصفهاني أبي الفرج ص ١٥٠ وما بعدها .

« وهم لا يقولون بالأساطير المتعلقة بالعلم الباطني عند الأئمة ، إلى غير ذلك من صفات شبيهة بصفات التآليه التي خص الشيعةُ أئمتهم بها ، وقد تقيدوا بدلاً من هذه الخيالات والأحلام بالصورة الواقعية للإمام الذي يعمل في الحياة في نضال مكشوف »^(١) .

أما « الجارودية » من الزيدية ، أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدى ، المتوفى بعد عام ١٥٠ هـ ، فتقول بمهدية « النفس الزكية » وسنقص عليك نبأه في شيء من الإفاضة ، لما له من أهمية خاصة .

(١) أنظر العقيدة والشرعية في الإسلام » الترجمة العربية » ص ٢١١

النفس الزكية محمد بن عبد الله

سهرى الجارودية

هو أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن الحسن ، بن الحسن ، بن علي بن أبي طالب ،
وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله ، بن زمة بن الأسود بن المطلب .

وقد وُلد محمد هذا عام مائة من الهجرة ، وبين كتفيه — فيما يقولون^(١) —
خال أسود عظيم كهيئة البيضة ، اتخذوه — فيما بعد — علامة لمهديته ، وكان يقال
له « صريح قریش » ؛ إذ لم تقم عنه « أم ولد » في جميع آبائه وأمهاته
وأجداده^(٢) .

وقد سُرَّ بمولده المتشيعون جميعاً ، وكانوا يروون عن النبي في أحاديثهم أن اسم
المهدي ، محمد بن عبد الله ، فرجوا أن يكون هو صاحبنا ، محمد بن عبد الله بن
الحسن ، وفرحوا به كثيراً ، وجعلوا يتذاكرونه في مجالسهم ، على أنه الخالص والمنقذ
لهم من مظالم بني أمية ؛ قال شاعرهم^(٣) :

ليهنكم المولود آل محمد إمام هدى ، هادى الطريقة ، مهتدى
يسوم أمىّ الدّلّ من بعد عزّها وآلّ بنى العاص الطريد المشرّد
فيقتلهم قتلاً ذريعاً ، وهذه بشارة جدّيه ، على وأحمد
هما أنبأنا أن ذلك كائن برغم أنوف من عُداة وحسد

(١) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبي الفرج الأصبهاني ص ٢٣٨ و ٢٤٣

ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٥

وقال سلمة بن أسلم الجهني^(١) :

إن الذي يروى الرواة لبين إذا ما ابن عبد الله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره وفيه علامات من البر والهدى
وقال أيضاً^(٢) :

إننا لترجو أن يكون محمد إماماً به يحيا الكتاب المنزل
به يصلح الإسلام بعد فساده ويحيا يقيم بأنس وموعز
ويملا عدلاً أرضنا بمد ملها ضلالاً ويأتينا الذي كنت آمل

ولما شب محمد ، أرسله أبوه مع أخيه إبراهيم ، ليتلقى العلم على يدى عبد الله
ابن طاوس ؛ ففي « مقاتل الطالبين » لصاحب « الأغاني » أبي الفرج الأصفهاني :
« كان عبد الله بن الحسن يأمر ابنه محمدًا بطلب العلم والتفقه في الدين ،
وكان يحب به وبأخيه إبراهيم إلى ابن طاوس ، فيقول له : حدثها لعل الله أن
ينفعهما^(٣) » .

ولقد تعلم محمد أيضاً لشيخ الاعتزال واصل بن عطاء ، وبين الشيعة والمعتزلة
نسب وصهر ؛ روى أبو الفرج في « مقاتل الطالبين » فقال :
« قدم علينا أبو أيوب بن الأديب ، رسولاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء ،
داعياً إلى مقاتله ، فاستجاب له محمد بن عبد الله بن الحسن في جماعة من آل
أبي طالب^(٤) » .

ولم يكن طلب محمد للعلم مقصوداً على أستاذه ابن طاوس وابن عطاء ، فقد
طلبه من غيرهما من رجال العلم ؛ حدثنا هو عن نفسه فقال :

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

« إن كنت لأطلب العلم في دور الأنصار ، حتى لأنوسد عتبة أحدهم ، فيوقظني الإنسان فيقول : إن سيدك قد خرج إلى الصلاة ، ما يحسبني إلا عبده ... »^(١) .
 ولقد لقي محمد ، نافع بن عمر ، وأبا الزناد ، وسمع منهما وحدث عنهما ، كما حدث عن غيرهما ، بيد أن حديثه كان قليلاً ، ويرجع ذلك في أكبر الظن إلى رُتته في لسانه ، كانت تحبس الكلام في صدره ، فلا يكاد يبين ؛ روى أبو الفرج فقال :

« كان محمد تماماً ، فرأيته على المنبر ، يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب بيده عليه يستخرج الكلام »^(٢) .

ومن الطريف حقاً أن الشيعة لما رأَت هذا العيب القادح في مهديّة محمد ، خرجت على الناس توهمهم أن هذا العيب إنما هو من علامات المهدي ... ! ، ولجأ المشيعون — كما دأبهم دائماً — إلى الحديث ، يشدون به أزرهم ، فرووا عن الرسول ، من طريق أبي هريرة أنه قال :

« إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله ، في لسانه رُتة ... »^(٣) !

ومهما يكن من شيء ، فنحن لا نشك أبداً في أن محمداً كان على جانب كبير من العلم والفقه في الدين ، كما كان على قسط عظيم من التقى والزهد ، حتى لقد لُقّب من أجل ذلك بالنفّس الزكية كما يحدثنا المسمودي^(٤) ، ويقول أبو الفرج :

« كان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه في زمانه ، في علمه بكتاب الله وحفظه له وفقهه في الدين ، وشجاعته وجوده وبأسه ، وكل أمرٍ يحمل بثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له في العامة ، وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً ، من آل أبي طالب وآل العباس وسائر بني هاشم »^(٥) .

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢

(٣) مهراج الذهب ص ٨٠ س ٧٩ على هامش ابن الأثير .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٣٣

ولقد اعتقد « النفس الزكية » أنه المهدي حقاً ، وساعده على ذلك الهاشميون من عباسيين وعلويين جميعاً ، ليتخلصوا عن طريقه من نير بني أمية الثقيل ، ومن مظالم البيت الرواني الحاكم ، فأخذ « النفس الزكية » منذ صباه ، يدعو الناس إلى مهديته ، في شيء من التستر والتسكتم خوفاً من عيون آل مروان ؛ قال أبو الفرج :

« لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن ، منذ كان صبياً ، يتوارى ويرسل للناس بالدعوة إلى نفسه ، ويسمى بالمهدي^(١) » .

ولقد بايعه بالهدية الهاشميون جميعاً ، ومنهم إبراهيم الإمام والسفاح وأبو جعفر المنصور ، الذين أقاموا دولة بني العباس فيما بعد ، ففي « مقاتل الطالبين » :

« إن نفرًا من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء من طريق مكة ، فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن ، وابناه محمد وإبراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فقال لهم صالح بن علي :

« إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم ، فقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاجتمعوا على بيعة أحدكم ، فتفرقوا في الآفاق وادعوا الله ، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم .

« فقال أبو جعفر : لأي شيء تتدعون أنفسكم ؟ والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً ، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ، يعني محمد بن عبد الله .

« قالوا : قد والله صدقت ، إننا لنعلم هذا ، فبايعوا جميعاً محمداً ، وبايعه إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وسائر من حضر^(٢) » .

ولا سبيل إلى الشك في أن هذه المبايعة من كبار العباسيين ، لم تكن أبداً خالصة ولا صادقة ؛ فقد كانوا يتخذون آل عليّ درعاً واقياً لهم ، وذريعة لها خطرهما

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ وما بعدها .

في تنفيذ خطتهم وسياستهم ، فالناس إلى آل عليّ أميل ، وهم بهم الصق وأعلق ، وقد كانوا في بداية أمرهم يدعون إلى « الرضا من آل محمد » ، ونحن لا نشك كذلك في أن هذا التوقير والاحترام من المنصور الداهية للنفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن ، والذي نقرأ عنه في « مقاتل الطالبين » ، كان كذلك مصطلحاً لأمر ما ؛ فأبو الفرج يروي عن عمير بن الفضل الخثعمي أنه قال :

« رأيت أبا جعفر المنصور يوماً ، وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه ، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود ، وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ، ثم سوي ثيابه على السرج ، ومضى محمد ، فقلت — وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً — من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام ، حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل البيت...^(١) » .

أرايت مبلغ احترام المنصور للنفس الزكية ؟ هذا الاحترام المتفجع المصطنع ، الذي يخفي وراءه الوقعة في أشجع صورها ، كما يخفي العسل الحلو المذاق ، الموت السريع فيما يضمه من سموم قاتلة .

ولقد نجح العباسيون في القضاء على دولة بني أمية ، وتشيد دولتهم الوليدة على أكتاف بني عمومهم آل عليّ ، وبسواعدهم وجهادهم بل وبنفوذهم الروحي بين الجماهير ، ولكن « السفاح » يسرف في القضاء على أعداء الدولة الجديدة ، من أمويين وعلويين على السواء ، وهكذا أصبح العلويون في نظر أبناء عمهم المماكرين أعداء . . . ! ، ولقد ساء العلويين أن يستأثر أبناء عمومهم بالملك ، بعد أن اتخذهم مَعَبَراً لبنائهم ، وبقواً للدعوة إليه ، فبادر محمد بن عبد الله بالخروج على هذه الدولة أيام المنصور — الذي كان يسير في ركابه فيما مضى — لليلتين بقيتا من جمادى

الآخرة عام ١٤٥ هـ مطالباً الناس بالوفاء ببيعتهم له ولمهديته ، وتصل أنبأؤه إلى أبي جعفر الخليفة العباسي الذي كان إلى وقت قريب ، يبايعه ويحض الناس على مبايعته ، ويأخذ بردائه حتى يركب ، ويسوى ثيابه على السرج ، ويقول هذا مهدينا — فيعدّ العدة لقتاله ، ويكذّبه في دعواه ؛ قال مولى لأبي جعفر :

« أرسلني أبو جعفر فقال : اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد ، فسمعتة يقول : إنكم لا تشكّون أني أنا المهدي ، وأنا هو ، فأخبرت بذلك أبا جعفر ، فقال كذب عدوّ الله ، بل هو ابني ^(١) . . . » !!

وهكذا يصبح « النفس الزكية » في نظر المنصور ، أو إن شئت في نظر « السياسة » كذّاباً وعدوّاً لله ، وأن المهدي حقاً ، هو المهدي بن المنصور . . . !

ثم تحدثنا الرواية أن المنصور نفسه لم يكن يؤمن بمهدية ولده ، ولقد اصطغماها له ليقوّى من مركزه السياسي ، فأبو الفرج يحدثنا عن مسلم بن قتيبة أنه قال :

« أرسل إلى أبو جعفر ، فدخلت عليه ، فقال : قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدي ، ووالله ما هو به . . . وأخرى أقولها لك ، لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية . . . ! ولكني تيمنت به وتفاءلت به ^(٢) »

وهكذا انقلب التابع على متبوعه ، وأصبح أبو جعفر محمد خصماً ، وقد حاول جهده أن يستميله إليه بالسياسة واللين ، وبذل له في سبيل ذلك الوعود والعهود . . . ، ولكن محمداً في الحق لم يكن من السذاجة إلى هذا الحد الذي تصوره المنصور ، حتى يركن إلى عهوده ووعوده ، وهو يعلم تماماً مقدار صدقها

وفي هذا الصدد دارت بينهما مكاتبات ، رواها لنا الطبري ، تسجل في هذا الصراع حجج كل منهما ، وتصور مقدار تمسكه بما يدعيه ، وهي بحق وثائق خطيرة ،

(١) أنظر مقاتل الطالبين ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧

على جانب كبير من الأهمية ، نرى أنفسنا مسوقين هنا إلى تسجيلها ، لذا لها من قيمة فيما نحن بصدده .

كتب أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد ابن عبد الله ... »

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم جزئ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

« ولك على عهد الله وميثاقه وذمة وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك ، أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعك ، على دمانك وأموالك ، وأسوئك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الخوانج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من حبس من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وباعك واتبعك ، وأدخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوق لنفسك ، فوجه إلى من أحببت يأخذك من الأمان والعهد والميثاق ما تشق به » .

فكتب إليه « النفس الزكية » وقد لُقّب نفسه بالمهدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدي ، محمد بن عبد الله ، إلى عبد الله بن محمد :

« طسّم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق اقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمنّ على الذين

استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمةً ويجعلهم الوارثين ، ونسكن لهم في الأرض ،
وترى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يمحذرون .

« وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ ؛ فإن الحق حقنا ،
وإنما ادعيتهم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليًا
كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته ، ولله أحياء ؟

« ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ ، له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا
وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء . . . وليس يمت أحدٌ
من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة ، وإنّا بنو أمّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام ، دونكم .
« إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن
السلف أولهم إسلاماً عليّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى
القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام
حسنٌ وحسينٌ سيدا شباب أهل الجنة .

« وإن هاشمًا ولدَ عليًا مرتين ، وإن عبد المطلب ولدَ حسنًا مرتين ، وإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإنّي أوسط
بني هاشم نسبًا ، وأصرحهم أبًا ، لم تعرق في العجم ، ولم تنازع في أمهات الأولاد . .
فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لي في النار ؛
فأنا ابنُ أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ، وأنا ابن خير الأخيار
وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار .

« ولك الله عليّ إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي ، أن أؤمّنك على نفسك
ومالك ، وعلى كل أمرٍ أحدثته ، إلا حدًا من حدود الله ، أوحقًا لمسلم أو معاهد ،
فقد علمت ما يلزمك من ذلك .

« وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان

ما أعطيته رجالاً قبلي ، فأى الأمانات تعطيني : أمان ابن هبيرة ... ؟ أم أمان علك
عبد الله بن علي ... ؟ أم أمان أبي مسلم ... ؟ » .

فردّ عليه أبو جعفر ، مفتدداً حججه بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد :

« فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك ، فإذا جلّ فخرُك بقرابة النساء ، لتصلّ
به الجفافة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛
لأن الله جعل العلم أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا .

« ولو كان اختيار الله لمن على قدر قربانتهن ، كانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن
حقاً ، وأول من يدخل الجنة غداً ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم
واصفائهم لهم .

« وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً
من ولدها الإسلام لا بنتاً ، ولا ابناً ، ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة ، رُزقه
عبد الله ، أولام بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر لله ، يختار لدينه من
يشاء ؛ قال الله عز وجل : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء
وهو أعلم بالمهتدين) .

« ولقد بعث الله محمداً عليه السلام ، وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل
« وأنذر عشيرتكَ الأقرَبين » ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي ،
وأبني اثنان أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ،
ولا ذمة ولا ميراثاً .

« وزعمت أنك ابنُ أخفّ أهل النار عذاباً ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر
بالله صغير ، ولا في عذاب الله ضعيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغي
لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترّد فتعلم ، وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون .

« وأما ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ ، وأن هاشماً وَلَدَهُ مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب وَلَدَهُ مرتين ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وَلَدَكَ مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يلد هاشمٌ إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة .

« وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تمرّق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ، فإنك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً ، وأولاً وآخرأ ، إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وَلَدَهُ ، وما خيار بنى أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد ، وما وَلَدَ فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفضل من علي بن حسين ، وهو لأُمّ ولد ، وهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده ، مثلُ ابنه محمد بن علي ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جعفر ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير منك .

« وأما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنها لقريبة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها . . . ؟ ولقد طلبها أبوك بكل وجه ، فأخرجها نهاراً ومَرَضَها سرّاً ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن الجد أبا الأم ، والخال والخاله ، لا يرثون .

« وأما ما فخرت به من عليّ وسابقتة ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل ، فلم يأخذوه ، وكان في السنة ، فتركوه كلهم ، دفناً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ، أما عبد الرحمن ، فقدّم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيته ،

وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين ، رضى بهما وأعطاهما عهداً وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه .

« ثم كان حسنٌ ، فباعها من معاوية بخزقٍ ودرهمٍ ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير ولاته ولا حله ، فإن كان لكم فيها شيء ، فقد بتموه وأخذتم منه .

« ثم خرج عك حسين بن عليّ ، على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأثروا رأسه إليه .

« ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحلواهم بلا وطء في المهمل كالسبي الجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسئنا سلفكم وفضلناهم ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناهم ، لا بقدمه منا على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل ، وأبى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعن كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتجبنا له وذكّرناهم فضله ، وعفّفناهم وظلمناهم بما نالوا منه .

« ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية ، سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمر ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك ، ففضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نلينا في الجاهلية والإسلام .

« ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يقرب إليه إلّا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقام الفيت ، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

« ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم

غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبى له ، والخلافة فى ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام ، فى دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه .

« وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء ، والعباس يعون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للآزمة التى أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً ، لما ت طالب وعقيل جوعاً ، ولاحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطمئنين ، فأذهب عنكم العار والشبة ، وكفاكم النفقة والمثونة ، ثم فدى عقيلًا يوم بدر .

« فكيف تغر علينا ؟ وقد علناكم فى الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبتنا بتأركم ، فأدركننا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله »^(١) .

ولقد كان المنصور يود — دون شك — لو تمكن من القضاء على صاحبنا « النفس الزكية » بالحيلة والخديعة ، وبأساليبه « المكيافيلية » الكثيرة التى انتهجها مع غيره من قبل ، إذ لو حاول أن يبطش به جهراً بادى الأمر ، لهبت على ملكه الفاشى ، هوج الأعاصير ؛ وذلك لمسكانة محمد المتتازة فى نفسية الجماهير ، ولتلك البيعة له فى أعناقهم^(٢) ، بيد أن أبا جعفر أخفق تماماً فيما كان يعتزمه وينتويه ، ولم تجد هذه المكائبات بينهما فى حسم النزاع ، بل كانت — فيما يبدو —

(١) الطبرى ٩ ص ٢١٠ ط الحسينية ، واطظر أيضاً ابن الأثير ٥ ص ١٩٩ ط الحلبي ، والكامل للبدر ٨ ص ٢٧٨ نشر المرسقى .

(٢) وكان الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان ممن يابيه . وفى سبيل ذلك لاقى مصرعه ؛ قال القمهرستانى : « وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جلة شيعته ، حتى رفع الأمر إلى المنصور لحبسه حبس الأبدي حتى مات فى الحبس ، وقيل إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام فى أيام المنصور ، ولما قتل محمد بالمدينة ، بق الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة ، باعتد موالاته أهل البيت ، فرفع حاله إلى المنصور ، فتم عليه ماتم » .

انظر الملل والنحل ١ ص ٢١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأديبة .

عاملاً هاماً في ازدياده عنفاً وشدة ، وأكبر الظن أن الخليفة قد اتخذها وسيلة لإظهار خصمه بمظهر العصيان والمروق والخروج على الدولة ، حتى يتيح له ذلك أن يلجأ إلى السيف والقوة .

وهكذا لم يجد المنصور بداً من أن يرفع القناع ، ويسفر عن سياسته ، فيلجأ إلى السلاح في وضوح النهار ، محافظة على كيان دولته ، ويبحث إلى « النفس الزكية » بالجنود بقودهم عيسى بن موسى ، وحيد بن قحطبة ، اللذان دهماه في « المدينة » ودارت بينهما رحى الحرب ، عنيفة كأشد ما يكون العنف ، ومحمد يقاقل كأشد ما يكون القتال ، بيد أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه وعلى رجاله ، ولقد حاول أن يحرك عواطف خصومه ويستدر عطف قلوبهم ؛ روى أبو الفرج فقال :

« برك محمد على ركبتيه ، وجعل يذب عن نفسه يقول : ويحكم ، أنا ابن نبيكم مجروح مظلوم ^(١) » !

بيد أن القائد القاسم القلب « حيد بن قحطبة » لم يأبه له ولم يلبس لقوله ، فجاءه واحتز رأسه ، وكان ذلك — كما يحدثنا أبو الفرج — قبل عصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عام ١٤٥ هـ .
وقد رثاه عبد الله بن مصعب بقوله ^(٢) :

يا صاحبيّ دعا الملامة واعلما	أن لست في هذا بألوم منكما
وقفا بقبر ابن النبي وسلماً	لا بأس أن تقفا به فسلماً
قبرٌ تضمن خير أهل زمانه	حسباً وطيب سجية وتكرماً
لم يحتجب قصد السبيل ولم يجد	عنه ولم يفتح بفاحشة فسا
بطلٌ يخوض بنفسه غمراتها	لا طائشاً رعشاً ولا مستسلماً
حتى مضت فيه السيوف وربما	كانت حتوفهم السيوف وربما

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٧١ ، وانظر الطبري ص ٩ ص ٢٢٦ ط الحسينية .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٠٧ ، والطبري ص ٩ ص ٢٣١ ، وابن الأثير ص ٥ ص ٢٠٥ ط الحلبي .

أضحى بنو حسنٍ أبيض حريمهم فينا وأصبح نهبهم متقشما
ونسأوهم في دورهن نوايح سجع الحمام إذا الحمام ترنما
يتوسلون بقتلهم ويرونه شرقاً لم عند الإمام ومغنيا
والله لو شهد النبي محمدٌ صلى الإله على النبي وسلما
إشراع أمته الأسنة لابنه حتى تفتّر من ظباتهم دما
حقاً لأيقن أنهم قد ضيعوا تلك القرابة واستحلوا المحرماً

ولكن « الجارودية » من « الزيدية » — أتباع أبي الجارود — لم تؤمن بموت محمد بن عبد الله ؛ قال العلامة ابن حزم : فهو عندهم « حتى لم يُقتل ولا مات ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١) » .

ويقول البغدادي : « هو (عند الجارودية) المهدي المنتظر^(٢) » .

ويشارك « الجارودية » في هذا المعتقد « الحمدية^(٣) » إحدى فرق « الإمامية » فهم ينتظرون محمداً هذا ، ويزعمون أنه مقيم ببجل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج .

ومن « الجارودية » من ينتظر محمد بن القاسم ، من نسل الحسين ، القائم بالطائفة أيام المصمم ، وقد أصرّ وحمل إلى الخليفة ، فحبس في داره حتى مات ؛ وقد جاء في « الفصل » :

قالت طائفة إنه « حتى لم يمت ولا قُتل ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٤) » . ومن « الجارودية » أيضاً من ينتظر يحيى بن عمر — من نسل

(١) انظر « الفصل » > ٤ ص ١٧٩ ط مطبعة التمدن .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣ نهر المطار بالقاهرة .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ ، ومختصر الرسمى ص ٥٣ ، وانظر أيضاً التبصير في الدين

للأسفرايين ص ٢١

(٤) ابن حزم > ٤ ص ١٧٩ ، وانظر أيضاً الشهرستاني > ١ ص ٢١٣ على هامش

ابن حزم ط المطبعة الأدبية ، وانظر كذلك البغدادي في « الفرق » ص ٢٣ ، والأسفرايين

في « التبصير » ص ١٧

زيد بن علي — الذي قام بالكوفة عام ٢٥٠ هـ ، في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله ، قُتِلَ وحُلَّ رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد قال فيه بعض العلويين ^(١) :

قتلت أعزَّ من ركب المطايا وجنتك أستلينك في السكلام
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلّا وفيما بيننا حدُّ الحسام
والأشعري يحدثنا في « مقالات الإسلاميين » أن فرقة أخرى من الزيدية ،
لانتسكِر « الرجعة » فيقول :

« والفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر ، ولا يفكرون رجعة
الأموات قبل يوم القيامة » .

فليس مايقوله إذا الأستاذ أحمد أمين ^(٢) . من أن الزيدية تنكِر المهديّة ، وذلك
راجع إلى تعاليم المعتزلة صحيحاً على إطلاقه ، ومن الزيدية « الجارودية » ، وتلك
الفرقة التي حدثنا عنها الأشعري ، وكذلك ليس مايقوله الباحث الكبير
« جولدزيهر » Goldziher من أن نظرية الزيدية المثلّي « هي الإمامة النشيطة
العامة ، وليست الإمامة السلبية التي تنتهي بهم إلى الإمام الخفي ^(٣) » ، ينطبق
تماماً على كافة فروع « الزيدية » ومنها « الجارودية » ، ولا ينصرف هذا القول
إلا إلى « الصالحية » أو أختها « السليمانية » ، أو إليهما معاً ، ومن العجيب أن
« جولدزيهر » يقول — ويبدو متضارباً — « والاعتقاد بالإمام الخفي يسود
كافة فروع الشيعة ^(٤) » ، وفي هذا القول — دون شك — سرف ظاهر .

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ١ ص ٢١٣ ، والفصل لابن حزم ٤ ص ١٧٩ ،
والفرق بين الفرق لابن بادى ٢٣ — وقد ورد هذا المهدى فيه خطأ باسم محمد بن عمر —
وانظر أيضاً التبصير في الدين للأسفراييني ص ١٧ .

(٢) ضحى الإسلام ٣ ص ٢٤٣

(٣) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢١١

(٤) المصدر السابق ص ١٩١

وأكبر الظن أن تفكير الزيدية الأحرار ، كان قد انحط في القرن السادس الهجري ، عصر الشهرستاني ، حتى لنراه يقول :

« وأكثروهم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأى واجتهاد ، أما في الأصول فيرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ، ويمظمون أئمة الاعتزال ، أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت . وأما في الفروع فهم على مذهب أبى حنيفة ، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله^(١) » .

ويرجع هذا الانحطاط إلى جنابة « الجارودية » — إحدى فرقهم — عليهم ، ومنعهم إياهم من طلب العلم ، بإفهامهم أن الله يلهمهم إياه إلهاماً ... ، كما ينقل لنا ذلك عن الجاحظ ، الجياط المعتزلى ، صاحب « الانتصار » .

ويمثل الزيدية في العصر الحديث ، حكومة اليمن الحالية التى يرأسها الإمام سيف الإسلام أحمد ابن الإمام يحيى حميد الدين ، وهو من بنى القاسم الرضى ، ابن إبراهيم طباطبا ، بن اسماعيل بن عبد الله ، بن الحسن بن الحسن ، بن على بن أبى طالب : قال القلقشندى :

« وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا ، خرج بالكوفة في خلافة المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث عن آبائه ، عن جده إبراهيم الإمام وغلب على كثير من بلاد العراق ، ثم خمدت سورته ، فطلب المأمون أخاه القاسم الرضى ، فهرب إلى الهند ، ولم يزل بها حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرضى ، بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة^(٢) » .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢١٨ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧

وليس هناك قرابة أو صلة بين أئمة اليمن ، وبين الدولة الزيدية التي قامت بطبرستان في القرن الثالث الهجري ؛ قال القلقشندي :

« وقد وهم في (التعريف) فجعل هذه الأئمة (أئمة اليمن) من بقايا الحسينيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بآمل الشط بطبرستان ، هو الداعي المعروف بالعلوي من الزيدية ، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل ، ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين ، أو ما يقاربها ، فلك طبرستان وجرجان ، وسائر أعمالها ثم مات ، وقام أخوه محمد بن زيد مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولة هناك ، ثم انقرضت وورثها الناصر الأطروشي ، وهو الحسن بن علي ، بن الحسين بن علي ، بن عمر ابن علي زين العابدين ، بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك .

« ثم خرج علي الأطروشي من الزيدية الداعي الأصغر ، وهو الحسن بن القاسم ابن علي بن عبد الرحمن ، بن القاسم بن محمد البطحائي ، بن القاسم بن الحسن ، ابن زيد بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأطروشي حروب ، إلى أن قتل سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، ويجتمع الداعي الأصغر مع الداعي الأكبر في الحسن بن زيد ، وليس بنو الرضى الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه ^(١) » .

ومهما يكن من شيء فتاريخ الزيدية في اليمن — قديمه وحديثه — مجهول ، ولا نؤكد نعرف عنها شيئاً رغم معاصرتنا لها ، وذلك يرجع إلى القائمين بالأمر في تلك البلاد فقد أحاطوا تحتهم بسياج من السرية والسكران .

الإمامية

كثير تعداد فرق الإمامية حتى أربى على خمس عشرة فرقة ، ولكل فرقة مهادى خاص . ونحن لاتعنيها هذه الكثرة ، بقدر ماتعنيها فرقتان لحسب من فرق الإمامية ، لما لهما من خطر وانتشار ، وهما « الاثنا عشرية » و « الإسماعيلية » ، فسقتصر فى حديثنا عن الإمامية على هاتين الفرقتين .

الاثنا عشرية :

لقبوا بذلك ؛ لادعائهم أن الإمام المنتظر ، هو الثانى عشر من أولاد على بن أبى طالب ، وقد قالوا بوجود سلسلة من اثنى عشر إماماً ، أوحى الله تعالى بهم لنبيه محمد ، بل وعيّنهم له بأسمائهم ، وقد انتقلت الإمامة من أمير المؤمنين على المرتضى ، إلى الحسن المجتبى ، ثم الحسين الشهيد ، فالسجاد على زين العابدين ، فولده محمد الباقر ، فابنه جعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد التقي ، فعلى النقي ، فالزكى حسن العسكري^(١) ، ثم الحجة محمد المهدي ، ويكنى بأبى القاسم ، ويلقب بالقائم والمهدي وصاحب الزمان .

وقد اختلف فى محمد هذا وفى أبيه الحسن اختلافاً كبيراً ؛ ف قيل إن الحسن لم يمت ولكنه غائب فقط ، وقيل مات ولا ولد له ولكنه سيعود بعد الموت ، وقيل مات ولن يعود ، وقد أوصى إلى أخيه جعفر ، وقيل مات ولم يوص ولم يترك وارثاً فى الإمامة ، وقيل إنه ترك ولداً غير معروف .

وقالت الاثنا عشرية : إن للحسن ولداً هو محمد المهدي ، خاتم الأئمة الاثنى عشر ، وقد وُلد ببغداد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٢٥٥ هـ ، من أمّ ولد

(١) العسكري : نسبة إلى « السكر » ومى « سر من رأى » ، انتقل إليها المعصم بسكره ، فن تم قيل لها السكر ، ونسب إليها الحسن العسكري ؛ لأن المتوكل أشخص أباه علياً إليها فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده الحسن إليها .

يقال لها نرجس وقيل خط ، وشهدت بذلك قابله حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى ، التي تلقته وزعمت أنها سمعته يتكلم ، ويقرأ القرآن حين نزل من بطن أمه ... ! وقد مات أبوه وهو ابن سنتين ، وقيل خمس^(١) سنين ، أثناء الله فيها الحكمة كما أنها يحيى صبياً ... وقد اختفى محمد هذا ولما يبلغ الثامنة من عمره ، وقيل في التاسعة ، وذلك عام ٢٦٥ هـ ؛ إذ يزعمون أنه دخل مع أمه سرداباً « بالحلة » بالقرب من بغداد ، ففقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن^(٢) ، ويقال إنهم يقفون كل ليلة عند باب السرداب ، ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ، ينادون : « أيها الإمام ، قد كثر الظلم وظهر الجور فآخرج إلينا » ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وروى ياقوت أنهم كانوا في « قاشان » - من بلاد العجم - يركبون كل صباح إلى لقاءه ، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري .

ويقول الرحالة ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري) في وصف مدينة « الحلة »^(٣) :
« وبمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد ، على بابه ستر حر يرمدل ، وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ، ومن عاداتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة ، عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة ، فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر ، فيأخذون منه فرساً ملجأً أو بغلة كذلك ، ويضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابة ، ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ، ويأتون مشهد (صاحب الزمان) ، فيقفون بالباب

(١) وقيل أيضاً إنه ولد بعد موت أبيه بثمانية أشهر .

(٢) أنظر فيما يتعلق بهذه الفرقة « الفصل » لابن حزم ج ٤ ص ١٨١ ، و « الملل » للشهرستاني ج ٢ ص ٥ على هامش ابن حزم ، و « الفرق » للبغدادي ص ٤٠ ، ومختصره للرسبي ص ٦٠ ، و « التبصير » للأسفرايين ص ٢٣ ، وانظر أيضاً مادة « الاثنى عشرية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٤٢٩ من الترجمة العربية ، و « عقيدة الشيعة » لدونلسن ص ٢٢٢ ، الترجمة العربية .

(٣) قرية بالعراق بالقرب من بغداد ، غربي الفرات ، قال ابن بطوطة : « وأهل هذه المدينة إمامية إثنى عشرية ، وهم طائفتان : إحداهما تعرف بالأكراد ، والأخرى تعرف بأهل الجامعين ، والفترة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً » . أنظر رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٨

ويقولون : (باسم الله يا صاحب الزمان ، باسم الله اخرج ؛ فقد ظهر الفساد وكثر الظلم ، وهذا أوان خروجك ، فيفرق الله بك بين الحق والباطل) ولا يزالون كذلك وهم يضررون الأوقات والأطبال والأنقار ، إلى صلاة المغرب ^(١) .

ولزيارة هذا الإمام طريق مرسوم يجب أن يسلك ، فعلى الزائر للسرداب أن يسلم على الغائب ويناديه بخليفة الله ، ووصى الأوصياء للماضين ، وحافظ أسرار رب العالمين ، وبقية الله من الصفوة المنتخبين ، وباب الله الذى لا يؤتى إلا منه ، ونور الله الذى لا يطفأ ، وحجة الله على من فى الأرض والسماء ، ثم يخاطبه بما يلي :

« أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقى ، وأن حزبك هم الغالبون ، وأولياك هم الفائزون ، وأعداءك هم الخاسرون ، وأنت خازن كل علم ، وفائق كل رفق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل ، رضىك يا مولاي إماماً وهادياً وولياً ومرشداً ، لا أبتغى بك بدلاً ، ولا أنخذ من دونك ولياً .

« أشهد أنك الحق الثابت الذى لا ريب فيه ، وأن وعد الله فيك حق ، لا أرتاب لطول الغيبة وبُعد الأمد ، ولا أتخير مع من جهلك وجهل بك ، منتظر متوقع لأياديك ، وأنت الشافع الذى لا تنازع ، والولى الذى لا تدافع ، ادخرك الله لنصره ، وإعزاز المؤمنين ، والانتقام من الجاحدين المارقين .

« أشهد أن بولايتك تقبل الأعمال ، وتزكى الأفعال ، وتضاعف الحسنات ، وتُمحى السيئات ، فمن جاء بولايتك ، واعترف بإمامتك قبلت أعماله ، وصدقت أقواله ؛ وتضاعفت حسناته ، ومحيت سيئاته ، ومن عدل عن ولايتك ، وجهل معرفتك ، واستبدل بك غيرك ، كبه الله على منخره فى النار ، ولم يقبل الله له عملاً ؛ ولم يُقم له يوم القيامة وزناً .

« أشهد الله وأشهد ملائكته وأشهدك يا مولاي بهذا ، ظاهره كباطنه وسره كعلانيته ، وأنت الشاهد على ذلك ، وهو عهدى إليك وميثاقى لديك .

«وبذلك أمرني رب العالمين ؛ فلو تطاولت الدهور ، وتمادت الأعمار ، لم أزدك فيك إلا يقيناً ، ولك إلا حباً ، وعليك إلا مُتَّكِلًا واعتماداً ، ولظهورك إلا توقفاً وانتظاراً ، ولجهاذي بين يديك إلا مترقباً ؛ فأبذل نفسي ومالي وأهلي وجميع ما خولني ربي بين يديك ، والتصرف بين أمرك ونهيك .

«مولاي : فإن أدركت أيامك الزاهرة ، وأعلامك الباهرة ، فما أنا ذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك ، أرجو به الشهادة بين يديك ، والفوز لديك .

«مولاي : فإن أدركني الموت قبل ظهورك ، فأنوسل بك ، وبآياتك الطاهرين إلى الله سبحانه وتعالى ، وأسأله أن يجعل لي كرامة في ظهورك ، ورجمة في أيامك ، لأبلغ من طاعتك سرادي ، وأشقى من أعدائك فؤادي .

«مولاي : وقتتُ في زيارتي إليك ، موقف الخاطئين النادمين الخائفين من عقاب رب العالمين ، وقد اتكلتُ على شفاعتك ، ورجوتُ بموالائك وشفاعتك نحو ذنوبي ، وستر عيوبِي ، ومغفرة زللي . فكُن لوليَّك يامولاي عند تحقيق أمله ، واسأل الله غفران زله ؛ فقد تعلّق بحبلك وتمسك بولايته^(١) » ١١

ثم يصلي الزائر ركعتين يقول بعدها :

« الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وعزّنا أوليائه ، وأعداءه ، ووفقنا لزيارة أئمتنا ، ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين ، ولا من الغلاة المقوضين ، ولا من المرتابين المقصرين .
« السلام على وليّ الله ، وابن أوليائه ، والسلام على المدّخر لكرامة أوليائه الله وبنو أعدائه .

« اللهم كما جعلت قلبي بذكره معموراً ، فأجعل سلاحِي بنصرته مشهوراً ، وإن حال بيني وبين لقائه الموت ، الذي جعلته على عبادك حتماً ، وقدرت به على

(١) أنظر عقيدة الشيعة للعلامة دونالدسن « الترجمة العربية » ص ٩ ، ٢ نصر الحائجي بالقاهرة .

خليقتك رغماً ، فابشئ عند خروجه ظاهراً من حفرتي ، مؤثراً كفى حتى أجاهد بين يديه ، في الصف الذي أئنت على أهله في كتابك ، كأنهم بيان مرصوص .

« اللهم طال الانتظار ، وشممت بنا القبحار ، وصعب علينا الانتصار .

« اللهم أرنا وجه وليك الميمون في حياتنا ، وبعد المنون .

« اللهم إني أدين لك بالرجمة ، بين يدي صاحب هذه البقعة . النوث .

النوث . النوث

« يا صاحب الزمان . قطعت في وصلتك الخلالن ، وهجرت لزيارتك الأوطان ،

وأخفيت أمسى عن أهل البلدان ؛ لتكون لي شفيماً عند ربك وربى ، وإلى آبائك موالياً في حسن التوفيق لي ، وإسباغ النعمة عليّ ، وسوق الإحسان إلى » ^(١)

وقد أورد المجلسي في كتابه « تحفة الزائرین » عهداً ، يقطعه الزائر للسرداب

على نفسه ، ويباع به الإمام الغائب ، وقد رفع المجلسي هذا النص للبيعة — بسند

طويل — إلى الإمام جعفر الصادق ، وقال : « إن من قرأ هذا العهد أربعين صباحاً ،

كان من أصحاب الأئمة الأبرار ، وإذا مات قبل ظهور الإمام الثاني عشر ، أقامه الله

من قبره ليسكون مع الإمام عند مجيئه ، وبكل كلمة يقرؤها من هذا العهد ، يرفع الله

له ألف درجة ، ويفر له ألف ذنب . . . » ^(٢) .

وهاك نص هذه البيعة :

« اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ، ومنزل

التوراة والإنجيل والזור ، ورب الظل والحرور ، ومنزل القرآن العظيم ، ورب

الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين .

« اللهم إني أسألك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير ، وملئك القديم ،

يا حي ، يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون ، وباسمك

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٥

الذى يصلح به الأولون والآخرون ، يا حيّ قبل كل حيّ ، ويا حيّ بعد كل حيّ ،
ويا حيّ حين لا حيّ ، يا حيّ الموتى ، وميت الأحياء ، يا حيّ لا إله إلا أنت .

« اللهم بلغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك صلوات الله عليه ، وعلى
آبائه الطاهرين من جميع المؤمنين والمؤمنات ، في مشارق الأرض ومغاربها ، سهلها
وجبلها ، وبرها وبحرها ، غنى وعن ولدى من الصلوات زنة عرش الله ، ومداد
كلماته ، وما أحصاه علمه ، وأحاط به كتابه .

« اللهم إني أجدد له في صبيحة يومى هذا ، وما عشت من أيامى ، عهداً وعقداً
وبيعة له في عتقى ، لا أحول عنها ، ولا أزول .

« اللهم اجعلنى من أنصاره وأعوانه ، والدائنين عنه ، والمسارعين إليه في قضاء
حوائجه ، والمتثلين لأوامره ، والحاميين عنه ، والسابقين إلى إرادته ، والمستشدين
بين يديه

« اللهم إن حال بنى وبينه الموت ، الذى جعلت على عبادك حتماً ، فأخرجنى
من قبرى مؤزراً كفى ، شاهراً سيفى ، مجرداً قناتى ، مليباً دعوة الداعى ، في
الحاضر والبادى ^(١)

« اللهم أرنى الطلعة الرشيدة ، والفترة الحيدة ، وأكمل ناظرى بنظرة منى إليه ،
ومجّل فرجه ، وسهّل مخرجه ، وأوسع منهجه ، واسلك بى محجته ، وأنفذ أمره ،
واشدّد أزره ، واعمّر اللهم به بلادك ، وأحى به عبادك ؛ فإنك قلت ، وقولك الحق ،
(ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) .

« فأظهر اللهم لنا وليك ، وابن بنت نبيك ، المسمى باسم رسولك حتى لا يظفر
بشىء من الباطل إلا مرزقه ، ويحق الحق ويحققه ، واجعله اللهم مفرجاً لظلم عبادك ،

(١) يتضح لك من هذه الدعوات الحارة صدق ماحدثناك به من أن الاثنى عشرية يدينون
بالرجمة ، ويسألون الله أن يخرجهم من قبورهم قبل يوم القيامة ، ليكونوا في جيش مهديهم
عبد بن الحسن العسكري ، ويسموا معه في انتصاره على الكفرة والمارقين .

وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك ، ومجداً لما عُطِّلَ من أحكام كتابك ، ومشيئاً لما ورد عن أعلام دينك ، وسنن نبيك صلى الله عليه وآله ، واجمله اللهم في حصن من بأس المتدين .

« اللهم وسِّرْ نبيك محمداً صلى الله عليه وآله برويته ، ومن تبعه على دعوته ، وارحم استكناقتنا بعده .

« اللهم اكشف هذه الغمة ، عن هذه الأمة بحضوره ، وتَجَلُّلنا ظهوره ، وإنهم يرونه بعيداً ، وزراه قريباً برحمتك يا أرحم الراحمين ^(١) .. ١١ » .

وقد استمر تيار الشك في وجود محمد بن الحسن قوياً جارفاً حتى المصور الحديثة ؛ قال العلامة الفارسي « ميرزا عبد الحسين آواره » :

« وفي الحقيقة ونفس الأمر ، لم يكن القول بوجود شخص كهذا ، إلا فرية واختلاقاً ؛ وذلك أنه لما توفي الإمام الحسن العسكري ، لم يكن له خالف ولا ذرية ، فاستولى المتوكل العباسي ، بعد وفاته على أمواله جميعها ووزعها ، وبعث بالقوايل إلى حرمه ، للكشف على نسائه ، وتبين حملهن من عدمه ، فتحقق بعد الكشف أنه لا يوجد بينهن حامل ، وشاعت الأخبار وذاعت أن الحسن مات عقيماً ، ولكن هذا الخبر ، لما لم يرق في أعين زمرة من شيعته ، أشاعوا نقيضه ، وهو أن الإمام الحسن له ولد صغير السن ، كان يخفيه والده عن أعين الناس خوفاً عليه من الأعداء ، وهو الآن في النخبة الصغرى . وعلى أثر تلك الإشاعة قام أربعة رجال ، الواحد بعد الآخر ، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب ، وعُرفوا باسم (النواب الأربعة) ^(٢) » .

ومجدثنا أيضاً البجائي « ميرزا آواره » ^(٣) ، أنه في سنة ستين بعد المائتين من الهجرة ، مات النائب الرابع وهو محمد بن عثمان السري ، وقد قرر وهو مختصر سداً باب النيابة ، وابتداء غيبة الإمام الكبرى ، وقد أخذ علماء الشيعة يعملون جهدهم

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٤٥

(٢) السكواكب الدرية في تاريخ ظهور البائية والبهائية ص ١٠ ص ٣١

(٣) المصدر السابق ص ١ ص ٣٣ وما بعدها .

في تأييدها بالحجج والبراهين ، واشتد ذلك في القرون الوسطى للإسلام ، غير أن هذه البراهين كانت — كما يقول آواره — من الضعف بمكان .

ويشغل محمد بن الحسن العسكري صحائف عديدة من أدب الشيعة الاثني عشرية ، وقد امتدحه بهاء الدين العاملي — المتشيع الاثنا عشرى صاحب الكشكول — بقصائد تُعد من أروع الشعر العربى ، سلاسة ورقة وصدقاً ، وسنعرض لذلك في حينه . وقد سخر أهل السنة من عقيدة الاثني عشرية الخاصة بالمهدى وفنّدوها بقولهم : إن المهدى — تبعاً لما جاء في الروايات — يجب أن يكون اسمه محمداً (كاسم النبى) ، واسم أبيه عبد الله (كاسم أبيه عليه السلام) ، ووالد المهدى ، وهو الإمام الحادى عشر اسمه الحسن ، لا عبد الله ، كما يجب أن يكون .

وقد سخر أهل السنة أيضاً سخريّة لازعة من غيبة محمد بن الحسن ، واختفائه في السرداب ، وفي ذلك يقول ابن حجر^(١) :

ماحان للسرداب أن يلد الذى سميتوه بزعمكم إنساناً ١٢
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العناء والنعيا لنا

وقد أجاب الاثنا عشرية — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » Goldziher^(٢) — بقولهم : إن متن الحديث الدال على اسم المهدى قد صُحّف ، فبدلاً من عبارة (يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى) الواردة في الحديث ، يزعمون أن الصواب (واسم أبيه اسم ابني) ، وأبو المهدى اسمه (الحسن) وهو اسم حفيد النبى (الحسن بن على) ، ولا يشكون في أن كلمة (ابن) تفيده أيضاً معنى الحفيد !

أما اخفاء الإمام وغيبته ، فقد اشتغلوا بها في العصور الوسطى الإسلامية ، وأقاموا عليها أدلة وبراهين ، غير أنها كانت من الضعف بحيث لم تقنع الشيعة أنفسهم ، بله أهل السنة ، وقد كانت في الحق مجرد جدال ولجاج .

(١) الكواكب الدرية ١ ص ٣٢

(٢) العقيدة والصريفة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٤

والاثنا عشرية من أعظم فرق الشيعة انتشاراً في العصر الحديث ، وقد أقرّت مذهبهم في إيران ، الأسرة الصفوية — التي تزعم أنها من سلالة موسى الكاظم — فأصبح بذلك المذهب الرسمي للدولة ، وقد أمر الشاه اسماعيل الصفوي — بعد اعتلائه العرش عام ١٢٠٦ هـ / ١٨٠٠ م — خطباء أذربيجان ، أن تكون الخطبة باسم الأئمة الاثني عشر .

ومن الاثني عشرية في إيران انشعبت « البابية » و « البهائية » ، وانفردت كل منهما بمعتقد جديدة ، لاقت رواجاً في العصر الحديث كما سنحدثك فيما بعد .
وللمذهب الاثني عشرى — كما يقول^(١) العلامة « هيار » Huart — أهمية كبرى عند الفرس ، الذين نظروا إلى الأئمة كما نظر النصارى إلى ألقائهم ، وقالوا إن بأيديهم مقادير العالم ، وعليهم حفظه وهدايته ، وطاعتهم والتوسل إليهم أمران ضروريان ، وهناك صلوات خاصة بهم ، وأيام وساعات مقدسة من أجلهم ، ولذين يزورون قبورهم أجر معلوم ...

الإسماعيلية^(٢) :

تنسب هذه الفرقة إلى الإمام السابع « إسماعيل » وهو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق ، وكان جعفر قد عين إسماعيل خلفاً له ، غير أنه لقيه مرة مملاً مخجوراً ، فعاد وعين ابنه الثاني موسى ، ولكن الإسماعيلية لا تسلّم بنزع الإمامة من إسماعيل ؛ لأنهم يرون أن الإمام معصوم ، وشرب الخمر لا يقدرح في عصمته ، ويلومون جعفراً على فعلته ، التي تمس عصمة الأئمة وترتيبهم الإلهي المقدس . وقد توفي

(١) أنظر مادة الاثني عشرية بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٢٩ ، من الترجمة العربية .
(٢) ويسمون أيضاً بالباطنية ؛ وذلك لقولهم بالإمام الباطن أي المستور أو لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره . وقد عني أبو حامد الغزالي بالرد على هذه الطائفة ذات التعاليم الخطرة في كتابه « فضائح الباطنية » الذي نشره العلامة « جولدزهر » Goldziher بليدن عام ١٩١٦

إسماعيل هذا بالمدينة عام ١٤٣ هـ = ٧٦٠ - ٧٦١ م ، أى قبل وفاة أبيه بخمس سنين ودفن ببيمع الفرقد^(١) .

وقد أراد جعفر الصادق أن يؤكد وفاة ابنه — الذى يظهر تماماً أنه لم يكن راضياً عنه — قائماً له ذلك بشهادة عدول كثيرين ، بيد أن الإسماعيلية أيضاً لم يسلموا بموت صاحبهم ، على الرغم من تأكيدات جعفر القاطمة ، وزعموا أنه كان حياً بعد وفاة أبيه بخمس سنين ، وأنه رؤى فى سوق البصرة ، حيث وضع يده على مقعد فأبراه . . . !

وقد انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ولده محمد الكتوم ، الذى أصبح الإمام السابع الحقيق ، وحلَّ بذلك محلَّ أبيه ، وهو أول الأئمة المستورين ، الذين تفرقوا فى البلاد مختلفين ، لما لحقهم من الاضطهادات السياسية التى حاقت بالعلويين جميعاً . وكان هؤلاء الأئمة المستورون ، يبعثون إلى العالم الإسلامى بالدعاة ، محتجين بالمجاهرة بالدعوة ، إلى أن مات الإمام محمد الحبيب بن جعفر الصادق ، بن محمد الكتوم بن إسماعيل ، بن جعفر الصادق ، آخر هؤلاء الأئمة المختلفين ، وحانت عقيب موته تلك اللحظة الحاسمة ، التى أثمرت فيها تعاليم الحركة الدرعية الإسماعيلية بظهور ولده عبيد الله ، على اعتبار أنه المهدي المنتظر ، وقد دعا له فى صحارى المغرب ، أبو عبد الله الشيعي ، الحسن بن أحمد ، الذى يظهر أنه نجح فى مهمته أياً نجح . وقد حاول الخليفة العباسي المكنى بالله ، القبض على أحد دعاة الدعوة الخطرين سعيد بن الحسين ، ولكنّه فرَّ إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب ، حيث وجد فيها أرضاً خصيبة صالحة لبذور دعوته ؛ وذلك لما كان بسودها وقت ذاك من انحطاط فكرى عام وبدواة شاملة .

(١) أنظر فيما يتعلق بالإسماعيلية ، الشهرستاني ج ٢ ص ٢٧ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية ، والبغدادي فى « الفرق » ص ٣٩ ، نشر المطابع بالقاهرة ، ومختصر الرسمى ص ٥٨ ، والأسفرايين فى « التبصير فى الدين » ص ٢٣ ، وأنظر أيضاً هذه المادة بدائرة المعارف الإسلامية ، جلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية .

ويحدثنا الرواة أن هذا الداعية الخطر «سعيد بن الحسين» هو الذي زعم أنه المهدي المنتظر، أبو محمد عبيد الله من ولد جعفر الصادق، ولم ينكر عليه الداعية أبو عبد الله الشيعي هذا الزعم، بل عمل على تأكيده وأخذ البيعة له، فبايعه على دعوته بربرقة قليلة كتماناً، ثم تتابع المغاربة على المبايعة، فاستطاع أبو عبيد الله المهدي — بعد خطوط وحروب — أن ينتزع ملك الأغلبية، وأن يحقق أحلام العلويين بقيام دولة بني عبيد الفاطمية في شمال أفريقيا، في أواخر القرن الثالث الهجري ٢٩٦ هـ — ٩٠٩ م.

ولاشيعة الإسماعيلية دعوة سرّية فلسفية إلحادية، لها درجات ومراتب؛ قال عضد الدين الإيجي:

«ولهم في الدعوة مراتب:

«الدوق — وهو تفرّس حال المدعو؛ هل هو قابل للدعوة أم لا؟ ولذلك منعوا إلقاء البذر في السيخة، والتكلم في بيت فيه سراج.

«ثم التأنيس باستماله كل أحد بما يميل إليه، من زهد وخلاعة.

«ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور، وقضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها، والغسل من للمني دون البول، وعدد الركعات.

«ثم الربط: أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده، ألا يفشي لهم سرّاً، وحوالته على الإمام في حل ما أشكل عليه.

«ثم التدليس: وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم، حتى يزداد ميله

«ثم التأنيس: وهو تمهيد بمقدمات يقبلها المدعو.

«ثم الخلع: وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.

«ثم السلخ عن الاعتقادات، وحينئذ يأخذون في استهجال الذات، وتأويل الشرائع»^(١).

وقد حدثنا العلامة تقي الدين المقرئ^(٢) عن دعوة الإسماعيلية هذه، وصورها

(١) المواقف ص ٤٢٢، والفرق بين الفرق ص ١٧٩.

(٢) انظر المقرئ ص ١٠٠ وما بعدها ط بولاق عام ١٢٧٠ هـ.

لنا تصويراً رائعاً ، يدلنا على مقدار ما وصل إليه دعاة الإسماعيلية من براعة فائقة في جذب الناس إلى حظيرة الدعوة بأساليب سيكلوجية دقيقة ؛ فالداعي يبدأ مهمته بسؤال من يدعوه إلى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ، ومعاني الأمور الشرعية ، وشيء من الطبعيات ومن الأمور الغامضة ، فإن كان المدعو عالماً بمثل ذلك سلم له الداعي ، وإلا تركه يُعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة ، قائلاً له : يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف ، وحينئذ يشتاق الطالب إلى معرفة ما عند الداعي من هذا العلم المستور ، وحينما يجد صاحبنا إقبالاً من تلميذه ، يأخذ في ذكر معاني شرائع الدين ، وتقرير أن الآفة التي نزلت بالأئمة وقرئت الكلمة وأورثت الأهواء المصلة ، هي ذهاب الناس وانصرافهم عن الأئمة الذين نُصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائهم ، يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواسطتها ، غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا في الأمور بمقوّمهم ، واتبعوا ما حسّن في رأيهم ، وقلدوا سفتهم وأطاعوا سادتهم وكبراءهم ، اتبعوا الملوك وطلبوا للدنيا ، التي هي أبدى متبى الإنم وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرياسة على الضعفاء ، ومكايده رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة دعوته وإفساد شريعته وسلوك غير طريقته ، ومماندة الخلفاء والأئمة من بعده ، صار الناس إلى أنواع الضلالات ، فإن دين محمد ما جاء بشبهوات الناس ولا بما خف على الألسنة وعرفته دماء العامة ، ولكنه صعبٌ مستصعب وعلمٌ خفي غامض ، ستره الله في حجه وعظم شأنه عن ابتذال أسرارهِ ، فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملكٌ مقربٌ ، أو نبي مرسل أو عبد مؤمن ، امتحن الله قلبه للثقوى . . . !

فإذا أنس الداعي من تلميذه إنصافاً له وإقبالاً عليه نقله إلى المرتبة الثانية ، بعد أن يعمل على تشكيكه في الشريعة الإسلامية .

ومن المسائل التي كانوا يبعثون بها الشك والقلق في نفوس الناس ، قولهم :
 ما معنى رمي الجار والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم كانت الحائض تقضى الصوم
 ولا تقضى الصلاة ؟ وما بال جنب يقتل من ماء دافق يسير ، ولا يقتل
 من البول النجس الكثير ؟ وما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أعجز عن
 خلقها في ساعة واحدة ؟ وما معنى الصراط الوارد في القرآن ؟ وما معنى الكتابين
 الحافظين ؟ وما لنا لا نراها ؟ أخاف الله أن نكابره ونجاحده ، فأقام علينا
 الشهود وقيد ذلك بالكتابة في القراطيس ؟ وما تبديل الأرض غير الأرض ؟
 وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلد مذهب بجلد لم يذنب حتى يمدب ؟
 وما معنى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ وما إبليس ؟ وما الشياطين
 وما وُصفوا به ؟ وأين مستقرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت ؟
 وأين مستقرهم ؟ وما سبعة أبواب للنار ؟ وما ثمانية أبواب للجنة ؟ وما شجرة
 الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الأرض ورءوس الشياطين ؟ وما الشجرة
 الملعونة في القرآن ؟ وما التين والزيتون ؟ وما الخدس والكدس ؟ وما معنى ألم والمص ؟
 وما معنى كهيمص وحمسق ؟ ولم جعلت السموات سبعا ، والأرضون سبعا ، والثاني
 من القرآن سبع آيات ؟ ولم تُجُرت العيون اثنتي عشرة عيناً ؟ ولم جعلت الشهور
 اثني عشر شهراً ؟ وماذا ينفعكم العمل بالكتاب والسنة من غير أن تفكروا
 أولاً في أنفسكم : أين أرواحكم ؟ وكيف صورها وأين مستقرها وما أول أمرها ؟
 والإنسان : ما هي حقيقته ، وما الفرق بين حياته وحياته البهائم ؟ وما معنى قول
 الرسول : خلقت حواء من ضلع آدم ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الإنسان عالم صغير
 والعالم إنسان كبير ؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ؟
 ولم كان في يديه من الأصابع عشر وكذلك في رجليه ؟ ولم كان في ظهره اثنتا عشرة
 عقدة وفي عنقه سبع عقد ؟ ولم جعلت أعداد عظام الإنسان كذا ... وأعداد أسنانه
 كذا ... والأعضاء الرئيسية كذا ... ؟ إلى غير ذلك من التشریح والقول في العروق
 والأعضاء ومنافع الحيوان . . . ! !

هذه هي مسائلهم التي كانوا يثيرون بها الشك في نفوس الجماهير ، فإذا نجحوا في ذلك ، وأكبر الظن أنهم كانوا ينجحون ، يقول الداعي لتلاميذه :

ألا تفكرون في حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم ؟ وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية ، حتى جمع ما جمع وفرّق ما فرّق ؟ . فكيف يسمعكم الإعراض عن هذه الأمور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون » ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ؟ . وأى حق عرفه من جحد الديانة ؟ ألا يدلّسكم هذا على أن الله جلّ اسمه أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية وأسرارها المكتومة ؟ . ولو تنبهتم لها وعرفتموها ، لزال عنكم كل حيرة ، ودُحضت كل شبهة ، وظهرت لكم المعارف السنية ، ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها كان حرياً ألا يعلم غيرها ؟ أليس الله تعالى يقول : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً » ؟ .

وهكذا يستمر الداعي في تأويل القرآن ، وتفسير السنن والأحكام ، وإيراد أبواب من التجويز والتعليل ، فإذا علم أن نفس الطالب قد تعلقت بما سأله عنه ، وطلب منه الجواب عنها ، قال له حينئذ :

« لا تعجل فإن دين الله أعلى وأجل من أن يُبذل لغير أهله ، ويُجعل غرضاً للآعب » . وجرت عادة الله وسفته في عبادته عند شرع من نصبه ، أن يأخذ الدهد على من يرشده ولذلك قال : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » ، وقال عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بذلوا تديباً » ، وقال جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، وقال : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تعملون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » ، وقال : « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل » .

فأعطينا صفقة يمينك ، وعاهدنا بالمؤكد من أيمانك وعقودك ، ألا تفشي لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ، ولا توالى لنا عدوا . فإذا أعطى الطالب العهد ، قال له الداعى : أعطنا جُملًا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إياها ... يقول المقرئى : « والرسم فى هذا الجمل بحسب ما يراه الداعى ، فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعى ، وإن أجاب نقله إلى الدعوة الثانية » .

وهذه صورة العهد الذى يؤخذ على من يريد الدخول فى حظيرة الإسماعيلية^(١) :
يقول الداعى لتلميذه : « جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق ، أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعه ، وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمرى وأمر المقيم بهذا البلد ، لصاحب الحق الإمام ، الذى عرفت إقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالفته له ، من الذكور والإناث والصغار والكبار ، فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، ولا شيئاً يدل عليه ، إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به ، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد ، فتعمل فى ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك ، أن تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتى الزكاة لحقها ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به ورسوله ، وتوالى أولياء الله وتعادى أعداء الله ، وتقوم بفرائض الله وسننه ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، ظاهراً وباطناً ، وعلانية سراً وجهراً ، فإن ذلك يؤكد هذا

(١) خطط المقرئى - ١ ص ٣٩٦ وما بعدها ط بولاق .

العهد ولا يهدمه ، ويثبتته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعده ، ويشده ولا يضعفه ،
ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعميه ، كذلك هو الظاهر والباطن وسائر
ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، على الشرائط المبينة في هذا
العهد ، جعلت على نفسك الوفاء بذلك ، قل : نعم — فيقول المدعو : نعم ، ثم يقول
الداعي له — والصيانة له بذلك ، وأداء الأمانة ، على ألا تظهر شيئاً أخذ عليك في
هذا العهد ، في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، لا في غضب ولا على حال رضى ، ولا على رغبة
ولا في حال رهبة ، ولا عند شدة ولا في حال رخاء ، ولا على طمع ولا على حرمان ،
تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد ، وجعلت على
نفسك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن تمنعني وجميع من
أسميه لك وأثبتته عندك ، بما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولولايتك ولّى الله ، نصيحاً
ظاهراً وباطناً ، فلا تخن الله وولّيه ولا أحداً من إخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه
منّا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله ، فإن
فعلت شيئاً من ذلك ، وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه ، فأنت برىء
من الله خالق السموات والأرض الذى سوى خلقك وأتف تركيبك ، وأحسن إليك
في دينك ودنياك وآخرتك ، وتبرأ من رسله الأولين والآخرين ، وملائكته المقرّبين
الكروبيين والروحانيين ، والسكيات التامات ، والسمع المنان والقرآن العظيم ، وتبرأ
من التوراة والإنجيل والزرور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدّم
الدار الآخرة ، ومن كل عيّد رضى الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب
أوليائه ، وخذلك الله خذلاً نبياً ، يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار
جهنم ، التى ليس لله فيها رحمة ، وأنت برىء من حول الله وقوته ، مُلجأ إلى حول
نفسك وقوتك ، وعليك لعنة الله ، التى لعن الله بها إبليس ، وحرّم عليه بها الجنة
وخلده في النار ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، ولقيت الله يرم تلقاه وهو عليك غضبان
والله عليك أن تحجج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجّاً واجباً ماشياً حافياً ، لا يقبل الله

منك إلا الوفاء بذلك ، وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في مملكتك أو تستفيده إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك أو تزوجها إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فمن طوالق ثلاثاً بته ، طلاق الحرج لاثموبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما ، فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك ، وأنا المستحلف لك ، لإمامك وحجتك ، وأنت الخالف لهما ، وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجدة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها ، والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل : نعم ، فيقول : نعم . » .

فإذا أعطى الطالب على نفسه هذا العهد الوثيق ، قال له الداعي : إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده ، إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس ، وأقامهم لحفظ شريعته على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ، فإذا تقرر ذلك في نفس الطالب نقله إلى المرتبة الثالثة ، ويعرفه أن الأئمة سبعة ، قدرتهم الله تعالى كما رتب الأمور الجليلة ، فإنه جعل السكواكب السيارة سبعة ، وجعل السموات سبعاً ، وجعل الأرضين سبعاً ، وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي والحسين بن علي ، وعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ومحمد بن علي ، وجعفر ابن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان .

والإسماعيلية كما يقول المقرئ : « مختلفون في هذا القائم ، فمنهم من يجعله محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويُسقط إسماعيل بن جعفر ، ومنهم من يعدّ إسماعيل بن جعفر إماماً ثم يعدّ ابنه محمد بن إسماعيل . » .

فإذا تقرر عند الطالب أن الأئمة سبعة ، شرع الداعي في ثلث بقية الأئمة

الذين تعتقد الإمامية فيهم الإمامة ، وأخذ يؤكد لتلميذه أن محمد بن إسماعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره ، وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة ، ثم يشرع الداعي في تقرير المرتبة الرابعة ، بعد أن يتيقن من صحة انقياد تلميذه لجميع ماتقدم ، وفي هذه المرتبة يحدّثه عن الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لأحكامها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال ، وأنهم سبعة فقط كدند الأئمة سواء ، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء لابد له من صاحب ، يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ؛ ويكون معه ظهيراً له في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، وأن آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحبه عليّ بن أبي طالب ، ثم من بعد عليّ ستة صمّيتوا على الشريعة المحمدية ، وقاموا بميراث أسرارها ، وهم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق ، أما ابنه محمد فهو صاحب الزمان ، الذي انتهى إليه علم الأولين ، وعلى جميع الناس اتباعه والخضوع له والانقياد إليه ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة الخامسة ، وفيها يقرّأ أنه لابد لكل إمام قائم من أعوان ، هم حجج الله على خلقه ، متفرقون في أنحاء الأرض وعليهم تقوم ، وعدنهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة السادسة ، وفيها يفسر شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر ، وأن هذه الأشياء جاءت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم ، حتى يشتغلوا بها عن بني بعضهم على بعض ، ولتصدّم عن الفساد في الأرض ... !

فإذا طال الزمان وصار الطالب يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وُضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة ، وأن لها معاني آخر غير ما يدل عليه الظاهر ، نقله الداعي إلى السكلام في الفلسفة ، وحضّه على النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، ونهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ، وزيّن له الاقتداء بالأدلة العقلية

والتعويل عليها ، فإذا استقر ذلك عنده ، نقله إلى المرتبة السابعة ، وفيها يتحدث الداعي عن الناصب للشريعة وأنه لا يستغنى بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكون أحدهما الأصل والآخر عنه كان وصدر ، ثم ينتقل إلى المرتبة الثامنة وفيها يشرح الداعي ويقرر أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب ، معناها سوى ما يفهمه العامة ، وغير ما يتبادر للذهن إليه ، وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء دور من أدوار السكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد ، جاء على ترتيب الطبائع ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة التاسعة ، وهي النتيجة التي يحاول بتقرير جميع ماتقدم رسوخها في نفس من يدعو ، فإذا تبين أن المدعو تاهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز ، أحاله على ماتقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات ومابعد الطبيعة والعلم الإلهي . وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية . حتى إذا تمكن الطالب من معرفة ذلك ، كشف الداعي قناعه ، وأخذ يشرح لتلميذه أن الوحي ماهو إلا صفاء النفس ، فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه وينزل عليه ، فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله ، الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة العامة ، ولا يجب حينئذ العمل بها ، إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء ... ١ ، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه ... ١ وما عدا المعرفة من سائر أمور الشرع فإنما هي أقال وأوضار ، حملها الكفار أهل الجهالة ... ١

فالأنبياء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة ، أما الفلاسفة فهم أنبياء حكمة الخاصة ... ١١

ونحن لانشك أن هذه الدعوة الإسماعيلية هي بعينها ومراتبها دعوة ابن ميمون السريّة الإلحادية التي كانت سبباً في ثورة القرامطة الإباحية ، والقرامطة الباطنية إسماعيلية ؛ فقد كان ابن ميمون من تلامذة جعفر الصادق ؛ قال ابن شهر آشوب :

« عبد الله بن ميمون القداح المسكي ، من أصحاب الصادق عليه السلام ^(١) » .
ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن من الإسماعيلية ، « الدرور » أتباع حمزة بن علي
وأبي محمد الدرزي ، الذين يقولون بألوهية الخليفة الفاطمي الإسماعيلي الحاكم
بأمر الله ، ويعتقدون رجعته إلى الدنيا .

والإسماعيلية اليوم من فرق الشيعة الواسعة الانتشار ، وإمامهم المعاصر هو الزعيم
الهندي المعروف « أغا خان » أحد أثرياء العالم .

ومن « الإسماعيلية » و « البهرا » يتكون في الهند الجانب الأكبر من المسلمين
كما يحدتنا العلامة « هيار ^(٢) » Huart ، وهم منتشرون أيضاً في الشام وإيران
وأواسط آسيا بالقرب من « بلخ » ، وفي أفغانستان ، حيث يعرفون هناك باسم
« مفتدي » ، كذلك يوجد منهم عدد كبير في البلاد الواقعة في حوض نهر جيحون
الأعلى ، كما يوجدون أيضاً في زنجبار وتنجانيقا ، ويمدون هناك بعشرات الألوف ^(٣) .

(١) معالم العلماء ص ٦٥ ط طهران .

(٢) أنظر مادة « الإسماعيلية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية

(٣) المصدر السابق .

الفصل الخامس

أدب المهديّة عند الشيعة

أدب الشيعة بوجه عام ، أدب حزين مكثوم ؛ تشيع الدموع بين طواياه ، فتطالعك بها سطورها ، وتدعوك إليها ألفاظها حتى ليكاد يبيكك . وهو أدب صادق ، فاض به نبع خالص فياض ؛ تطالعها فلا تحس دجلاً مستوراً في زخرف القول ، أو نفاقاً مبرقعاً بصنعة اللفظ وتهريج الكلم ، بل إنك لتكاد تحس بالنفوس مذابة في كلمات ، وبالأرواح سيالة في سطور . وهو مع هذا سلس لا تعقيد فيه ولا صنعة ، لا تكاد تبدأ في قراءة القصيدة من شعره ، حتى تسلك البداية إلى النهاية ، في جو حزين مليء بالمواطن ، دون تعثر بمجوشى اللفظ ، أو إسفاف وتدلّ إلى بهرج الصنعة الزائفة ؛ تأخذك دموعه ، كما يأخذك جرسه في الأذن ووقعه في القلب . وإنك لتلمس ذلك واضحاً أيما وضوح في أشعار « دعل » و « هاشميات » الكيت .

ولقد كان لتاريخ الشيعة السياسي ، ولما ذاقه العلويون من صنوف المحن والمظالم ، أثر كبير في طبع هذا الأدب بطابع الحزن والصدق والقوة الفنية . وهو في جلته يكاد يدور حول مناقب عليّ بن أبي طالب ، وإمامته ووصايته واعتصام حقه في الخلافة ، ثم في مقاتل الطالبيين ، والنياحة على قبورهم والإشادة بفضائلهم . وصبّ العنات على ظالمهم ، والتقرب من أحيائهم ، والتوسل بأمواتهم ، كل ذلك حسبة لله تعالى وزلنى إليه .

بيد أن الشاعر المتشيع كثيراً ما تدفعه حماسه لآل البيت ، إلى الإغراق في شعره والفلوّ فيه إلى حد بعيد ، تدفعه إلى ذلك عقيدته المقدسة في « الإمام » الذي يكاد الشاعر يرتفع به إلى مصاف الآلهة ؛ كما في قول ابن هانيّ الأندلسي في المعزّ لدين الله الفاطمي :

ماشتتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار !
وكفا في أشعار « العاملي » التي سنأتى عليها بعد حين .

ولقد كان لعقيدة « المهدي » عند الشيعة نصيب كبير من أدبهم ، فشغلت منه صحائف رائمة حقاً ، والذي يعنينا في هذا المقام ، هو هذا الأدب الذى يدور حول « المهدي » أو يتصل به بسبب أو نسب . وسنقصر حديثنا في هذا الصدد على شعراء ثلاثة ، يعتبرون بحق من غول شعراء الشيعة في القديم والحديث ، وهم : كثير عزة ، والسيد الجيرى ، وبهاء الدين العاملي .

كثير عزة :

هو الشاعر الغزلى المشهور ، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن ، كان كما يقول صاحب الأغاني :

« من غول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعى ، وكان غالباً في التشيع ، يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَقِّقاً مشهوراً بذلك ، وكان آل مروان يعلمون بمذهبه ، فلا يقيم ذلك لجلالته في أعينهم ، ولطف محله في أنفسهم وعندهم ، وكان من أتبه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد »^(١) .

فكثير شاعر كيسانى كربى^(٢) ، يدين بمهدية محمد بن الحنفية وببقائه حياً يجبال رضوى ، وخروجه يوماً ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ...

ولقد كان يدين بالتناسخ ، دخل يوماً على عمة له يزورها — وكانت تسكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها — فقال لها : والله ما تعرفينى ولا تسكرمينى حق كرامتى ، قالت : بلى ، والله إني لأعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان بن فلان

(١) أنظر الأغاني ج ٩ ص ٤ ط الدار .

(٢) الكربية أتباع أبى كرب الضرير ، وهم إحدى فرق الكيسانية التى قالت بمهدية ابن الحنفية وحياته يجبال رضوى كما أوضحنا ذلك من قبل .

وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت :
فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ^(١) . . . !

وكان طبعياً أن يدين بالرجعة ، دخل عليه عبد الله بن حسن ، بن حسن بن علي
ابن أبي طالب ، يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثيرٌ : أبشر فبكأنك
بي بعد أربعين ليلة ، قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن :
مالك ؟ ! عليك لعنة الله ، فوالله لئن متَّ لا أشهدك ، ووالله لا أعودك
ولا أكلمك أبداً ^(٢) . . .

ولقد بكاه بعض أهله في مرض موته فقال له : لاتبك فبكأنني بك بعد أربعين
يوماً نسمع خشقة ^(٣) نعلي من تلكم الشربة راجعاً إليكم ^(٤) . . . !
ولقد تبرأ كثيرٌ من الخلفاء الثلاثة الأول ، إذ رآهم معتصبين لحق علي
في الخلافة ، فقال ^(٥) :

برئتُ إلى الإله من ابن أروى ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمرٍ برئتُ ومن عتيق غداة دُعي أمير المؤمنين
وقد أجابه البغدادي بقوله ^(٦) :

برئتُ إلى الإله ببغض قوم بهم أحيى الإله المؤمنين
وما ضرَّ ابنَ أروى منك بغضٌ وبغض البرِّ دين الكافرينا
أبو بكر لما حقاً إمام على رغم الروافض أجمعينا
وفاروق الوري عمر بحق يقال له أمير المؤمنين

(١) الأغاني ٩ ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٧

(٣) خشقة النعل : صوتها .

(٤) الأغاني ٩ ص ٣٦

(٥) أنظر شرح ديوان كثير ١ ص ٢٦٩ ط الجزائر ، وأنظر أيضاً المقد الفريد

لابن عبد ربه ٢ ص ٤٠٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٨

والحق أن كثيراً كان صادقاً كل الصدق في تشيعه ، وإن كان كاذباً كل
الالكذب في عشقه ، منافقاً كل النفاق في سياسته ، وأقد مات بالمدينة عام ١٠٥ هـ
قال ابن سلام :

« مات كثيرٌ وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاختلفت قریش
في جنازة كثيرٍ ، ولم يوجد لمكرمة من يحمله ^(١) » .
وفى ابن خلكان :

« عن الواقدي قال مات عكرمة مولى ابن عباس وكثيرٌ عزّة في يوم واحد
في سنة خمس ومائة ، فرأيتهما جميعاً ، صلّي عليهما في موضع واحد ، فقال الناس :
مات أفعه الناس وأشعر الناس ، وكان موتهما بالمدينة ^(٢) » .

وأقد عاصر كثيرٌ ، محمد بن الحنفية ، الذي كان يحبه ويمطف عليه ويتلطف به ،
لنضاله عن آل البيت ، وقد افتخر كثيرٌ بذلك فقال ^(٣) :

أقرّ الله عيني إذ دعاني أمين الله يلطف في السؤال
وأثنى في هواي على خيرٍ وساءل عن بنيّ وكيف حالي
وكيف ذكرتُ حال أبي خبيب ^(٤) وزلّة فعله عند السؤال

هو المهديّ خبرناه كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالي
وعندما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية في سجن عارم بمكة — انتقاماً
منه ومن بني هاشم جميعاً ، لرفضهم مبايعته والتعاون معه كما أوضحنا ذلك من
قبل — أنشد كثيرٌ ^(٥) :

(١) طبقات الشعراء ص ١٨٤ ط السعادة .

(٢) انظر وفيات الأعيان ص ١ من ٤٣٥ ط الحلي ، وانظر أيضاً « شذرات الذهب »
لابن العباد ص ١ من ١٣٠ وما بعدها .

(٣) الأغاني ص ٩٦ ، والديوان ص ١ من ٢٧٥ .

(٤) كنية عبد الله بن الزبير ، وكان ميثلاً .

(٥) الأغاني ص ٩ من ١٥ ، وانظر الديوان ص ١ من ٢٧٨ ، وانظر أيضاً الكامل
لمبرد ص ٧ من ١٣١ نهر المرسى .

من يرى هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه وفكّك أغلال ونفّاع غارم
أبى فهو لا يشرى هدى بضلالة ولا يتقى في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروح ساكن وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بيباق لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم
تُخبر من لا قيت أنك عائد^(١) بل العائد للظلم في سجن عارم

السيرة الحميرية :

أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، شاعر الشيعة الكيسانية غير مدافع ، وقد كان جده يزيد شاعراً فحلاً مشهوراً ، هجّاز زياد بن سمية وبنيه ، ونفّاه عن آل حرب ، فحبسه عبيد الله بن زياد وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . وقد كان السيد كجده ، شاعراً متقدماً مطبوعاً مكثراً ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره ، لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله وأزواجه كما يقول صاحب الأغاني^(٢) ، ولكن بالرغم من ذلك ، فإننا نجد سنياً كبيراً ومحدثاً مشهوراً كالدارقطني يحفظ ديوانه ، ويقول في حقه بشار : « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لأتبعنا^(٣) » .

ولد شاعرنا لأبوين خارجيين إباحيين ، كان منزلها بالبصرة في غرفة بنى ضبة ، التي طالما سب فيها علي بن أبي طالب ، كما يخبرنا السيد عن أبيه ، فإذا سئل الشاعر عن هذا التشيع من أين وقع له ؟ قال : « غاصت عليّ الرحمة غوصاً^(٤) » ، ولما علم

(١) لقب ابن الزبير .

(٢) الأغاني ج ٧ ص ٢٢٩ ط الدار .

(٣) ابن شهر آشوب « معالم العلماء » ص ١٣٤ ط طهران .

(٤) الأغاني ج ٧ ص ٢٣٠

أبواه بتشيعه ، هما بقتله ، فأتى عقبة بن مسلم الهنائي مستنجراً ، فأجاره وبأه منزلاً وجبه له ، فكان فيه حتى مات أبواه فورثهما .

والحميري كصاحبه كثير ، صادق في تشيعه منافق في سياسته مع بنى العباس ، ولقد كان الحميري ملهماً في شعره ، بالفأ به حدّ الروعة والإعجاب ؛ وإنه ليحدثنا عن شاعريته الفذة هذه فيذكر أنها نعمة من نعمات الرسول عليه السلام في حلم رآه ، ولم يفته أن يقصه علينا فيقول :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وكأنه في حديقة سمخة فيها نخل طوال ، وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ، ليس فيها شيء فقال : أتدري لمن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله . قال : لا مرى القيس بن حنجر ، فاقبلها واغرسها في هذه الأرض ففعلت » . وأتيت ابن سيرين فتقصت رؤياي عليه ، فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا . قال : أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس ، إلا أنك تقوله في قوم بررة . قال : فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر ^(١) !

والحق أن صاحبنا لم يكن قط بحاجة إلى هذا الحلم العجيب ، ليناضل عن شعره أو تشيعه ، فكلاهما كان من القوة بحيث لا يحتاج إلى مثل هذه الدعامة الأسطورية التي تقرأها ميتسمين .

ولقد كان الحميري كصاحبه كثير يدين بمهدية ابن الحنفية ، وبقائه حياً بجبل رضوى عنده غسل وماء ، عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه إلى أن يؤمر بالخروج ، فيملأ الدنيا عدلاً . . .

ومن شعره في ذلك ، تلك الأبيات الرائعة الدائمة ، التي تناسب أيضاً لكثير لنشابه الشاعرين في المنزع والعقيدة ، يقول الحميري ^(٢) :

(١) الأغاني - ٧ ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨ ، وقد نسب هذه الأبيات إلى كثير ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير - ٩ ص ٣٨ ، ومراجع الأدب تخط في نسبتها إلى الشاعرين ، أنظر الأغاني - ٩ ص ١٤ حيث نسبها لكثير ، مع أنه قد عزاها قبل ذلك مع شيء من الاختلاف في الرواية للسيد الحميري أنظر - ٧ ص ٢٤٥ ، وقد جعلها شارح ديوان كثير المطبوع بالجزائر من الشعر المنحول له .

أَلَا إِنَّ الْأُتَمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ وَلَا أَلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
عَلَى وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءُ
فَسَبَطُ^(١) سَبَطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبَطُ^(٢) غَيْبَتِهِ كَرَبْلَاءِ
وَسَبَطُ^(٣) لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَفْتَبُّ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا بِرِضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ
وَقَدْ أَجَابَهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ بِقَوْلِهِ^(٤) :

وَلَا أَلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ وَلَكِنْ لِثَانِي اثْنَيْنِ قَدْ سَبَقَ الْعِلَاءُ
وَفَارُوقَ الَّذِي أَضْحَى إِمَامًا وَذُو النُّورَيْنِ بَعْدَهُ لَهُ الْوَلَاءُ
عَلَى بِمَدْمِ أَضْحَى إِمَامًا بِتَرْتِيبٍ لَمْ تَزَلْ الْقَضَاءُ
وَمُبْفَضُ مِنْ ذِكْرِنَاهُمْ لَعِينٌ وَفِي نَارِ الْجَحِيمِ لَهُ الْجَزَاءُ
وَأَهْلُ الرِّفْضِ قَوْمٌ كَالنَّصَارَى حَيَارَى وَمَا لِحَيْرَتِهِمْ دَوَاءُ

وَلِخَطَرِ شَمْرِ الْحَجَرِيِّ وَمَكَانَتِهِ ، حَاوَلَتِ الْإِمَامِيَّةُ^(٥) الْجَعْفَرِيَّةُ جَذْبَهُ بَعْدَ مَوْنِهِ
إِلَى صَفْوَتِهَا ، لِتَنَالِ بِذَلِكَ حِفْظًا كَبِيرًا مِنَ الْقُوَّةِ وَقِسْطًا وَافِرًا مِنَ الْإِيْذِ ، وَقَدْ عَدَّهُ
ابْنُ شَهْرَآشُوبٍ مِنْ أَصْحَابِ الصَّادِقِ^(٦) ، وَزَعَمَتِ الْجَعْفَرِيَّةُ أَنَّهُ تَابَ مِنْ كَيْسَانِيَّتِهِ ،
وَأَنَابَ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ بِقَوْلِهِ^(٧) :

تَجْعَفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَأَبْقَيْتُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو وَيَغْفِرُ
أَوْ بِقَوْلِهِ :

تَجْعَفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي مَنْ تَجْعَفَرُوا

(١) الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ .

(٢) الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ .

(٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ٢٨

(٥) أَتْيَاعُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(٦) مَعَالِمُ الْمُلَاءِ ص ١٣٤

(٧) أَنْظَرِ الْأَغْنَى ص ٧ ح ٢٣٥

وتكاد فسولة هذا الشعر الساقط ، وهلهلة نسجه وركاكة لفظه ، تعلن بنفسها أنه ليس من الجبري الفحل في نسب أو سبب ، قريب أو بعيد ؛ ويقول الأغاني بحق : « وما وجدنا ذلك في رواية محصّل ، ولا شعره (الجبري) أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ؛ لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية ، مباين لهذا جزالة ومتانة ، وله رونق ومعنى ليس لما يُذكر عنه في غيره ^(١) » .

ويحدثنا الأغاني أيضاً ، أصدق حديث عن رواية الجبري ، أبي داود سليمان ابن سفيان الذي قال : « ماضى والله إلا على مذهب الكيسانية ^(٢) » ، ونسب الراوية هذه الأشعار الجعفرية الوضيعة ، لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلها سيده السيد ، فجازت على كثير من الناس ممن لا يعرف خبرها ؛ وذلك لحل قاسم هذا من مولاه وخدمته إياه ^(٣) .

ويحدثنا الأصفهاني : أن جماعة ذكروا رجوع الجبري عن مذهبه في ابن الحنفية بحضرة راويته الثاني المعروف بابن الساهر ، فنفي ذلك بقوله ^(٤) : « والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلا منحوالة له ، قيلت بعده ، وآخر عهدى به قبل موته بثلاث ، وقد سمع رجلاً يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لعلى عليه السلام : « إنه سيولد لك بمدى ولد وقد نخلته اسمي وكنتي » ، فقال في ذلك ، وهي آخر قصيدة قالها :

أَشَاقَتَكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ وَزَيْنُهَا وَذَاتُ الدَّلِّ دَعْدُ
مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ مَحَّتْ مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَبِيلِ ^(٥) وَرَعْدُ

(١) الأغاني - ٧ ص ٢٣٦ ط الدار .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣١

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٣

(٥) السبل : المطر

ورج حَرْجَفٍ^(١) نَسْتَنُ^(٢) فيها بسافى القرب تُلَحِمُ ما تُسَدِّي
ألم يبلغك والأنباء تَنَمِّي مقالُ محمد فيما يؤدي
إلى ذى علمه الهادى على وخولة^(٣) خادمٌ فى البيت تردى^(٤)
ألم تر أن خولة سوف تَأْنِي بوارى الزند صافى الخليم^(٥) مجد
يفوز بكنذقي واسمى لأنى نخلتهما والمهدى بعدى
يُغَيِّبُ عنهم حتى يقولوا تضمّنه بطيبة بطنُ لحد
سنين وأشهرأ وررى برضوى بشعب بين أثمار وأسد
مقيمٌ بين آرايم وعين وحفان^(٦) تروح خلال رُبْدٍ^(٧) مجد
تراعيها السباع وليس منها ملاقيهن مفترساً مجد
أمينٌ به الردى فرتمن طورا^(٨) بلاخوف لدى مرّعى وورّد
حلفتُ برب مكة والمصلّى ويبيت طاهر الأركان فرد
يطوف به الحجاج وكلّ عام يحل لديه وفدٌ بعد وفد
لقد كان ابنُ خولة غير شك صفاء ولايتى وخلوص ودّى
فما أحدٌ أحبّ إلىّ فيما أُسيرُ وما أبوح به وأبدى
سوى ذى الوحي أحد أو على ولا أزكى وأطيب منه عندى
ومن ذا يا ابن خولة إذ رمتنى بأسمهما النية حين وعدى
يُذَبِّبُ عنكم وبسُدِّ مما تثلم من حصونكم كسدى

(١) حرجف : باردة .

(٢) نَسْتَنُ : تقبل وتدبر .

(٣) اسم امرأة من بنى حنيفة ، هى أمّ محمد بن على بن أبى طالب .

(٤) تردى : تلمب .

(٥) الخليم : الطيبة والسجية .

(٦) حفان : صفار النعام .

(٧) الربدة : لون يختلط سواده بكدره ، والمراد هنا بالربد : المراتع .

(٨) كذا فى الأغاني ، وجاء فى الحاشية « لعله (صوراً) جمع صوراء ، وهى المائلة المنق ،

على أن يكون المراد أنها لاترفع رأسها خوف مايزعجها » .

ومالى أن أمرَ به ولكن أوْمَلُ أن يؤخَّرَ يومُ فتدى
فأدرُكَ دولة لك لستَ فيها بجبار فتوصف بالتمدُّى
لِتَمَلُّ بنا عليهم حيث كانوا بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرتَ من بلد حرام إلى مَن بالمدينة من معدٍّ^(١)
وهذه القصيدة من أمتع ما قيل في ابن الحنفية ، وهي من روائع الشعر العربي وبدائعه.
ومن شعر الجيمرى في ابن الحنفية أيضاً قوله ^(٢) :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلتَ بذلك الجبل اللقاما
أضرَّ بمعشر والوك منّا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك عندهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرضُ عظاما
لقد أوفى بمورق شعب رضوى تراجمه الملائكة الكلاما
وإنَّ له به لثقل صدق وأندية تحذثه كراما
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ به ولديه نلتس التماما
تمام مودة « المهدي » حتى تروا راياننا تترى نظاما
وقد أجا به البغدادي بقوله ^(٣) :

لقد أفنيتَ عمرك بانتظار لمن وارى الترابُ له عظاما
فليس بشعب رضاكم إمامَ تراجمه الملائكة الكلاما
وقد ذاق ابنُ خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى أبدا دواما
ولكن كلُّ من في الأرض فان كذا حكم الذى خلق الأناما

(١) الأغاني ٢ ص ٩ ط الدار ، والتبصير في الدين للأُسفرايينى ص ١٩ ، ومختصر الفرق
لرسمنى ص ٣٩ والبداية والنهاية لابن كثير ٢ ص ٩
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٩ حيث أسند الأبيات إلى كثير ، مع أن الرسمنى فى المختصر
أسندها إلى الجيمرى .

ويقول الجبيري في إيمان عميق ، وتحسر ظاهر ولهفة بالغة :

يا شبيب رضوى ما لمن بك لا يرى حتى متى تخفى وأنت قريب ؟
يا ابن الوصيِّ ويا مسمىَّ محمد وكنيته نفسى عليك تذوب
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت منّا النفوس بأنه سيؤوب
ومن شعره الباكي قوله ^(١) :

أمرُّز على جدث الحسـ بن فقل لأعظمه الزكيه
آعظماً لا زلت من وطفاء ^(٢) ساكية رويه
وإذا مررت بقبيره فأطلن به وقف المطيِّه
وابك المطهر للمطه ر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة أنت يوماً لواحدنا المنيه

ومن قوله متبرئاً من الشيخين أبي بكر وعمر ^(٣) :

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهد يوم القدير المؤكدا
فإني كن بشرى الضلالة بالهدى تنصّر من بعد التقى وتهودا
ومالى وتيم أوعدي وإعما أولونعتي في الله من آل أحدا
تتم صلاتي بالصلاة عليهم وأدعو لهم ربنا كريماً ممجداً
بذلت لهم ودّي ونصحي ونصرتى مدى الدهر ما سميتُ يا صاح سيدا

ولقد كان الجبيري ساخطاً كلَّ السخط على أبي بكر وعمر ، لاغتصابهما

— فيما يزعم — حق على في الخلافة ؛ روى الأغاني أن الأمير العباسي « المهدي »
جلس يوماً يعطى قريشاً صلواتٍ لهم — وهو وليُّ عهد — فبدأ بنبي هاشم ثم بسائر
قريش ، فجاء الجبيري ورفع إلى الربيع بن يونس بن محمد الحاجب رقعة محتومة وقال :
إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها فإذا فيها :

(١) الأغاني ٧ ص ٢٤٠

(٢) سجابة وطفاء : كثيرة المساء

(٣) الأغاني ٧ ص ٢٦٣ ط الغار .

قل لابن عباسٍ سمىَّ محمدٍ لا نُعطينَ بنى عديٍّ درهما
 احرمُ بنى تيم بن مرةٍ إنهم شرُّ البريةِ آخرًا ومُقدِّما
 إن أعطهم لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تَدُم وتُسَمَّا
 وإن ائتمنهم أو استعملتهم خافوك واتخذوا خراجك مغما
 ولئن منعهم لقد بدءوك بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلمًا
 منعوا تراث محمدٍ أعمامه وابنيه وابنته عذيلة مريما
 وتأمرؤا من غير أن يُستخلفوا وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
 لم يشكروا لمحمد إنعامه أفيشكرون لفسيره إن أنما ؟
 والله منَّ عليهمُ بمحمدٍ وهداهم وكسا الجنوب وأطما
 نعم انبروا لوصيِّه ووليِّه بالمنكرات فخرَّوه العلقما

قال أبو الفرج فرمى بها المهدي إلى كاتبه أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري وقال له : « اقطع العطاء فقطعه ؛ وانصرف الناس ، ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك وقال : قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ، ولم يعطهم شيئا » ^(١) .

وقد مات السيد الحيدري ببغداد عام ١٧٩ هـ ، بعد أن خلف ثروة شعرية طائلة ؛ ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء أنه رأى في بغداد حملا يحمل حملا ثقيلا ، فسأله عن حله ؟ فقال : ميات السيد ^(٢) . . .

بهاء الدين العاملي

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين الحارثي العاملي الهمداني ^(٣) ولد ببعلبك عند غروب شمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقين من ذي الحجة عام ٨٥٣ هـ ،

(١) الأغاني ٧ ص ٢٤٣ وما بعدها ط الدار .

(٢) أنظر ابن شهر آشوب السروي : معالم العلماء ص ١٣٥ ط طهران .

(٣) نسبة إلى قبيلة « حرث همدان » ، وجد الشاعر هو الذي خاطبه الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بقوله : يا حار ، يا حارث ، تارة بالترخيم وأخرى بالتميم .

وقد كان والده الشيخ حسين ، علماً من أعلام الشيعة وأحد كبار علمائها بمجبل « عامل » ، وقد تقلد للشهيد الثاني الشيخ زين الدين ، الذى قضى عليه الأتراك وقتلوه لنشيمه ، فلم يطق الشيخ حسين صبراً على البقاء بعد كآرته أستاذه ، فارتحل بابنه الصبي بهاء الدين إلى إيران ، موطن الدعوة الشيعية ومسرح دعائها تحت سلطان الدولة الصفوية المنشية .

وفى إيران جدّ بهاء الدين فى تحصيل العلوم لاسيما الدينية منها ، وتقلد لوالده ، كما أخذ عن غيره من كبار علماء الشيعة ، وسرعان ما تفتق ذكاؤه ، فعلا نجمه وذاع صيته وارتفعت مكانته ، حتى تولى مشيخة الإسلام فى أصفهان ، ثم اعتزم زيارة الأقطار الحجازية ؛ لأداء فريضة الحج فتوجه إليها ، وكان مولعاً بالتنقل مشغولاً بالرحلة والأسفار ، فطوف فى مصر والشام والعراق — وهو بزمى الدراويش — سنين طويلة ، قيل إنها بلغت الثلاثين عدداً ، وقد كان فى سياحته هذه يخفى شخصيته ويكتم أمره ، ولا يرغب فى أن يعرفه أحد ، وبعد هذا التجوال وذلك التطواف فى تلك الأعوام السكتيرة المتطاولة ، رجع إلى أصفهان ، قال النبى :

« فقطن بأرض العجم ، وهناك همى غيث فضله وانسجم ، فأثف وصنّف ، وقرّط المسامع وشنّف ، وقصدته علماء تلك الأمصار ، واتفقت على فضله أسماعهم والأبصار ، وغالت تلك الدولة فى قيمته ، واستمطرت غيث الفضل من ديمته ، فوضعت على مفرقها تاجاً ، وأطلعت فى مشرقها سراجاً وهاجاً ، وتبسمت به دولة سلطانها شاه عباس ، واستنارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس الباس ، فكان لا يفارقه سفيراً ولا حضراً ، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً ، وكانت له دار مشيدة البناء ، رحبة الفناء ، يلجأ إليها الأيتام والأرامل ، ويفقد عليها الراجى والآمل ، فكم مهد بها وضع ، وكم طفل بهارضع ، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً ، ويوسمهم من جباهه جناباً ممشياً ^(١) » .

(١) أنظر الكشكول س ٣٩٥ ط بولاق ، وانظر كذلك خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للهجرى ج ٣ ص ٤٤٠ .

ويقول شهاب الدين الخفاجي :

« بهاء الدين بن الحسين العاملي الحارثي الشامي أصلاً ومحتداً ، الفارسي منشئاً ومولداً .

« فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه ، وسقام من مورده النخير عذبه ورائقه ، لا يدرك بحر وصفه الإغراق ، ولا تلحقه حركات الأفكار ، لو كان في مضمار الدهر لها السباق ، زين بمآثره العلوم النقلية والعقلية ، وملاك بنقد ذهنه جواهرها السنية ، لاسيا الرياضات فإنه راضها ، وغرس في حدائق الألباب رياضها ، وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس ، وإن كان غصنه أبيض وربا بريرة فارس ، فإن شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس ، والعرق نزع ، وإن أثر الجوار في الطباع .

« ولما تدفق ماء كرمه خرج منها سائحا ، بعد ما ألقى دلوه في الدلاء ماتحا ، لابساً خلع الوقار ، قاطفاً من رياض السكون ثمرات الاعتبار ، فجب البلاد ، وأتى إرم مصر ذات العباد ... » . إلى أن قال :

« وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم ، لا يصدر إلا عن رأيه إذا عقد أوية المهم ، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته وإلحاده ، لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده ، إلا أنه علوئ بلامين ، وهو عند العقلاء أهون الشررين ، فإنه أظهر غلوّه في حب آل البيت ، وجارى حلبة ولاء السكيت ، وأنشد لسان حاله لكل حين وميت .

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضى

« وشعره باللسانين مهذب محرّر ، وبالفارسية أحسن وأكثر ، ولما ساح في البلدان واجتمع بمن فيها من الأعيان ، عاد بدر ذاته لفلک أقطاره ، فنانق في أوطانه عقائل أوطاره ، وهو الآن (القرن الحادى عشر الهجرى) قرّة عين مجدّها ، وغرّة جبين سمدها ، تطوف بحرمه وفود الأفاضل ، وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاض

بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الأسفار ، وتكتحل بإمداده عيون الطروس والأسفار^(١) .

وقد كان العاملى مؤلفاً مكثراً ؛ إذ كان بحق دائرة معارف ؛ فصنّف موسوعتيه « الكشكول » و « الحلاة » وكتب في فقه الشيعة وأصول الفقه والتفسير والحديث ، والنحو والبلاغة ، والهيئة والفلك والحساب والهندسة ، حتى الجفر والرمل والطلاسم ، مما يدل دلالة لا تقبل الشك على أنه كان يتمتع بسعة في العقل ، وبعد أفق في التفكير . وشاعرنا هذه المرة اثنا عشرى ، يقول بمهدية محمد بن الحسن العسكري ، وله فيه شعر رائع أودعه كتابه « الكشكول » ، وقد توفى بهاء الدين في ١٢ شوال عام ١٠٣١ هـ = ١٦٦٢ م بأصفهان ، ثم نقل جثمانه إلى طوس ودفن بداره ، على مقربة من مسجد عليّ الرضا .

ومن شعره في محمد بن الحسن ، هذه القصيدة الضافية التي أسماها « وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان » وقد شرحها في نهاية « الكشكول » ، شارحهُ أحمد بن عليّ المنيّني ، قال فيها بهاء الدين^(٢) :

سرى البرق من نجد فجَدَّ تَذْكارى عهداً بِجُرُوى والعذيب وذى قار
وهيَّج من أشواقنا كل كامنٍ وأجَّج في أحشائنا لاعج النار
ألا ياليليات القوَر وحاجرٍ سقيت بهطال من المزن مدرار
ويا جيرةً بالمأزمين خيامهم عليكم سلامٌ الله من نازح الدار
خليلاً ما لى والزمان كأنا يطالبنى في كل وقت بأوتار
فأبعد أحبابى وأخلى مراتبى وأبدانى من كل صفوٍ بأكدار
وعادل بى من كان أقصى مرامه من المجدان يسمو إلى عشر معشارى
ألم يدر أنى لا أزال نخطبه وإن سامنى خسفاً وأرخص أسعارى
مقاسى بفرق الفرقدين فما الذى يؤثره مسعاه في خفض مقدارى

(١) ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص ١٠٣ ط بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٢) الكشكول ص ٣٩٨ ط بولاق .

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غابتي ولا تصل الأيدي إلى سرِّ أغوارى

وبصى فؤادى ناهدُ الندى كاعْبُ بأمر خطَّارٍ وأحور سحرَّارِ
وإني سخيٌّ بالدموع لوفقةٍ على طللٍ بالٍ ودارس أحجارِ
وما علموا أنى امرؤ لا يروعى توالى الرزايا فى عشىِّ وإبكارِ

ومعضلة دماء لا يَهْدَى لها طريق ولا يَهْدَى إلى ضوئها السارى
تشيب النواصى دون حلِّ رموزها ويحجم عن أغوارها كلُّ مغوارِ
أجلتُ جِياد الفكر فى حلباتها ووجهتُ تلقاها صوائِبُ أنظارى

أأضرع للبلوى وأغضى على القذى وأرضى بما يرضى به كلُّ مخوارِ
وأفرح من دهرى بلذة ساعةٍ وأقنع من عيشى بقُرصٍ وأطمارِ ؟
إذا لا وَرَى زَنْدى ولا عزَّ جانبى ولا بزغت فى قة المجد أقمارى
ولا انتشرت فى الخافقين فضائلى ولا كان فى « المهديِّ » رائقُ أشعارى
خليفة رب العالمين فظله على ساكن الغبراء من كل ديارِ
هو العروة الوثقى الذى من بذيله تمسَّك لا يخشى عظامهم أوزارِ
إمام هدىِّ لاذ الزمان بظله وألقى إليه الدهر يقود خوَّارِ

علوم الورى فى جنب أبحر علمه كفرة كف أو كفمسة منقارِ
فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ولم يُمشه عنها سواطعُ أنوارِ
رأى حكمةً قدسية لا يشوبها شوائبُ أنظارِ وأدناس أفكارِ
بإشرافها كلُّ العوالم أشرقت لَمَّا لاح فى السكونين من نورها السارى
إمامُ الورى طود النهى منبع المهديِّ وصاحب سرِّ الله فى هذه الدار ١١

به العالم السفلى يسمو ويعتلى
على العالم العلوى من دون إنكار
ومنه العقول العشر تبغى كمالها
وليس عليها فى العلم من عار
هامم لو السبع الطباق تطابقت
على نقض ما يقضيه من حكمه الجارى
لنكس من أراجها كل شامخ
وسكن من أفلا كها كل دوار ١١

أيا حجة الله الذى ليس جارياً
بغير الذى يرضاه سابق أقدار ١
ويا من مقاليد الزمان بكفه
وناهيك من مجد به خصه البارى
أغث حوزة الإيمان واعر ربوعه
فلم يبق منها غير دارس آثار
وأفقد كتاب الله من يد عصبه
عصوا وتمادوا فى عتو وإصرار
وفى الدين قد قاسوا وعاثوا وخطوا
بآرائهم تخييط عشواء معثار
وأضجروا الأعداء أية إضجار
وأخلص عباد الله من كل غاشم
وطهر بلاد الله من كل كفار
ومجمل فداك العالمون بأسرم
وبادر على اسم الله من غير إنظار
تجذ من جنود الله خير كتاب
وأكرم أعوان وأشرف أنصار

أيا صفوة الرحمن دونك مدحة
كدر عقود فى ترائب أفكار
يهنا ابن هانى إن أتى بنظيرها
ويعنو لها الطائى من بعد بشر
إليك البهائى الحقير يزفها
كفانية مياسة القصد معطار
تعار إذا قيس لطفها نظماً
بنفحة أزهار ونسمة أسحار
إذا رددت زادت قبولاً كأنها
أحاديث نجد لا تمل بذكرار

وهاك قصيدة أخرى للعالمى فى مهديه ، مهدي الاثنى عشرية ، محمد بن الحسن

العسكري ، لا تقل عن سابقتها قوة وروعة وغلوًا وإغراقًا . قال ^(١) :

يا كرامًا صبرُنا عنهم محالٌ
إنَّ حالي من جفائكم شرٌّ حالٌ
إنَّ أني من حبيكم ريحُ الشمالِ

صرتُ لا أدري يميني من شمالِ

حبَّذا ريحٌ سرَّي من ذي سلمٍ
عن رُبِّي نجدٍ وسلَّع والعلمُ
أذهبَ الأحزان عَنَّا والألمُ

والأمانى أدركتُ والهمُّ زال

يا أخلائي مجزوي والعقيقُ
ما يطيق الهجرَ قلبي ما يطيقُ
هل لمشتاقٍ إليكم من طريقٍ ؟

أمُ سدّتم عنه أبواب الوصالِ ؟

لا تلوموني على فرط الضجرِ
إيس قلبي من حديدٍ أو حجرِ
فات مطلوبي ومحبوبي هجرِ

والحشافي كل آنٍ في اشتعالِ

من رأى وجدى لسكّانِ الحجونِ
قال ما هذا ؟ هوى هذا جنونِ !
أيها اللوَّام ماذا تبغون ؟

قلبي المضي وعقلي ذو اعتقالِ

(١) الكشكول ص ٩٣ ط بولاق .

يا نزولاً بين جمع والصفاء
يا كرام الحى يا أهل الوفاء
كان لى قلب حول للجهف

ضاع منى بين هاتيك التلال

يا رعاك الله يا ريح الصبا
إن تجز يوماً على وادى قبا
سل أهيل الحى فى تلك الربا

هجرهم هذا دلال أم ملال ؟

جيرة فى هجرنا قد أسرفوا
حائنا من بعدهم لا يوصف
إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا

حبهم فى القلب باقى لا يزال

هم كرام ما عليهم من مزيد
من يمت فى حبهم يعض شهيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد

أحدى الخلق محمود الفعّال

صاحب العصر الإمام المنتظر
من بما يأباه لا يجرى القدر !!
حجة الله على كل البشر

خير أهل الأرض فى كل الخصال !

من إليه الكون قد ألقى القياد
مُجرباً أحكامه فيما أراذ

إِنْ تَرُلْ عَنْ طَوْعِهِ السَّبْعُ الشَّدَادُ

خَرَّ مِنْهَا كُلُّ سَامِي السَّمَكَ عَالٍ

شَمْسُ أَوْجِ الْمَجْدِ مَصْبَاحُ الظَّلَامِ

صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ

الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ ابْنُ الْإِمَامِ

قَطْبُ أَفْلَاكِ الْمَعَالَى وَالْكَمَالِ

فَاقَ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي عِزٍّ وَجَاهٍ

وَارْتَقَى فِي الْمَجْدِ أَعْلَى مَرْتَقَاهُ

لَوْ مَلُوكُ الْأَرْضِ حُلُّوا فِي ذِرَاةٍ

كَانَ أَعْلَى صَفِّهِمْ صَفَّ النِّعَالِ

ذُو اقْتِدَارٍ إِنْ يَشَأْ قَلْبَ الطَّبَاقِ

صَيَّرَ الْإِظْلَامَ طَبَعًا لِلشَّمَاعِ

وَارْتَدَى الْإِمْكَانُ بُرْدَ الْاِمْتِنَاعِ

قُدْرَةٌ مُوَهَّوْبَةٌ مِنْ ذِي الْجَلَالِ

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا شَمْسَ الْمَسْدَى

يَا إِمَامَ اتَّخَلَّقَ يَا بَحْرَ النَّدَى

عَجَّانَ عَجَّالَ فَقَدْ طَالَ الْمَدَى

وَاضْمَحَلَّ الدِّينُ وَاسْتَوْلَى الضَّلَالُ

هَآكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَعْمَ الْحَبِيرُ

مِنْ مَوَالِيكَ الْبَهَائِيِّ الْفَقِيرُ

مِدْحَةً يَعْنُو لِمَعْنَاهَا جَرِيرُ

نَظْمُهَا يُرَى عَلَى عَقْدِ الْكَالِ

يا وليّ الأمر يا كهف الرجا
مسنّى ضررٌ وأنت المرتجى
والسكريم المستجيب الملقجا

غير محتاج إلى بسط السؤال

وبعد ، فهذه هي آثار عقيدة « المهدي » في الأدب الشيعي ، وهي آثار كما تراها
روائع ، تسيل عذوبة وتفويض رقة وسلاسة ، طبعها صدق العقيدة بطابعه ، ووسمها
الإيمان العميق بميسمه ، وأكبر الظن أنك قد طربت لما فيها من قوة فنية ،
وقد أسفت لما فيها من غلوّ وإغراق ، يرتفع بالمهدي إلى مصاف الآلهة ،
بداه ابن هاني وختمه العاملي ، وقد جرّه على السنة الشعراء عقيدتهم في « الإمام »
كما أوضحنا من قبل .

ومهما يكن من شيء فأنت لا ترى في هذا الأدب فسولة وضعفا ، أو عوجا
وأمتا ، ولا عجب فأعذب الشعر أصدق .

الفصل السادس

المهدية عند بقية الفرق الإسلامية

تحدثنا في الفصول السابقة عن « المهدية » عند الشيعة ، وسنتحدث في هذا الفصل عن موقف بقية الطوائف الإسلامية إزاء هذا المعتقد ، كما سنتحدث عن أثر عقيدة المهدي في إيجاد معتقدات مشابهة في المجتمع الإسلامي ، ونختتمه بدراسة « المهديين » من غير آل البيت .

المشربة والقرامطة^(١) :

القرامطة باطنية سرّية مجوسية ، انتشرت بثوب الإسلام ؛ لتعمل في أمان على تقويضه بتماليها الهدامة الإباحية الخطرة ، وقد أسس هذه الفرقة جماعة ، منهم عبد الله بن ميمون القذّاح مولى جعفر بن محمد الصادق ، وميمون بن ديصان ، الذي كان من نسله ابن الأشعث ، حمدان قرمط ، أبرز رجال هذه الطائفة وإليه تنسب . وتشغل القرامطة في التاريخ الإسلامي صحائف عدة ؛ لما جاءت به من مذاهب ولما جرت على العالم الإسلامي من ويلات وخطوب ، فلطالما عاثت في ربوعه فساداً ، وجاست خلاله خراباً ، وقد كانت كالوباء ، إذا أنت على شيء جعلته كالرميم بلقاعاً يباباً كان لم يقن بالأمس ، حتى السكبة المقدسة ، لم تسلم من سطواتها المحرقة ولم تنج من حملاتها المدمرة . واسنا الآن بصدد التحدث عن تاريخ القرامطة ، وإنما الذي يعيننا هنا هو مذهبهم في عقيدة المهدي .

تؤمن القرامطة أيضاً بهذا المعتقد كفرقة باطنية ، تمتّ بصلة القرى إلى الشيعة ؛ فترى في محمد بن إسماعيل بن جعفر مهديّها المنتظر ، وتترقب رجوعه ، وتزعم أنه حتى

(١) القرامطة من الإسماعيلية ، وتعرف أيضاً بالباطنية ، وقد سبق أن تحدثنا عن الإسماعيلية ، بيد أننا هنا نورد الحديث عن الإسماعيلية القرامطة ؛ لما لها من أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي .

يُرزق ببلاد الروم...! ، ولا نسكاد نعرف سبباً لاختيار محمد هذا لبلاد الروم ليخفى فيها ، والحق أن هذا المهديّ من نوع جديد ، فهو ليس هدياً فحسب ولكنّه رسول أيضاً وسيُسخّر شرعه شريعة محمد ... !

وتؤكد القرامطة رواية « غد برخم » ، ولا ترى — كبقية الشيعة — أن الرسول نصّ فيها على إمامة عليّ بعده فحسب ، ولكنها تدّعي في جرأة عجبية أن الرسالة نفسها قد انتقلت إليه حينما قال عليه السلام : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فبهذه القولة انتقلت الرسالة من محمد إلى عليّ بأذن الله . . . فالرسل عند القرامطة أربعة : محمد بن عبد الله ، وعلي بن أبي طالب ، وأحمد بن محمد بن الحنفية ، ومهديهم هذا المختفى ببلاد الروم محمد بن إسماعيل بن جعفر ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وناسخ الشرائع السابقة جمعا ... !

وأئمة القرامطة سبعة : محمد الرسول ، وعلي الرسول ، والحسن ، والحسين ، والباقر محمد بن علي ، والصادق جعفر بن محمد ، ثم المهديّ الرسول محمد بن إسماعيل ابن جعفر . وهو من أولى العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة أيضاً : نوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد وعلي بن أبي طالب ، ومحمد بن إسماعيل .

ولا أدع الحديث عن القرامطة ، حتى أسوق إليك بعضاً من معتقداتهم ، التي يدينون بها والتي لا تسكاد تلتقي بالإسلام أبداً :
فالصلاة عندهم أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، أما أذانهم فهو :

« الله أكبر (أربع مرات) ، أشهد ألا إله إلا الله (مرتين) ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ^(١) . . . » !

وعلى المصلي أن يقرأ في كل ركعة سورة « الاستفتاح » وهي من قرآنهم

الخلاص ، الموحى به إلى أحد أنبيائهم وهو أحد بن محمد بن الحنفية ... ! وهامى كما يرويهما لنا الطبرى :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه قل إن الأهلّة مواقيت للناس ، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى اتقون يا أولى الألباب ، وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العالم الحكيم ، وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقتى ، فمن صبر على بلائى ومحنى واختبارى ، أقيته فى جنّتى وأخلدته فى نعمتى ، ومن زال عن امرى وكذّب رسلى ، أخلدته مهانك فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت امرى على أسنة رسلى ، وأنا الذى لم يملُ علىّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذلّته ، وليس الذى أصرّ على أمره وداوم على جهاته وقالوا ان نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون ^(١) » ١١

وقبله هؤلاء الناس هى القبلة الأولى بيت المقدس ، كما أن حجهم إليها أيضاً ، ويوم الاثنين هو يوم الجمعة عندهم ، لا يعملون فيه شيئاً ، والنبيذ حرام ، ولكن الخمر حلال ... ! وهم لا يرون النسل من الجنابة ، ولكن وضوءاً كوضوء الصلاة ، وصيامهم يومان فى العام : النيروز والمهرجان إلى آخر مزاعمهم التى لا تمت إلى الإسلام بسبب أو نسب قريب أو بعيد ^(٢)

المهرية والخوارج :

لا تدين الخوارج بالإمامة ، وإن قالت بها بعض طوائفها ، فهى تجردها من قدسيّتها التى أفرغها عليها الشيعة ، كما لا تدين الخوارج بالرجمة ، فهى واقعية

(١) الطبرى - ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) أنظر فيما يتعلق بهذه الطائفة ، الطبرى - ١١ ص ٣٣٧ ، وابن العبرى ص ٢٦٠ ، والمقرئى « انماط الحق » ص ٢٠٤ وما بعدها ، وانظر أيضاً الشهرستانى - ٢ ص ٢٩ على هامش ابن حزم ، والمواقف للإيجى ص ٤٢١ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٧٣ ، ومختصره للرسنى ص ١٧٠ ، والتبصير فى الدين للأسفراينى ص ٨٥ ، وانظر أيضاً ما كتبه الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » ، والنزالي فى « فضاخ الباطنية » .

عملية ؛ لذلك لا نؤمن بالمهدية ولا تقول بها ، بيد أن فرقة من فرقها تدعى « اليزيدية » نسبة إلى مؤسسها « يزيد بن أنيسة » وهي إحدى طوائف « الإيضائية » قد دانت بهذا المعتقد ، غير أنها لا تصرح بشخص بعينه ، وقد حدثنا الأشعري في « مقالات الإسلاميين » أنها شاركت القرامطة في القول بأن المهدي المنتظر سيكون نبياً مرسلاً وسيبعث من المعجم لا من العرب ، بناء على نظام الخوارج الديقراطي : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وسينزل على نبيهم المنتظر هذا الذي لا تُعرف شخصيته ، كتاب من السماء جملة واحدة لا تنجماً ؛ قال الأشعري : « وزعوا أن ملّة ذلك النبي الصابئة ، وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله في القرآن ولم يأتوا بعد » .

وفيا عدا طائفة « اليزيدية » هذه لا تكاد نعثّر على فرقة أخرى من الخوارج تقول بالمهدية .

المهرية والصوفية :

كان الصوفية على اتصال تام بالشيعة ، فأخذوا عنهم الكثير من تعاليمهم ، كالفرقة بين الشريعة والحقيقة ، أو علم الظاهر وعلم الباطن ، والشيعة تزعم — كما قدمنا — أن علياً قد انفرد — دون سائر صحابة النبي — بعلم الحقيقة أو علم الباطن ، فتلفت الصوفية هذا الزعم عن الشيعة ، وصار من معتقداتهم حتى ليقول ابن الفارض :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً على بعلم ناله بالصوئية
والإسلام لا يعرف تصوقاً ، وإن كان يعرف زهداً ، لا سيما في الفترة المكيّة ،
وفرق شامع بين الزهد والتصوف ، فالأول بسيط ساذج لا تعقيد فيه ؛ انقطاع إلى
الله وتحميل النفس ضرورياً من العبادة قد تكون شاقة ، والثاني مركب معقد مفلسف ،
لا يكتفى فيه المنقطع إلى الله بعبادته ، بل يفرض عليه وعلى الكون آراءه وفلسفته .
والحق أن عناصر التصوف ليست إسلامية ، ففيها الهندي اليوجي ، واليوناني ،

والمهلّين الغنوصي، والمسيحي والإسكندري، وكما اقتحمت هذه العناصر المختلطة البيئة الإسلامية، متخذة من الزهد المسكي سبيلاً فأخرجت لنا تصوقاً إسلامياً، كذلك اقتحمت مبادئ الشيعة وتعاليمهم — القريبة هي الأخرى عن الإسلام — ميدان التصوف؛ فأخذ المتصوفون عن الشيعة — فيما أخذوا — فكرة «المهدي» ، وأسبغوا عليها ثوباً جديداً ، وإذ بالمهدي ينقلب «قطباً» هو الذي يدبر الأمر في كل عصر من أعصار هذا الكون ، وهو عماد السماء ، ولولاه لخرّت على الأرض وهلك الحرث والنسل . ويليه في المرتبة «النجباء» ، وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، على عدد بروج الفلك الاثني عشر . . . إلخ ما قالوا . وهكذا استطاع المتصوفة تلامذة الشيعة ، أن ينتفعوا بعقيدة «المهدي» في إقامة نظامهم الروحي للسكون ، بما لا نجد له من الإسلام الحق سنداً أو دعامة ، وإنما هي فلسفات غنوصية هلنّية ، ورهبانية مسيحية ، وتخليطات هندية .

المهربية وأهل السنة :

قال العلامة الطيب الذكر « جولد زيهر » Goldziher .
« أما في الإسلام السنّي ، فإن ترقب ظهور المهدي على الرغم من استناده إلى الوثائق الحديثة والمناقشات الكلامية ، لم يصل ألبتة إلى أن يتقرر كعقيدة دينية ، ولم يبدد قط عند أهل السنّة إلا كحليّة أسطورية لغاية مُثلى ، أو كأمر ثانوي بالنسبة لجوهر النظرية السنّية للسكون ، ويرفض الإسلام السنّي رفضاً قاطعاً العقيدة المهديّة على صورتها الشيعية ، كما يهزأ بفكرة الإمام الغائب وحياته الطويلة » (١) .

وقال أيضاً إن أهل السنّة « يعتقدون بمجىء مصلح إلى العالم في آخر الزمان ، يبعث الله به ، ويسمونه أيضاً بالإمام المهديّ ، أى الذى هداه الله إلى الطريق السوى ، وهذه العقيدة وما تنطوى عليه من آمال وأمنيات ، تظهر في نباتات التقى والورع عند

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٦

المسلمين كزفرة من زفرات الأسف والانتظار ، بصعدونها وهم في غمرات حالة سياسية واجتماعية ، لا تنقطع ثورة ضمائرهم حيالها » (١) .

بيد أن اعتقاد عامة أهل السنة ، يخالف تماماً ما تدين به الشيعة ، فهم لا يؤمنون بأن المهدي ولد من ألف سنة ، وغاب في سرداب أو نحوه من جبال رضوى أو حاجر ، ثم يخرج منه في آخر الزمان ، كما هو جوهر العقيدة الشيعية ، بل يقولون إنه سيبعث في آخر دورة للإسلام ، وبالتالي للحياة على هذه الأرض شخص من سلالة النبي — وهم هنا متأثرون بأحاديث الشيعة المختلفة — يلقب بالمهدي ، يظهر المسيح من بعده وتُملأ الأرض عدلاً .

ونحن لا نشك في أن عقيدة العامة من أهل السنة ، بل وكثير من الخاصة ، إنما هي أثر شيعي تسرب إليهم ، فعملت فيه العقلية السنية بالصقل والتهذيب . أما القول بعودة المسيح فهو دون ريب ، من آثار المسيحية في الإسلام . وقد سخر شاعر العربية الكبير أبو الطيب المتنبي من عقيدة المهدي هذه في قوله (٢) :

فإن يكن المهدي من بان هديبه فهذا وإلا فالهدي ذا فاما المهدي ؟
يُتَلَّأنا هذا الزمان بهذا الوعدِ ويَتَدَعُ عَمَّا في يديه من النقد (٣)
هل الخبير شيء ؟ ليس بالخير غائبُ أم الرشدُ شيء غائبُ ليس بالرشد ؟

(١) لعقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٩٤ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٠ ط هندية بالقاهرة .

(٣) يقول المتنبي : أيجس أن يترك الخير والرشد الحاضران ، ويدعى أن خيراً ورشداً غائبان ، وما في الحقيقة الخير والرشد ؟ هذا اعتقاد فاسد .

آثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي

القحطاني والكلي والقمي :

كانت « المهديّة » عند الشيعة عاملاً فعالاً ، في خلق عقائد أسطورية مشابهة في الأوساط الإسلامية ، كالسفيانية في البيت الأموي ، والقحطانية والكلبية في اليمنية ، والتميمية في المضربة ، وكلها عدا السفيانية أوجدتها العصبية القبلية ، المتغلغلة في الدم العربي ؛ إذ كيف يكون للشيعة مهديّ منتظر ، ولا يكون لليمنيين هم الآخرون قحطاني منتظر 19...

وقد سلك اليمنيون نفس الطريق الذي سلكه الشيعة من قبل ، فأطلقوا الرسول عليه السلام بما شاؤوا من أحاديث مؤيدة لما ذهبوا إليه ؛ ففي « أسد الغابة » يروي ابن الأثير عن النبي صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر القحطاني ، فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه » ، ويروي ابن الأثير أيضاً في كتاب آخر له هو : « النهاية في غريب الحديث والأثر » أن النبي قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ^(١) » .

ومن الغريب حقاً أن نجد الإمام البخاري — وهو شخصية علمية جلية لها خطرهما ومكائنها — مع أنه لم يرو لنا شيئاً قط يتعلق بالمهديّ ، يحدثنا بحديث القحطاني هذا ؛ ففي صحيحه :

« حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان عن ثور عن أبي الغيث

(١) النهاية في غريب الحديث ٢٠ ص ١٩٣ ط المطبعة الميمنية .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه ... »^(١) .

ويحدثنا العلامة « فان فلوتن » Van Vloten^(٢) أن أهل اليمن كانوا ينظرون إلى قحطانيّتهم هذا نظرة كلها الجذ ، حتى لقد عقدوا على خروجه آمالهم ، وادّعوا أنه أحد الأمراء من سلالة قحطان ، ويقول المسمودي^(٣) إن عبد الرحمن بن الأشعث قد ادّعى أنه ذلك القحطاني المنتظر

وهناك أيضاً — كما يحدثنا الرواة — بعض النبوءات الخاصة بكلبي منتظر^(٤) ، وهو مهديّ سيخرج من بني كلب إحدى القبائل اليمنية

وبينا كان اليمنيون ينتظرون القحطاني أو الكلبي ، كان المصريون هم الآخرون ينتظرون التميمي ، وهو مهديّ سيخرج من بني تميم إحدى القبائل المصرية^(٥) ... ونحن لا نشك أن للعصبية القبلية ضلعاً في نشوء هذه العقائد الأسطورية التي لم تعمر طويلاً ؛ إذ طغت عليها « مهديّة » الشيعة طغياناً كبيراً .

السفياني المنتظر :

عندما وضعت الشيعة أسطورة المهدي ، ودعمتها بمختلفات الأحاديث ، فلاقت عند الأغرار والعامة رواجاً ، سارع الأمويون فاختلفوا هم أيضاً مهديّاً لهم هو السفياني المنتظر . ! وقصته لا تخلو من طرافة ؛ فالأمير خالد بن يزيد بن معاوية ، الذي انقطعت آماله من الخلافة وأخذ يستنجد الكيمياء ، علماً تسمعه بالذهب فلم تلبّ له نداء ، رأى أن ينافع البيت مرواني الحاكم ويشزو السوق ببضاعة نافعة جديدة هي « السفياني المنتظر » ، وإن فيها اعزاء لآل أبي سفيان ؛ قال أبو الحسن :

(١) أنظر صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ ط بولاق .

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٠

(٣) التنبيه والإشراف ص ٣١٤ ط أوروبا .

(٤) السيادة العربية والشيعة ص ١٢١

(٥) المصدر السابق .

« وكان خالد المذكور موصوفاً بالعلم والعقل والشجاعة وكان مولعاً بالكيمياء ،
وقيل إنه هو الذى وضع حديث السفينى لما سمع بحديث المهدي »^(١) .
وقال صاحب الأغاني :

« كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ويقول الشعر ، وزعموا
أنه هو الذى وضع خبر السفينى وكبره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع
حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم » . وقد عقب الأصفهاني
على ذلك بقوله : « وهذا وهم من مصعب ؛ فإن السفينى قد رواه غير واحد وتتابعت
فيه رواية الخاصة والعامة »^(٢) .

ويؤسفنا كثيراً ألا نأخذ بقول صاحب الأغاني ، إذ أن التاريخ السياسى المتواتر
للأمير خالد بن يزيد وحالته السيكلوجية ، يؤيدان وضعه لحديث السفينى ، أما انتشار
هذا الحديث ورواية الخاصة والعامة له ، فليس قاطعاً فى صحته ؛ فالأكاذيب أيضاً
تروى ولعلها أكثر انتشاراً ، ولا يغرب عن البنا أن الأصفهاني متشيع — وإن كان
معتدلاً فى تشيعه — والشيعية تسلم بحديث السفينى ، بل يههما انتشاره لأن فيه
ذيوماً لحديث المهدي كما سنحدثك بعد قليل .

يقول العلامة « فان فلوتن » Van Vloten « وليس بعيداً أن يكون خالد بن
يزيد قد ابتدع نبوءة السفينى هذه ، على ما جاء فى كتاب الأغاني ليحفظ التوازن
بين بطون البيت الأموى ، وليلين من شكينة الأسرة الحاكمة أسرة بنى مروان »^(٣) .
أما الأحاديث فى هذا الصدد ، فكسابقتها اختلافاً وكثرة ؛ فقد رواها عن حذيفة
ابن اليمان أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فتنة تكون بين
أهل المشرق والمغرب ، قال : فبيننا هم كذلك إذ خرج عليهم السفينى من الوادي

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢١ ط الدار .

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٨٨

(٣) السيادة العربية والشعبة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٩
وما بعدها

اليابس، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين : جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل . . . الخ »

وفي « النهاية » لابن الأثير « وفي حديث ابن الحنفية (ذكر رجلاً إلى الأمر بعد السفينى فقال : يكون بين شتٍ وطَبَّاق) » قال ابن الأثير : « الشت : شجر طيب الريح مر الطعم ، ينبت في جبال النور ونجد ، والطَّبَّاق : شجر ينبت بالحجاز إلى الطائف ، أراد أن يخرج (السفينى) ومقامه المواضع التي ينبت بها الشت والطَّبَّاق »^(١) .

وقد ادَّعى أحد سلاطة الأمير خالد بن يزيد ، أنه السفينى المنتظر ، وانضم إليه كثير من الأنصار والأشباع ، في آخر خلافة بنى أمية ؛ فالطبرى يخبرنا — ضمن أحداث عام ١٣٢ هـ والدولة الأموية تسلم الروح ، وقد أخذ الناس في تشييع جنازتها — أن جماعة من أهل قسرين وحص وغيرهما قد احتشدوا « وقدمهم ألوف عليهم أو محمد بن عبد الله بن يزيد ، بن معاوية بن أبى سفيان فرأسوا عليهم أبا محمد ودعوا إليه وقالوا هو السفينى الذى كان يُذكر »^(٢) .

ولعل من الطريف حقاً أن الشيعة لما سمعت نبأ هذا السفينى ، بادرت بالاعتراف به ، بيد أن مهديهم سيلتقى به حتماً في يوم ما ، وتكون بينهما معركة شديدة تدور دوائرها على السفينى ، وسرعان ما روت الشيعة عن النبي هذا اللقاء في قالب حديثي : « وسيايع الناس المهدي يومئذ بمكة بين الركن والمقام ثم يقول المهدي : أيتها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يصون له أمراً ، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام ، لمحاربة عروة بن محمد السفينى ومن معه من كلب »^(٣) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٤ ط المطبعة العثمانية

(٢) أنظر الطبرى ج ٩ ص ١٣٨ ط الحسينية

(٣) مختصر تذكرة القرطبي ص ١٥٩ ط بولاق ، وانظر الأنس الجليل بيارغ القدس والجليل

لجبر الدين الجبلى ج ١ ص ٢٣٧ ط الوهبة بالقاهرة

ويظهر أن فكرة السفيناني هذه ما زالت — ولو بشكل ضعيف — مختصرة —
أذهان بعض أهل الشام إلى وقتنا الحاضر ، فالعلامة « لامانس » Lammens
يخبرنا أن زلزلاً قد حدث بفلسطين في صيف عام ١٩٢٧ ، فتنبأ أحد المسلمين في
شوارع بيروت بقرب ظهور السفيناني المنتظر .

ولما قامت الدولة العباسية ، ورأى بنو العباس هذه الحركة الواسعة النطاق ،
أدلوها بدلوهم وأولوا أحاديث المهدي -- بدافع سياسي — لصالحهم ، وزادوا في كيتها
وضمّاً واختلاقاً ، فقالوا : قال عليه السلام : « منّا أهل البيت أربعة منّا السفاح
ومنّا المنذر ومنّا المنصور ، ومنّا المهدي الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » .
رواه الحاكم عن ابن عباس . وقد حمل ذلك أبا جعفر المنصور ثانياً خلفاء بني العباس ،
والسياسي المحنك ؛ على تسمية ابنه بالمهدي ، وسرعان ما حدثته المترافون — وهم
كثيرون — بمحدث قد اختلقه الوضّاعون ورفعوه إلى النبي عن طريق ابن مسعود ،
يقول فيه : « لا تذهب الدنيا حتى يلى أمّتي رجلٌ من أهل بيتي ، يواطىء اسمه اسمي ،
واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » . قال المطهر بن طاهر المقدسي
في كتابه « البدء والتاريخ » المنسوب خطأ للبلخي : « وقد تأول قوم أنه المهدي محمد
ابن أبي جعفر عبد الله المنصور ، لقبه المهدي واسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، وهو من
أهل البيت ، ولم يأل جهداً في إظهار العدل ونفي الجور » .

ومن الطريف حقاً أن المنصور نفسه لم يكن يعتقد أبداً أن ابنه هو المهدي^(١) .
وهكذا قال بهذه الأسطورة المنيويوت والمضريون والعلويون والأمويون
والعباسيون ، وأخذت عند كلِّ لوناً خاصاً ؛ فالعلويون هم البادئون لما سقط
في أيديهم وضاع نصيبهم من الخلافة ، حتى لا يتسرب اليأس إلى الجماهير الحبية
لآل البيت ، وساعدهم على اصطناعها ما بثّه فيهم معلمهم الأول ، ابن السوداء عبد الله

(١) انظر كتابنا هذا ص ١١٧ .

ابن سبأ تحت ضوء عقيدة « المحلّص » كما أسلفنا ، وحرّكت العصبية القبلية أهل
اليمن فابتدعوا لنا القحطاني والكلبي ، واختلق المضريون التميمي ، وجاء خالد
ابن يزيد يجرّ أذيال الخليفة من الحكم والكيمياء ، فوضع السفيناني ، وكان العباسيون
أبعد الجميع نظراً وأحكمهم سياسة وأسدّهم تدبيراً ، فسأموا بالفسكرة واستغلّوها
لتوطيد سلطانهم ، والجمهور ساذج فطري ، متحمس للدين جيش بالعقيدة ، محبّ
لآل البيت ، قآمن وأغرق .

المهديون من غير آل البيت

إجمال :

يحدثنا ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته ، أن الناس كانوا يعتقدون أن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، هو المهدي المنتظر ؛ قال في الطبقات : « قدم المختار ابن أبي عبيد الكوفة فهرب منه وجوه أهل الكوفة ، فقدموا علينا ها هنا البصرة ، وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : وكان الناس يرونه زمانه هو المهدي ، قال : فتشبه ناس من الناس ، وغشيتهم فيمن غشيه ، فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام ، طويل الحزن والسكابة . . الخ^(١) »

وحدثنا ابن سعد أيضاً أن التابعي الكبير سعيد بن المسيّب ، كان يقول بمهدية عمر بن عبد العزيز ففي « الطبقات » : « عن أبي معن قال سمعت سعيد ابن المسيّب ، وقد سأله رجل فقال له يا أبا محمد من المهدي ؟ فقال له سعيد : أدخلت دار مروان ؟ قال : لا ، قال : فادخل دار مروان ، تر المهدي . قال : فأذن عمر بن عبد العزيز للناس ، فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان ، فرأى الأمير والناس مجتمعين ، ثم رجع إلى سعيد بن المسيّب فقال يا أبا محمد : دخلت دار مروان فلم أر أحداً أقول هذا المهدي ! فقال له سعيد — وأنا أسمع — هل رأيت الأشج ؟ عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم ، قال فهو المهدي^(٢) . »

وفي الطبقات أيضاً : « عن نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً^(٣) » ويريى ابن سعد « قال ابن عمر إنّنا كنّا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يلى

(١) انظر الطبقات ج ٥ ص ١٢٠ ط ليدن

(٢) انظر الطبقات ج ٥ ص ٢٤٥ ط ليدن

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٤٣

هذه الأمة رجلٌ من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر ، بوجهه شامة ، قال : فكُنّا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة ، قال : حتى جاء الله بعمر ابن عبد العزيز ، وأمه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال يزيد : ضربته دابة من دواب أبيه فشجّته ، فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشجّ بني أمية ^(١) »

و يروى ابن سعد : « قال سمعت محمد بن علي يقول : النبي منّا والمهدي من بني عبد شمس ، ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز ^(٢) » ، وفي الطبقات : « أخبرنا مسلم ابن إبراهيم قال حدثني أبو بكر بن الفضل قال حدثني أبو يعقوب ، مولى لهند بنت أسماء قال : قلت ل محمد بن علي ، إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً ، فقال : إن ذاك كذاك ولكنه من بني عبد شمس ، قال فكأنه عن عمر بن عبد العزيز ^(٣) . ويقال إنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، سُمع صوت لا يُدرى صاحبه يقول :

من الآن قد طابت وقرّ قرارها على عمر المهديّ قام عمودها

والحق أن هذه الشخصية الفذة لهذا الخليفة الأموي ، كانت تحظى دائماً بالرضى والتقدير ، بل والإعجاب عند كل الطوائف الإسلامية ، حتى بين خصوم بني أمية السياسيين ، أعنى بني العباس ، الذين بلغ بهم حقدهم على الأمويين أن نبشوا قبور موتاهم ، وتركوا قبر عمر بن عبد العزيز قائماً تقديراً له وإجلالاً .

وقد كان زهد هذا الخليفة وتشفه وصفاته الروحية العالية التي انحدرت إليه من جده الأعلى لأمه عمر بن الخطاب ، عاملاً هاماً في فرض شخصيته على قلوب الناس فأحبوه ، حتى ليرى فيه التابعي الكبير ابن المسيّب أنه المهدي المنتظر .

والطبري ^(٤) يحدثنا أنه في عام ١٢٨ هـ قد ادّعى الحارث بن سُريج أنه ذلك

(١) الطبقات ج ٥ ص ٢٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٥

(٣) المصدر السابق نفسه

(٤) الطبري ج ٩ ص ٦٧ ط الحسينية .

المهدى المنتظر صاحب الرايات السود ، ولكن دعوته لم تلق نجاحاً ، وغير بعيد أن يكون صاحبنا هذا قد ابتدع الحديث الذى رواه أبو داود والقائل :

« يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطئ أو يمكّن لآل محمد ، كما مكّنت قريش لرسول الله ، وجب على كلّ نصره » وقد رفعه إلى النبي ؛ ليتخذ منه سلاحاً وتسكّاة لتأييد مزاعمه ، ولكن الحكومة القوية إذ ذاك ، أخذت أنفاسه فأخفق الحارث فى دعوته .

وقد ذهب بعض طوائف الخُرَّمِيَّة — أتباع بابك الخُرَّمي^(١) إلى أن « أشيدراما » أحد أعقاب « زرادشت » الذى ينتظر المجوس عودته كخلص فى آخر الزمان ، هو بعينه أبو مسلم الخراسانى أحد مؤسسى دولة بنى العباس ، والذى فتك به خدعة — بعد أن أمّنه — الخليفة الصارم أبو جعفر المنصور ، غير أن الخُرَّمِيَّة لم تؤمن بموته ، فأخذوا ينتظرون رجعه ليملا الأرض عدلاً . وقد فرّ رجل يدعى إسحق الترك بعد موت أبى مسلم إلى بلاد ما وراء النهر ، ونصب نفسه داعية له وزعم أن مولاه قد اختفى بمدينة « الرى » وأنه نبي أرسله « زرادشت » وسيمود حتماً إلى الوجود ؛ لينشر الزرادشتية ويرفع لواءها .

(١) الخرمي : نسبة إلى « خرمة » كسكرة : بلدة بقرب اصطخر .

ابن تومرت مهدي الموحدين

وفي صحارى المغرب المغفرة وبين قبائله البدائية، راجت عقيدة «المهدية» رواجاً كبيراً، ووجدت بين أهله السذج مرناً خصيباً، قال ياقوت :

« البربر أجنى خلق الله وأكثرهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمى الجهالة، ولم تخل أجيالهم من العن وسفك الدماء قط، وكمن ادعى فيهم النبوة قبلوا، وكمن زاعم فيهم أنه المهدي الموعود، فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا، وكمن ادعى فيهم مذهب الخوارج، فإلى مذهبهم بعد الإسلام انتقلوا » .

ويقول سيد الباحثين الطيب الذكر العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« كثيراً ما ظهرت الحركات المهدوية في الإسلام المغربى (شمال أفريقيا) ، وعند المغاربة اعتقاد متواتر بأن المهدي لابد أن يظهر في الأرض المراكشية، واستعان المغاربة بالأحاديث التي تنحو هذا المنحى . كما ظهر أيضاً في المغرب في عصور مختلفة رجال، كان يدعى كل واحد منهم أنه عيسى ابن مريم، وكان يمتسك بهذا الاسم لمناهضة السياسة الأجنبية » ^(١) .

ولعل أخطر هذه الحركات جميعاً، تلك الحركة الكبرى التي تزعمها محمد ابن تومرت، والتي أقامت دولة الموحدين على أنقاض الدولة المرابطية، وهى وإن قامت باسم « المهدي » لم تكن قط ذا طابع دينى خاص تطبع به الجماهير، فبقي بعدها أجيالاً وقروناً، كما استطاع ذلك بنو عبيد؛ قال « جولدزيهر » Goldziher :

« ومع أن بعض هذه الحركات المهدوية كتلك التي أدت إلى قيام دولة الموحدين بالمغرب، لم تحتفظ بأى أثر تؤثر به في المستقبل بعد سقوط الأنظمة السياسية، التي كانت هذه الحركات ثمرة لها، فإن الآثار الباقية لهذه الحركات المهدوية لا تزال باقية إلى اليوم في الفرق الشيعية » ^(٢) .

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٢

(٢) المصدر السابق .

أما ابن تومرت الداعية المغربي الذي أقام بأسطورة «المهدية» دولة الموحدين فهو من بين دعاة المهدية جميعاً — أوفرهم براعة وذكاء وحرماً وزهداً ، وكان نفوذه الروحي أقوى دعامة لقيام دولته وقد جاء في « روض القرطاس » أنه :

« كان جميل الطلعة أسمر اللون منفصل الحاجبين قوى النظر ، أفتى الأنف غائر العينين ، خفيف اللحية له شامة سوداء على يده ، وكان داهية قادراً ، تساوره الشكوك فلا يتردد عن إراقة الدماء ، كما كان حافظاً للحديث عالماً بالمسائل الدينية مبرزاً في المناظرة ، ويحدثنا صاحب « المغرب في أخبار أهل المغرب » فيقول^(١) :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

« له قدم في الثرى وهمة في الثريا ، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحياء ، أغفل المرابطون حله وربطه ، حتى دب ديب الفلق في الفسق ، وترك في الدنيا دويماً ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لسكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له ، في كل يوم رغيفاً بقليل سمن أو زيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً ، وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه ، وقال من كان يتبعني للدنيا فإله عندي إلا ما رأي ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى ، وكان على خمول زيّه وبسط وجهه ، مهيباً منيع الحجاب إلا عند مظامة ، وله رجل مختص بخدمته والإذن عليه ، وكان كثيراً ما ينشد :

تجرّد من الدنيا فإنك إنمسا خرجت إلى الدنيا وأنت مجرّد
وكان يتمثل بقول المتنبي :

إذا غامرت في شرف مرّوم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمرٍ حقير كطعم الموت في أمرٍ عظيم

(١) أنظر وفيات الأعيان لابن خلسكان ٢٠٣ س ٤٠ ط الحلبي .

ويقوله أيضاً :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
وابن تومرت بربرى لحماً ودماً ، ولذلك فنحن ندرجه في قائمة « المهديين من
غير آل البيت » وإن اختلف هو لنفسه نسباً عربياً ينتهى به إلى على بن أبى طالب
أو إلى الرسول نفسه ، كى يعتمد عليه — شأن غيره من المهديين — فى ادعائه
« المهديّة » ، ولكى تؤيده « مجموعة الأحاديث » المفتعلة التى لا تنصر مهادياً من غير
آل البيت ، ولا ندرى كيف خفى ذلك على بعض الباحثين المتأثرين بكسيد أمير على ،
الذى زعم أن صاحبنا ينتهى إلى أسرة عربية ^(١) ، والحق أن ابن تومرت كان
ذا نسب فى البربرية عريق ؛ فهو هرغى من « هرغة » أحد بطون « مسمودة » وهى
بربرية بشهادة ابن حزم الفاطمية فى كتابه المتعم « جهرة أنساب العرب » ^(٢) ، وقد أدرجها
أيضاً ضمن قبائل البربر ، صاحب كتاب « مفاخر البربر » ^(٣) الذى نشره (بالرباط)
العلامة « بروفنسال » Provençal ، كما حدثنا عنها أيضاً كقبيلة بربرية العلامة
« يشر » Yver فى « دائرة المعارف الإسلامية » ^(٤) . ولم يخف ذلك على القاضى
ابن العماد فقال فى شذراته : « وفيها (سنة ٥٢٤ هـ) محمد بن عبد الله بن تومرت
المسمودى البربرى المدعى أنه علوى حسنى وأمه المهدي » ^(٥) .

وابن خلدون الذى انتفع بأبحاث ابن حزم ، يحدثنا أن ابن تومرت الداعية
المغربى ، اسمه « أمغار » وهى كلمة بربرية معناها رئيس ، أما « ابن تومرت » فى هذه
اللغة ، فيقول الأستاذ « عنان » ^(٦) نقلاً عن أبى بكر الصنهاجى ، تلميذ ابن تومرت
ومؤرخه ، إن سبب تلقيبه بذلك أن أمه فرحت بمولده ، وكانت كلما سئلت عنه

(١) مختصر تاريخ العرب والمتمدن الإسلامى « الترجمة العربية » ص ٤٥١

(٢) أنظر جهرة أنساب العرب ص ٤٦١ نشر « بروفنسال » Provençal بالقاهرة .

(٣) أنظر « مفاخر البربر » ص ٥٩ و ص ٦٢ نشر « بروفنسال » Provençal بالرباط .

(٤) أنظر مادة « البربر » بدائرة المعارف الإسلامية « الترجمة العربية » مجلد ٣ ص ٥٠١ .

(٥) أنظر شذرات الذهب ج ١ ص ٧٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٦) تراجم إسلامية ص ٢١٢

أجابت بلسانها البربري « يك تومرت » ومعناه « صار فرحاً » فغاب عليه ذلك اللقب . وقيل إن معناه « ابن عمر الصغير » وعمر اسم أبيه الذي كان يدعى أيضاً عبد الله ، كما دُعي ولده بمحمد ، فأشبهه النبي في اسمه واسم أبيه واتسق بذلك مع أحاديث المهدي ، أما أسماء أسلافه فبربرية .

وتاريخ مولد هذا الداعية مجهول ، ولكنه ينحصر بين ٤٧٠ هـ — ٤٨٠ هـ ويذكر « عنان » أنه كان في عام ٤٨٥ هـ — ١٠٩٢ م^(١) وقد ولد صاحبنا بإحدى قرى جبال السوس من أسرة هي فخذ من هرغة أحد بطون مصمودة ، ولهذا يعرف بالهرغي ؛ قال ابن خلدون : « كان من بيت نسك وكان قارئاً محباً للعلم ، وكان يسمى باللسان البربري « أسافو » ومعناها الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد للآزمتها » .

وأكبر الظن أن هذه النزعة الملحة في طلب العلم ، هي التي دفعته إلى النزوح والرحلة لطلبه من يناعيه في المشرق والمغرب والعلامة «رينيه باسيه» Rene Basset يتحدثنا أنه ابتدأ في رحلته بالأندلس ولا يشك « باسيه » في أن لكتابات ابن حزم أثراً في أفكاره^(٢) . ويقول «أشباح» Aschbach إنه درس في قرطبة قبل الرحيل إلى المشرق^(٣) .

وبعد أن بلغ صاحبنا غايته من معاهد قرطبة شدَّ رحاله إلى الشرق فخرج في طريقه على الإسكندرية ؛ وتلمذ لأبي بكر الطرطوشي الأشعري ، وكان يعارض تعاليم الغزالي ، ثم أخذ ابن تومرت طريقه بعد ذلك إلى العراق ، حيث درس في بغداد وتقول الأساطير إنه التقى بالغزالي هناك ، ودارت بينهما أحاديث حول كتاب الإحياء من جهة ، وحول تنبؤ الغزالي لصاحبنا المغربي بخطر شأنه وقيام دولته من جهة أخرى . وقد سلم بهذه الأسطورة بعض المؤرخين القدامى كابن خلكان الذي يقول :

(١) تراجم إسلامية ص ٢١١

(٢) أنظر مادة « ابن تومرت » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ١٠٦

(٣) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين « الترجمة العربية » ص ١٠٠ ص ١٩٥ ،

وانظر صبح الأعشى للقلقشندي ص ١٣٦

« ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالباً للعلم فأنهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والسكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم ^(١) » .

والفلقشندی الذي يحدثنا فيقول : « كان (ابن تومرت) إماماً متضلماً بالعلوم ، قد حج ودخل العراق واجتمع بأئمنه من العلماء والنظار كالفزالي ، والسكيا الهراسي وغيرهما ، وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة ، ورجع إلى الغرب ، وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل ، فاجتمع إليه قبائل للمصامدة من البربر ، وجعل يبت فيهم عقائد الأشعرية ، وينهى عن الجود على الظاهر ، وسعى أتباعه للموحدین ، تمرضاً بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر ^(٢) » .
ويقول في موضع آخر :

« وكان أهل بيته أهل دين وعبادة ، وشب محمد هذا فيهم قارئاً محباً للعلم ، وارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومرّ بالأندلس ، ودخل قرطبة وهي إذ ذك دار علم ، ثم لحق بالإسكندرية وحج ، ودخل العراق ، ولقي أكابر العلماء به يومئذ وخول النظار ، ولقي أئمة الأشعرية من أهل السنة ، وأخذ بقولهم في تأويل التشابه ، ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يريده من قيام الدولة بالمغرب ^(٣) » .

والقاضي الحنبلي ابن العماد يقول : « رحل إلى المشرق ولقي الغزالي وطائفة ^(٤) » .

كذلك أخذ بهذه الأسطورة — أسطورة النقاء ابن تومرت بالغزالي — بعض المحدثين من الباحثين كأشباخ Aschbach ^(٥) وسيد أمير على ^(٦) ولم يُبد فيها الأستاذ عنان رأياً قاطعاً ، عندما ترجم لابن تومرت في كتابه « تراجم إسلامية » .

(١) أنظر وفيات الأعيان ٢ ص ٣٧ ط الحلي .

(٢) أنظر صبح الأعشى ٥ ص ١٩١

(٣) المصدر السابق ٥ ص ١٣٦

(٤) شذرات الذهب ٤ ص ٧٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٥) تاريخ الأندلس ١ ص ١٩٥

(٦) مختصر تاريخ العرب ص ٤٥١

والحق الذي لا مربية فيه أن ابن تومرت لم يلتق قط بالغزالي ؛ قال ابن الأثير :
« وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك ، فقال له الغزالي
إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا ، كذا قال بعض مؤرخي
المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به ^(١) » . ويقول ابن غلبون ممعياً على هذا الخبر :
« هكذا قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به » ^(٢) .

وغير بعيد أن يكون هذا اللقاء من مختلقات ابن تومرت نفسه ، ليصبغ دعوته
بصبغة قدسية ؛ إذ تنبأ بها « الغزالي » وهو إمام في الشريعة والحقيقة ، يتمتع بنفوذ
كبير ويعتبر حجة الإسلام .

وقد غيرت أعوام الطلب والرحلة داعيتنا المغربي تغيراً كبيراً ، فاعتزم في نفسه
أمراً ، وهو وإن لم يكن قد رسم خطته بالتفصيل فقد تصوّرها بالإجمال ، وعندما رك
البحر عائداً إلى بلاده ، أخذ لأول مرة يأمر ركاب السفينة وبجارتها بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ، وألزمهم إقامة الصلاة وقراءة القرآن . ولما هبط الأراضي المغربية ازداد
حماسة وحمية ، فاستمر على طريقته في شيء غير قليل من الشدة والعنف ، عملاً بقول
النبي عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُتَيَرِّهِ يَدُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِأَسَانِهِ ،
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَهَذَا أضعف الإيمان » .

وقد كانت دولة « المرابطين » القائمة بالمغرب إذ ذاك في دور الاحتضار ، كما
كانت الحياة العقلية في غاية الانحطاط ، مما ساعد ابن تومرت كثيراً في نشر دعوته ،
التي لم يقف المرابطون في سبيلها حجر عثرة ، بل كانوا بعضهم واعلاهم الخلق
والسياسي ، أكبر عامل في نجاحها .

و بإحدى قبائل صنهاجة التقي ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي ، الذي ينتهي
بنسبه إلى بني سليم من قبس عيلان ، والذي تمت على يديه دعوة ابن تومرت ، وكان
عبد المؤمن كأستاذ طالباً فقيراً ، يريد الارتحال لبلاد المشرق لطلب العلم ، فتحدث

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٠١ طبع الحلبي .

(٢) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص ٧٨ .

إليه ابن تومرت وتفرّس فيه واختبره بدقة ، فوجد فيه عضداً قوياً وساعداً متيناً ، فأقنمه بالعدول عن رحلته كما أقنمه باصطحابه في دعوته ، زاعماً له أنه هو المقصود بالحدّيث الخلقى القائل : « إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان رجل من قيس ، فقيل من أيّ قيس ؟ فقال من بنى سليم . . » .

ثم أخذ ابن تومرت بعد ذلك يضرب في البلاد ، حتى وصل مرا كاش فسار فيها سيرته المعروفة من الأمر بالمعروف وتنفيذ برنامجه في الإصلاح الخلقى بالشدة والعنف ، لا يكاد يعرف في ذلك ليناً أو هوادة ، حتى لقد أساء إلى أخت الأمير المرابطى الذى كان أكثر منه حليماً وتسامحاً ، فلم يُنزل به ما يستحقه من العقاب ، واكتفى بأن عقد مجلساً ناظر فيه ابن تومرت فقهاء المرابطين فحجهم وقلجهم ، ولم يكن ذلك عليه بعسير . ولقد أشار القاضي الثابه البعيد النظر ، مالك بن وهيب على الأمير المرابطى بقتل ابن تومرت ، لما استشفه وراء دعوته المقتنعة من خطر دام على الدولة ، ولكن الأمير لم يستمع لنصيحة ابن وهيب ، وأبقى على حياة الداعية الداهية ، الذى ما كاد يشعر بهذه الشباك تحاك من حوله ، حتى فرّ إلى « أغمت » حيث اشترك هناك في مناظرات أخرى ، كان دائماً يخرج منها ظافراً منتصراً ، لفصاحة لسانه وقوة جنانته ، وحضور بديهته ، ولما أكسبته دراسة المنطق من قوة الحجّة ووسائل الغلب والفاج .

ثم توجه ابن تومرت إلى جبال المصامدة ، وأخذ هناك ينظم دعوته ، فاكتفى بادئ الأمر بإنسكار ما يخالف القرآن والشنة من أخلاق وعادات . وبعد أن أصبح له نفوذ قوى والتف حوله الأنبايع ، هاجم المرابطين وشدّد عليهم النكير ؛ لحديثهم عن تعاليم الإسلام الصحيحة القويمة ، ورعى كل من عارضه في ذلك بالمروق من الدين ، وأعلن حرباً دينية ليس على الوثنيين فحسب ، بل على المسلمين أيضاً ؛ لضلالتهم وسلوكهم مسالك الشيطان . وقد جاء في رسالة حماسية له — يحرّض فيها أتباعه على محاربة المرابطين — قوله :

« فشكل من أطاعهم في معصية الله وأعانهم على ظلمهم ، في سفلك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ، وكل من أعانهم من القبائل ، فادعهم إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الكتاب والسنة ، فإن قبلوا منكم ورجعوا إلى السنة وأعانوكم على جهاد الكفرة فخلوا سبيلهم وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وإن عاندوا الحق وأصرّوا على معونة الباطل والفساد ، فاقتلهم حيث وجدتمهم ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً^(١) »

وبعد أن هبّ ابن تومرت الأذهان لصفات المهدي المنتظر ، الذي يتم على يديه إصلاح الحال ، بادر فاعتبر نفسه ذلك المهدي ، وخرج به على الناس عام ٥١٥ هـ ، واصطنع له نسباً يعلو به إلى عليّ بن أبي طالب . وقد ساعده على النجاح ، تلك الأساطير الكثيرة التي راجت هناك عن قيام دولة بربرية ؛ قال الفلقشندي :

« وكان السكمان يتحدثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر ؛ وصرفوا القول في ذلك إليه ، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال الجسّمين سنة خمس عشرة وخمسمائة فبايعوه على ذلك^(٢) » .

وقد تأثرت تبعاً لذلك دعوته ، فلم تعد أشعرية خالصة ، بل خالطها الكثير من تعاليم الشيعة . ودارت بينه وبين المرابطين في هذا الصراع معارك حربية طاحنة ، بيد أن دعوته قد أخذت في الانتشار والذيع ، مما أكسبه الأيد والقوة ، في الوقت الذي كانت فيه دولة المرابطين تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكن لم يتح لابن تومرت أن ينعم بثمرة جهاده ، ف قضى في رمضان عام ٥٢٤ هـ^(٣) = سبتمبر ١١٣٠ م .

وتقول الأساطير إنه رأى في منامه قبيل وفاته بيسير — كأن رجلاً وقف بباب داره ينشده هذا البيت :

كأنّي بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه ابن تومرت بقوله :

(١) تراجم إسلامية لعبد الله عنان ص ٢١٦

(٢) أنظر صبح الأعشى ص ٥١١

(٣) وقيل عام ٥٢٥ هـ .

كذلك أمور الناس يبلى جديدها وكل فتى حقاً سنبل شمله
فقال الرجل :

تزود من الدنيا فإنك راحل وإنك مسئول بما أنت قائم
فقال ابن تومرت :

أقول بأن الله حقّ شهادته وذلك مقال ليس تحصى فضائله
فقال الرجل :

خذ عذّة الموت إنك ميّت وقد أرف الأمر الذي أنت قائم
فقال ابن تومرت متسائلاً :

متى ذلك خبرنى هُديتْ فإننى سأعلم ما قد قلّته وأعالجه ؟
فأجابه الرجل :

تبيت ثلاثاً بعد عشرين ليلةً إلى منتهى شهرٍ فما أنت كامله
فلم يلبث بعدها غير ثمان وعشرين ليلة^(١) .

وقد رثاه شاعر مجهول بقصيدة ضافية ، اختصرها المراكشي في كتابه
« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » يقول فيها ناظماً^(٢) :

سلامٌ على قبر الإمام المجدّد سلاّةٍ خير العالمين محمد
ومُشبهه في خلقه ثم في اسمه وفي اسم أبيه والقضاء المسدّد
ومحي علوم الدين بعد مماتها ومظهر أسرار الكتاب المسدّد
أنتناب به البشرى بأن يملأ الدنيا بقسطٍ وعدلٍ في الأنام مخلّد
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً ويملك غرباً من مُغيرٍ ومنجد
فن وصفه : أوفى وأجلى وأنه علاماته خمسٌ تبين لمُتبد
زمانٌ واسمُ المكان ونسبةٌ وفعلٌ له في عصمة وتأيد

(١) أنظر مقدمة كتاب « أعز ما يطلب » لأن تومرت نشر « لوسيانى » Luciani
بالجزائر عام ١٩٠٣

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٢١ ط مطبعة السعادة .

ويليث سبعا أو فتسعا يعيشها
فقد عاش تسعا مثل قول نبيينا
وتتبعه للنصر طائفة المهدي
هي الثلثة المذكور في الذكر أمرها
ويقدمها المنصور والناصر الذي
هو المنتقى من قيس عيلان مفخرا
خليفة مهدي الإله وسيفه
بهم يجمع الله الجبارة الألى
ويقطع أيام الجبارة التي
فيفزون أعراب الجزيرة عنة
ويفتحون الروم فتح غنية
ويعدون للدجال بفزونه ضحى
ويقتله في باب « لَيْلَ » وتنجلي
وينزل عيسى فيهم وأميرهم
يصلى بهم ذاك الأمير صلاتهم
فيمسح بالكفين منه وجوهمهم
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم
فأبلغ أمير المؤمنين^(١) تحية
عليه سلام الله ما ذر شارق
كذا جاء في نص من النقل مُسند
فذلكم المهدي بالله يهتدى
فأكرم بهم إخوان ذى الصدق أحمد
وطائفة المهدي بالحق تهتدى
له النصر حزب إذ يروح ويقتدى
ومن مرة أهل الجلال الموطن
ومن قد غدا بالعلم والحلم مُرند
يصدون عن حكم من الحق مرشد
أبادت من الإسلام كل مشيد
ويغزون منها فارسا وكان قد
ويقتسمون المال بالثرس عن يد
يذيقونه حد الحسام المهند
شكوك أمالت قلب من لم يوحد
إمام فيدعوهم لحراب مسجد
بتقديم عيسى المصطفى عن تعبد
ويخبرهم حقاً بعز مجدد
إلى آخر الدهر الطويل المسمد
على النأى منى والوداد المؤكد
وما صدر الوراؤ عن وِرد مورد

قال المراكشي : « وقد قيل إن منشى هذه القصيدة لم يحضر ذلك المشهد ولم ينشدها بنفسه ، منفعته عن ذلك السكرة وبعد الشقة ، وإنما أرسل بها فأشدت على

(١) يقصد عبد المؤمن بن علي .

قبر الإمام ، وكان عمله إياها وعبد المؤمن حتى ، فآله أعلم وهي طويلة وهذا ما اخترت له منها^(١) .

وهكذا مات الداعية المغربي مهدي الموحدين ابن تومرت ، دون أن يرى ثمرة جهاده الذي واصله من بعده خليفته عبد المؤمن بن علي ، حتى قضى على المرابطين وسقطت دولتهم المثلومة صريمة دامية تحت ضرباته ، فأنشأ على رسومها ومما لها وفوق أطلالها وأنقاضها بالبلاد المغربية ، دولته الفتية القوية دولة الموحدين إحدى الدول التي قامت على أسطورة « المهديّة » .

وقد ترك ابن تومرت تعاليمه مدونة في كتاب أملاه عبد المؤمن هو « أعز ما يطلب » نشره « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٩٠٣ ، وقدم له « جولديزير » Goldziher مقدمة طويلة ممتعة ، وهو في جلته لا يخرج عن تعاليم الأشعرية مصطبغة بصيغة شيعية . وقد ترك أيضاً رسالة قصيرة باسم « عقيدة ابن تومرت » نشرها — ضمن رسائل — الكردي بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ ، وهي أيضاً من نوع كتابه السابق من حيث صبغة البحث واتجاهاته ولم يكن فيهما قط مبتكراً أو مجتهداً ، بل كان من هذه الناحية مقلداً لا شخصية له ، وقد انتهى إلينا أخيراً بعض رسائل أخرى له نشرت مع طائفة من أخباره بقلم تلميذه أبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بابن البيدق بمناية السلامة « ليقي بروڤنسال » Provençal بعنوان « أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » ، وقد جاء في رسالة منها يوصي أتباعه :

« والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه ، واتباع الكتاب والسنة ، وتعليم التوحيد فإنه أصل دينكم وبه تصلح أعمالكم ، والحفاظة على الصلوات في أوقاتها فإنها عماد الإسلام ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، واقطعوا المداينة وسوء السيرة ، وعوايد الجاهلية ، والأهوال والنيافة والسخط

عند المصائب ، ولا تخالطوا أهل الفساد ولا تعاملوهم ، وتواصلوا فيما بينكم
ولا تقاطعوا ، وتحابوا ولا تدابروا ، واتفقوا ولا تختلفوا ، وتطاعوا ولا تنازعوا ،
ولا تغتروا بالدنيا فإنها فانية وكل من عليها فان ^(١) .

وقبر ابن تومرت لا يزال موجوداً في « تينمل » ، أما اسمه وتاريخه فقد ابتلعهما
الماضي السحيق بين طواياه . ولعل نجاحه في دعوته هو الذي حفز بعض المغاربة
من بعده ، إلى أن يمهجوا نهجه ؛ ففي أوائل القرن الثامن الهجري خرج بسوس ،
في عصر السلطان يوسف بن يعقوب ، داعية يعرف بالتَوْبُزْرِي ، زعم أنه المهدي
وتبعه كثير من الدماء ، ولكنه قتل غيلة وانقطع أمره قبل أن يعظم . وفي نهاية
القرن الثامن أيضاً خرج ناعق آخر اسمه العباس زاعماً هذا الزعم ، وهاجم مراکش
وأحرقها ولكنه قتل غيلة أيضاً .

الفصل السابع

المهدية في العصر الحديث

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« وفي الأزمنة الحديثة نسبياً اشتد تعلق المسلمين بهذه العقيدة حتى من كان منهم غريباً عن التشيع ؛ فسلمو القوقاز يؤمنون بركة بطل استقلالهم « إيليا منصور » الذي ظهر قبل زعيمهم « شامل » سنة ١٧٩١ ، والذي لابد أن يعود إليهم بعد قرن من طرد الروس ، ويعتقد أهل سمرقند بركة أوليائهم ، كشاه زند وقاسم بن عباس ، كما ثبت أن الأكراد منذ القرن الثامن الهجري على الأقل ، يؤمنون بركة زعيمهم المصلوب ، تاج العارفين حسن بن عدى »^(١) .

ويقول Goldziher في موضع آخر من تعليقاته الممتعة على كتابه القيم

« العقيدة والشريعة في الإسلام » : Vorlesungen Über Den Islam :

« وفي القرون الأخيرة ظهرت بعض الحركات الانشقاقية الدينية ذات الصلة الوثيقة بالفكرة المهدية ، وذلك بين مسلمي الهند ، وقد أثارها رجال ادّعى كل واحد منهم أنه المهدي المنتظر ، ولا يزال أتباعهم يؤلفون جماعات وفرقاً مختلفة . وزعم هؤلاء المهديون أن انتظار المسلمين للمهدي قد انتهى بظهورهم ، وهذا هو السبب في تسمية هذه الفرق باسم « غير مهدي » أي أنهم قوم توقعوا عن الاعتقاد بظهور المهدي في المستقبل ، ومنهم فرقة المهدوية التي تحمل على مخالفتها في الرأي وتبالغ في بغضهم والتعصب عليهم . وقد أورد « سل » Sell في كتاب « ديانة الإسلام » تفصيلات دقيقة عن هذه الفرق . ولا تزال ذكرى أحد المهديين الهندو الذين عاشوا في نهاية القرن الخامس عشر عاتقة بأذهان أهل مقاطعة كرمان (بلوختان) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٣ .

ويعارض السنيون في هذا الأقليم (ويسمون الممازي لأنهم يؤدون الصلاة واسمها نماز) فرقة « ذكرى » التي ينتمى أغلب أتباعها إلى البدو من سكان البلاد ، وقد وصلوا مذهبهم وشعائرهم الحائدة عن التعاليم السنية الإسلامية بأحد المهديين ، ويدعى الشيخ محمد الجونبوري ، الذي أخذ بعد نفيه من بلاد الهند في التجوال من مكان إلى آخر وتوفي سنة ١٥٠٥ م في « تيل هلمند » Tale Helمند وهم يشيدون دائرة من الأحجار في ليلة القدر التي يقدها أهل السنة ، ويؤدون في داخلها مناسكهم الزائفة ، ولذا يطلق على هذه الفرقة أيضاً اسم « دائرة والى » أى أهل الدائرة .^(١) ولعل أهم آثار لعقيدة « المهديّة » في العصر الحديث ، هو قيام الدولة المهديّة في السودان ، ونشوء « البابية » و « البهائية » في إيران ، و « الباريلية » و « الأحديّة » في البلاد الهندية .

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٣٤٣

محمد أحمد مهدي السودان

شخصية فذة من شخصيات التاريخ وعلم من أعلامه ، كثرته أحوال بلاده ، وما تردت فيه من انحطاط فكري وخلق واقتصادي ، نتيجة لرزوحها تحت نير الاستعمار البغيض ، فنار الرجل بمهديته لينقذ السودان من تلك الهاوية السحيقة ، واقد عمر قلبه الإيمان العميق في حق بلاده أن تحيا ، فأعلنها على المستعمرين حرباً شعواء لا هوادة فيها ، خرج منها ظافراً منتصراً ، وفي فترة وجيزة جمع بين السودانيين وألف بين قلوبهم ، وأشاع بينهم العدالة والطمأنينة والحياة الكريمة ، وخلق منهم أمة أئمة تأبى الضيم وتستمسك بتعاليم الإسلام ، فمن هو هذا المهدي ؟

يقول الرواة : هو أبو عبد الرحمن ؛ محمد بن عبد الله ، بن خل بن عبد الولي ، ابن عبد الله بن محمد ، بن حاج شريف بن علي بن أحمد بن علي ، بن حسب النبي بن صبر ، بن نصر بن عبد الكريم ، بن حسين بن عون الله ، بن نجم الدين بن عثمان ، ابن موسى بن أحمد أبي العباس ، بن يونس بن عثمان ، بن يعقوب بن عبد القادر ، بن الحسن العسكري ، بن علوان بن عبد الباقي أبي صخرة ، بن يعقوب بن الحسن بن علي بن أبي طالب!

هذا من جهة أبيه ، أما من جهة أمه زينب بنت نصر ، فتنهى السلسلة فيما يقولون إلى العباس بن عبد المطلب!

قال الرواة : وقد هاجرت أسرة المهدي العلوية ، من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين ، فراراً من المظالم والآلام التي كان يصبها على رءوسهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وفي عهد ابنه الوليد .

وقد اتخذت الأسرة وادي النيل مهاجراً لها ، فأقامت في الفسطاط ما طابت لها الإقامة ، وبها مات أحد كبار رجالها المعروفين ، وهو نجم الدين بن عثمان ، ودفن عند باب الوزير وله هناك مقام يزار . ثم شدت الأسرة رحالها وواصلت رحلتها جنوباً

وقد طالب لبعض أفرادها المقام في « كشتمة » بين أسوان والدر ، ومن أشهر هؤلاء نجم الدين بن عون الله ، وظل باقي الأسرة وعلى رأسهم السيد نصر الدين بن عبد الكريم ، بين ظعن وإقامة وحل وترحال ، حتى انتهى بهم المطاف والتجوال إلى إقليم « دنقلة » بالسودان ، فألقوا عصا تسيارهم ، وقد سموها المسكان الذي نزلوه « بالخنق » ، على اسم آخر قرية سكنوها بأعلى الصعيد ، وقد اتجه بعضهم إلى جزر هناك ثلاث ، فاستوطنوها وهي ضرار ، ولبيب ، وآب تركي ، ومن ثم عرفت هذه الجزر ، وما زالت تعرف إلى اليوم ، باسم جزائر الأشراف .

ومن هذا الإقليم العلوى « دنقلة » ، وفي أواسط القرن السابع الهجري ، سطع نجم أحد رجال هذه الأسرة المبرزين ، وهو السيد حاج شريف ، وطار ذكره وبُعد صيته وعُرف بالعلم والتقوى ، فقصده الأتباع والمريدون زرافات ووحداناً من كل فج عميق راكبين ورُجلاً ، وقد عمر هذا الشيخ طويلاً مستمتعاً بسلطان روحى قوى ، وولد له من الذكور ستة ، أكبرهم السيد محمد جد المهدي من قبل أبيه ، ثم قضى الحاج شريف ، وما زالت له ولذراريه إلى الآن قباب بدنقله ، تعرف بقباب الأشراف يؤمها المريدون والأتباع .

وقد وُلد للسيد محمد بن الحاج شريف ولد ، أسماء عبد الله هو والد المهدي ، وكان صناعاً ماهراً ، حذق هو وبعض أفراد أسرته حرفة التجارة وصناعة السفن ، وكانت المنطقة التي يعيشون فيها بدنقله لا تسعفهم بالأخشاب الصالحة لمزاولة مهنتهم ، فارتحل عبد الله هذا ومعه أسرته إلى مدينة « كرى » ، الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً شمالى « أم درمان » ، والتي كانت أخشاب غاباتها موائمة لمهنته ، وقد صحبه في هذه الرحلة التي لا تخلو من خشونة ، ولده محمد أحمد .

وظل عبد الله يزاوُل مهنته بمدينة « كرى » حتى عام ١٢٦٥ هـ = ١٨٥١ م حيث توفى تاركاً ولده محمداً في سن الخامسة ، والسبب لانعمله — ربما كان نقص الأخشاب أو مجرد الانتجاع والظعن ، حيث يدلنا تاريخ الأسرة على أنها كانت

بدوية رحالة لاتسكاد تعرف الاستقرار — هاجرت الأسرة بعد موت عاهلها عبد الله إلى الخرطوم ، وهناك راحوا يزاولون مهنتهم ببدة « المنجرة » عند « القرن » (اقتران النيل الأبيض بالأزرق) . وبعد سنوات ست من وفاة عبد الله ، لحقته زوجته « آمنة » والدة محمد أحمد عام ١٢٧١ هـ = ١٨٥٧ م ، ودفنت بمقبرة الخرطوم القديمة . ويقال إن قبرها معروف هناك من آثار ترشد إليه وتدل عليه .

أما ابنها محمد صاحب هذه القصة وخالق تاريخها ، فقد ولد ليلة السابع والعشرين من رجب عام ١٢٦٠ هـ = أكتوبر عام ١٨٤٥ م ، بدفلة بمجيزة « لب »^(١) إحدى جزائر الأشراف الثلاث ، وقد أطلق عليه والده عبد الله اسم « محمد أحمد » وظل يُعرف به إلى أن جهر بدعوى « المهدي » في الثامنة والثلاثين من عمره ، حيث نقش على خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، محمد المهدي بن عبد الله » .

لم ينعم صاحبنا بأبويه كثيراً ؛ إذ مات أبوه وهو في الخامسة ، وفقد أمه وهو في الحادية عشرة . ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا وجه التشابه بينه وبين الرسول صلوات الله عليه ، في اسمه وفي اسم أبيه ، وفي اليتيم الذي لهما برده ، بل وفي طريق هذا اليتيم نفسه ؛ حيث مات أبوهما أولاً ، ثم في كفالة الغير لها ؛ فقد كفّل الرسول جدّه عبد المطلب ، ثم عمه أبو طالب ، وكفّل محمد أحمد ، أخوه الأكبر السيد محمد . وكل هذا التشابه الذي جاء دون شك وليد المصادفة البحتة ، قد استغله المهدي فيما بعد أوسع استغلال للنشر دعوته وتمسكيتها . وقد حاول هو أخيراً أن يزيد من وجوه التشابه هذه بينه وبين الرسول ، فتزوج بامرأة اسمها عائشة وكنّاها بأم المؤمنين ... ! وقد كان محمد أحمد ميالاً منذ طفولته لحياة التدين والزهد ، التي انحدرت إليه بذورها من جدّه الأعلى الشيخ الصالح السيد حاج شريف ، فالتحق بكتّاب شرق النيل بقرية محاذية لمدينة « كررى » ، ويدعى صاحبه « الفقيه الهاشمي » ، وكان مشهوراً في تلك الجهة بتعليم القرآن بغير أجر . وقد مكث فيه صاحبنا مدة ، خرج

(١) قال إبراهيم فوزي : إنه ولد بمجيزة « الحناق » عام ١٢٥٠ هـ ، أنظر كتابه « السودان بين يدى فرعون وكنعنة » ص ١٠٠

بعدها ليلتحق بمدرسة لرجل من أهل « شنقيط » ، يدعى الشيخ محمود ، كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية . بيد أن صاحبنا أيضاً لم يمكث طويلاً في هذه المدرسة ، بل أخذ طريقه إلى مكتب الشيخ محمد الضكير ، أحد معلمي الصبيان « بالقش » وهي قبيلة صغيرة تسكن على ضفة النيل الغربية بإزاء « الحريق » مركز مديرية « بربر » ، ويطلق عليها اسم « القش » أي الزهاد المتقشفون . ويقال إن للشيخ محمد الضكير هذا ضلعاً كبيراً في ادعاء تلميذه للهدية ، وقد صار هذا الشيخ فيما بعد من أنصار المهدي المتحمسين وأعدائه الخلفيين ، وقد أبدل المهدي اسمه فأسماه « محمداً الخير » .

وقد كان الشيخ محمد الضكير هذا على حظ وافر من الصلاح والتقوى ، وإن كان على جهل تام باللغة العربية ؛ يقول إبراهيم فوزي :
« ونقل لنا أحد تلاميذه أنه لما تصدر للتدريس ، كان ذا تحقيق في مذهب إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ، ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو والصرف وعلوم البلاغة ، فاحتقره تلاميذه وأسموه مرّات عديدة انتقاداتهم على جهله ، حتى إن أحدهم قال له يوماً : ياسيدي الشيخ إنك لا تعرف إعراب جاء زيد ، فكيف يليق بنا أن نتكوف حولك ! في حين أن تكوفنا هذا لطلب العلم وأنت مفتقر إليه أكثر منا ؟ ! فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه ، وبعد صلاة العشاء دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعروا بهم أحد ، وقصدوا الخرطوم ومنها إلى ضواحي المسلمية ، حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء ، وقصّ عليه محمد الخير ما جرى له مع تلميذه ، فقال له : قد محضك والله النصيح . ثم انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين ، أدرك فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ، ثم عاد إلى مواصلة دروسه في بربر »^(١) .

ولما أتم محمد أحمد دروسه على الشيخ الضكير ، نزعت نفسه إلى التصوف

(١) السودان بين يدي غردون وكنتشر ١ ص ٣١٥

وتأقت إليه ، وقد انسابت في عروقه جراثيمه المنحدرة إليه من أسلافه ، فرغب في الانخراط في سلك الطريقة « السمانية » إحدى الطرق الصوفية المنتشرة وقذاك في السودان ، والتي كان يمثها الشيخ محمد شريف ، حفيد صاحب الطريقة الشيخ الطيب ، فقصده صاحبنا وسأله الدخول في مصاف أتباعه ومريديه ، فأجابه شيخ الطريقة إلى طابته . وأقام المريد الجديد عنده منقطعاً للصلاة والعبادة ، متشحاً برداء التقشف والزهة ، بطريقة افقت إليه نظر شيخه ، فسال إليه بقلبه وأحبه ، فاصطفاه وقرّبه وأداناه .

ولما آانس محمد أحمد من نفسه القوة على التدريس افتتح مكتباً لتعليم الفلمان القرآن الكريم ، ولكن يظهر أنه برم بهذه الحرفة ، فأبطله ورغب إلى أستاذه أن يأذن له بالسياحة وإعطاء العهود ، فأذن له ، فأخذ صاحبنا في التجوال وإعطاء العهود على الطريقة السمانية ، وقد كثر تلاميذه ومريدهو كثرة منقطعة النظر ، حسده عليها شيخه محمد الشريف نفسه ، ثم انقلب الحسد إلى نفور وعداء في أوائل عام ١٣٩٥ هـ ، عند ما أخذ محمد أحمد في انتقاد أعمال أستاذه ، الذي كان يأذن للنساء في حضور مجلسه وتقبييل يده ، وكان يسمح بالفناء والرقص ، مما رآه تلميذه غير متسق وتعاليم الإسلام ، وقد أحفظ ذلك عليه أستاذه ، الذي ضاق به ذرعاً وبرم به ، واعتبره عاقاً خلمه من الطريقة . ويعتبر ذلك عند الصوفية كارثة كبرى ، فلجأ محمد إلى الملاينة والاستمطاف علّه يحظى ثانية بعطف أستاذه فيرجعه إلى الطريق ، ولكن عبثاً حاول وذهبت جهوده في هذا الصدد أدراج الرياح ، فقد كان غضب الشيخ عليه بالغاً أقصاه . ويقال إن بذور فكرة « المهديّة » كانت قد بُذرت في ذهن التلميذ في هذا التاريخ — ولعل لشيخه السابق الشيخ الضكير ضلعاً في ذلك — ويقال إن سبب النفور الذي وقع بين المريد وشيخه ، يرجع إلى أنه كان يحرص شيخه الشريف على ادعاء « المهديّة » ، فلما امتنع الشيخ ورأى من تلميذه ميلاً لأدعائها لنفسه ، نهزه وعزله من الطريق .

لم يجد صاحبنا بداً بعد هذا من الذهاب إلى شيخ آخر لنفس الطريقة ، اسمه

الشيخ القرشى ، وكان بينه وبين الشريف منافسة ، فخشى هذا الأخير عاقبة الأمر ، ورأى أن من الحكمة أن يرضى عن تلميذه ، فاستقدمه ليجدد له العهد ، غير أن التلميذ الداهية رفض بإباء وشم ، وقد كان لرفضه هذا ضجة كبرى فى آذان أهل السودان ، وارتفع على أثره قدره وعلت منزلته .

جدد محمد أحمد العهد على الشيخ القرشى ، الذى كان بالغاً من العمر وقتئذ تسعين عاماً ، وكان فاقداً لقواه العقلية ، ويؤكدون أنه ذو يدٍ كبرى فى تدير دعوى « المهديّة » والتمهيد لمحمد أحمد بانتحالها ، بما أخذ يشهد له به من الشهادات الحسنة ، التى كان يدعى أنه يتلقاها عن طريق الكشف والاطلاع على الغيب ، ولم يلبث القرشى أن مات ، فبالغ أتباعه فى إكرام محمد نكايته فى الشريف ، فازداد بذلك شهرة . وقد ترك الشيخ القرشى وصية جاء فيها : « إن زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان ، وإن الذى يشيد على ضريحى قبة ويختن أولادى ، هو المهدي المنتظر ^(١) » فلما سمع محمد أحمد بذلك — وقد كان عائداً من سياحة أخرى يبيت فيها بذور دعوته — طار فرحاً وشيد القبة وختن أنجال الشيخ القرشى ، بعد أن أخذ اليهود والمواثيق على الناس بتصديقه فى دعواه قبل أن يصدع بها .

وكان السودان إذ ذاك يرزح تحت نير الحكم التركى العاظم المستبد ، الذى لم يُثبت قط صلاحيته فى أى بلد ابتلى به ، ولا غرو فالأتراك سلالة المغول ، يجمعهما المنصر الطوراني ، وهو عنصر تترى هدام ، إذا هبت موجة منه قضت على حضارات بأسرها ، وقد كان جباة الأموال فى السودان يلهبون ظهور الجاهير بالسياط ، ويستزفون ما عندهم من صباية مال أو بقية متاع ، فى شئء كثير من القسوة والوحشية ، مما هبط بالمستوى الاقتصادى فى البلاد إلى حد خطير أُنذر بالهبط والجذب والدمار والخراب ، وأشاع السخط والتذمر والاستياء فى نفوس الضحايا القاطنين . وقد استغل صاحبنا محمد أحمد هذا الحال لحسابه وصالحه ؛ فكان إذا ذُكر

(١) السودان بين يدي غردون وكثشن لإبراهيم فوزى - ص ١٤٤

بمجلسه الضيق الذي شمل السودانيين من ظلم الجبابة ، سارع بأسلوبه الجذاب وحديثه الشائق ، فنسب ذلك كله — بلباقة وبراعة — إلى فساد الزمن وضلال الناس عن سواء السبيل ، وحيدتهم عن الطريق القويم ، وأخذ يث في نفوس الناس أن الله سبحانه سيجعل لهم من بعد شدة فرجاً ، ومن بعد عسر يسراً ، على يد رجل صالح يبعثه الله تعالى ليصلح ما فسد ، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، هو المهدي المنتظر . . . وهكذا استطاع محمد أحمد أن يهد لدعوته وبهيمه النفوس لمهديته . ولقد بلغ من اهتمام الناس بحديث « المهدي » هذا ، أن صار سرهم في مجتمعاتهم ، وشغلهم الشاغل في حياتهم ، وأملهم المستقبل كلما ذكروا ما يقاسونه من ضيق وضنك وما يعانونه من عسف وجور .

ولقد حدث أن جاء أحد المشتغلين بالتنجيم وكتابة الأحجية من أهل « البقارة » واسمه عبد الله التعايشي ، وكان أمياً بئساً بئساً من حياته ، جاء إلى المهدي وهو يشيد قبة شيخه القرشي « وحينا وقعت عينه عليه خرواً على الأرض مدعياً أنه أغنى عليه ، وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب إعجابه فقال : نظرت أنوار المهدي على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي . . . »^(١) وهكذا أكد التعايشي لمحمد أحمد أنه هو « المهدي » وحشّه على الظهور والجهر بالدعوى .

والحق أن التعايشي هذا ، كان قد برم بحرفته التي ورثها عن أمه أم نعيم وضاق بها ، وكانت تجول في نفسه مطامع كبيرة ، لا تستطيع هذه الحرفة الخفية المحدودة الموارد أن تلو به إليها ، فتقرب إلى محمد بهذا الحديث ، الذي صادف هوياً في النفس ، ولم يلبث صاحبنا بعد نجاحه في دعوته أن حفظ له هذه اليد الطولى في إشمال اللهب ، وذكرها له فقرّبه وأدناه ، وجعله أكبر خلفائه من بعده ، وأعطاه مرتبة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، فأثار هذا الصنيع سخط أتباعه ، حيث كان التعايشي من الجهل والأمية في درجة لا تسمح له بالوصول إلى هذه المرتبة ، فسكّر

من علمه إلا بما شاء » ، « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، « لا يسأل عما يفعل » ، « يخلق ما يشاء ويختار » ، « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

« وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم ، علم المهدي كعلم الساعة ، والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله ، وقال الشيخ أحمد بن إدريس : كذبت في المهدي أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله (١) ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينسكرونه .

« وهذا لا يخفى عليكم أن التأليفات الواردة في المهدي ، منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك ، فيختلف كل منها ، كما علمت من أنه يمحو الله ما يشاء (الآية) ومنها الأحاديث ، فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع ، بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضاً ، كما أن الآيات تنسخها الآيات ، وحقيقة ذلك على ما هي عليه ، لا يعرفها إلا أهل المشاهدة والبصائر .

« هذا وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله — كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات — ١٠٠٠ وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهديّة الخ ، فقد أخبرني به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة في حال الصحة ، وأنا خالٍ من الموانع الشرعية ، لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصف بصفات العقل ، أقفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه . . . ١١

« والمهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً رسنة ؛ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من فرّ بدبنة من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة ، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهم الصلاة والسلام » ، وإلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، أما بعد :
فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وآلا بشرك به أحداً ،
ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نأتى بهتان ، ولا نمصيك فى معروف . بايعناك على زهد
الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله والدار الآخرة ، وعلى ألا نفر من الجهاد »^(١) .
وهكذا ابتداءً ذلك الصراع الدموى الطويل بين المهدي والحكومة ، كان صاحبنا
يخرج منه دائماً أصلب عوداً وأصعب مكسراً وأكثر نفراً ، بما يجرزه فيه من نصر
مبين ، وقد أخفقت الحكومة فى مقاومته ، وخسرت فى هذا المعترك كثيراً من رجالها .
وبمقتل « هيكس » والقضاء على حملته ، أخلت الحكومة المصرية السودان بمشورة
انجلترا ، وأصدرت بذلك قراراً بتاريخ ٨ يناير عام ١٨٨٤ ، ولم يجد المهدي بعد ذلك
مقاومة تذكر ، ففتح الخرطوم وقتل غردون ودان له السودان بالطاعة ، فذبت فيه
الحياة بعد موت ، وأخصب بعد جذب ، وأورق بعد أن صوّح .

وقد طمع المهدي بعد ذلك فى فتح مصر ، فبعث بإنذارين أحدهما إلى الخديو
توفيق والآخر إلى المصريين ؛ فكتب إلى توفيق يعده ويتوعده ، ويسجل عليه
خضوعه المشين للإنجليز ويمد له يده للتعاون على إخراجهم من وادى النيل ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد :

« فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى خديو مصر :

« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره أن الدين الذى يكون المتمسك
به ناجياً عند الله هو دين الإسلام ، الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
ونزل به القرآن من الملك العلام ؛ قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقال
تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

(١) تاريخ مصر الحديث لمرجى زيدان > ٢ ص ٢٨٣ الطبعة الثانية .

الأكوان ، قت بأعباء هذه الحالة ، واعتصمت بالله وتوكلت عليه ، وأخبرت الحسكدارية بأنى المهدي المنتظر ، وقد كان بها محمد رءوف ، وما تركت لأهلها فى إيضاح هذا الأمر شيئاً ، وأنا فى انتظار الاختبار ، وتسليم الأمر لله الواحد القهار .
« فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً ، وطوؤوا عن قبوله كشكاً ، وبادرونى بالحاربة من غير روية ولا تثبت فى هذا الأمر الدينى الذى جئتهم به من خير البرية ، فأيدنى الله عليهم كما وعدنى .

« وهكذا صارت جيوشك تأتبنى ثلثة بعد ثلثة ، وأقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم ، والله يؤيدنى وينصرنى عليهم كما وعدنى ، ويقطع دابرهم ، إلى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك ، فسلت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الأنكليز ، وأحلت لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، نجاء الإنكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله ، فلما سؤل الشيطان لهم إدراك غردونهم بالخرطوم ، وأبست من هداية أهله ، وعلمت أن تكرار الإنذارات لا ينفعهم ، وحققت عليهم كلمة العذاب ، وصاروا مثل من قال الله تعالى فى شأنهم : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » الآية ، عجل الله بفتحهم وإهلاك من فيه ، وأحرقت النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم إظهاراً للحقيقة وتعجيلاً للعقوبة ، وصدق عليهم قوله تعالى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية .

« ثم أنذرت الإنكليز فلووا رءوسهم ، فوجهت إليهم طائفة من الأنصار ، فخذف الله فى قلوبهم الرعب فولوا هاربين ، بعد أن أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم ، وهذا كله ليس بخاف عليك ، ولا زال حزب الله مقتفياً أثر باقيهم ، وعن قريب يحل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر .

« هذا . وإن المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع مافى الحياة الدنيا من القانيات قيمة ، ولا يأسف على ما فات من ملكها الذى ماله إلى الزوال وعظيم النكال ، وإنما يكون مطمئح نظره إلى ما عند الله من النوال فى دار الكرامة والإفضال ؛ فإن الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر .

« ومن هنا تعلم أن هذا الملك لم يصل إليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك ، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك ، وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك ، إن كنت ترجو من الله نعيم الأبد ، أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ، ولو كان الدنيا بحذافيرها . فدقق النظر وأجمع عليك فكرك ، وتدارك نفسك ، واسع فيما ينبغيك عند ربك إذا تمثلت بين يديه ، وسألك عما جرى منك ، وسلم الأمر إليه تسلم .

« وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله ، وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أفلم تسمع قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئ وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الآية ؟

« وما هذه الطاعة لأعداء الله ؟ والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » إلى أن قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » الآية ؟

« فإذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته ، فاعتبر بذلك وبادر إلى النجاة والسلامة المعتبرة وهي سلامة الإيمان ، وزد نفسك عن أن تكون في أسر أعداء الله دائماً ، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واغسل ما جرى منك بدموع الندم ، ولا تكثرت بجاه الدنيا الغفاني ولا بملكها الزائل فإن لله داراً خيراً منها ، وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله ؛ قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » الآية .

« وإياك والركون إلى أقوال علماء السوء الذين أسكركم حب الجاه والمال ، حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما هلكوا من قبلك ؛ ففي الحديث القدسي : « لا نسأل عنى عالمًا أسكرك حب الدنيا فيصدقك عن طريق ، أو أهلك قطاع الطريق على عبادي » ، ولا تغتر بقوة حصن بلدك ، وكثرة أسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك ، فإنها لا تغني عنك من الله شيئًا ، وكل هلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه ، من هو أشد منك قوة وأكثر جمعًا لما بقوا وعثوا في الأرض مفسدين .

« وليكن في علمك أن أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ، ونور من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤيد من عند الله بجنود ظاهرة وباطنية ، وما قصدنا فيه إلا إحياء الدين ، وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ، ولا نريد مع ذلك ملكًا ولا جاهًا ولا مالًا ، فإن نور الله بصيرتك وخالفت النفس الأماره بالسوء ، وقبلك هديتنا وأنتب إلى الله بنية خالصة ، فملك أمان الله ورسوله وأماننا ، وما بيننا وبينك إلا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ، وتكون نحن الجميع يدًا واحدة على إقامة الدين ، وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم إن لم ينيبوا إلى الله ويسلموا .

« وقد حررت إليك هذا الكتاب ، وأنا بالخرطوم ، شفقة عليك ، وحرصًا على هدايتك فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ، وبذلك على صلاحك ورشادك في الدارين . وها أنا قادم إلى جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى ، فإن أمر السودان قد انتهى ، فإن بادرتني بالتسليم لأمر المهدي ، والإنابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية ، وأمنت على نفسك ومالك وعرضك ، أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة .

ياذن الله من وقوعكم في قبضتنا ولوانتخذتم نفقاً في الأرض أو ساءلك في السماء وستعملون غداً من الكذاب ؟ .

« فيا عباد الله : ارققوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة أمركم ، ودعوا هذا الإعراض ، والتلاهي بشهوات الدنيا المنفصلة بالعلل والأمراض ، وتشوقوا للاقاء الله ، فإن الدار آخرة والحياة آخرة . وهذه الدار قد ولت مدبره ، فاتخذوها معبره .

« ويحكم ويحكم إن لم تتداركوا نفوسكم وتشلواها من هذا الوجل ، المفضى بكم إلى العطل ، وإياكم أن تغتروا بقوة حصن بلدكم ، فإن الله أقدر من كل قادر ، وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعه من هو أشد منكم قوة وأكثراً جمعاً فاعتبروا بهم ، وبما فعله الله بهم ، لما بغوا وعثوا في الأرض مفسدين ، فآله الله عباد الله ، هلموا إلى النجاة والفلاح ، قبل قص الجناح .

« وهذا ما حبرته إليكم وأنذرتكم به ، ولاداعي إلى التطويل ، فإن الهداية من الله الجليل ، أسأل الله أن يلمكم رشادكم ، ويأخذ بنواصيكم إلى طريق سدادكم ، هذا والسلام^(١) . »

بيد أن صاحبنا المهدي محمد أحمد لم يعمر طويلاً ليحقق ما كان يصبو إليه ، ولقد حاول خلفه التتابعي تحقيق بعض هذه الأهداف ، فأغار بدراو يشه على حدود مصر ، ولكنه هُزم فقفل راجعاً .

وقد خرج محمد أحمد المهدي في تعاليمه الدينية على ما قاله الفقهاء ، وكان له تشريع خاص به من اجتهاده ووضعه ، يطبقه بمنتهى الشدة والصرامة ، وقد أثار خروجه على المذاهب الفقهية المعروفة في الإسلام سخط بعض العلماء ، فقابلوه أهدم وقال له : « معلوم أن المذاهب هي أربعة : الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي . فما هو مذهب المهدي ؟ فقال له : هؤلاء الأئمة جزاهم الله فقد درجوا الناس ووصلوهم

(١) السودان بين يدي غردون وكنتشر ج ٢ ص ٥١

إلينا ، كمثل الراوية وصلت الماء من منهل إلى منهل ، حتى وصلت صاحبها للبحر
فجزاهم الله خيراً ، فهم رجال ونحن رجال ، ولو أدركونا لاتبعونا ، وإن مذهبنا هو
الكتاب والسنة والتوكل على الله ، وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأى المشايخ .. » .
وهكذا « أعلن المهدي إبطال تقليد الأئمة الأربعة وقال إنه مجتهد ،
وأخذ يكتب المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات ،
وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة ^(١)... » .

ومن تعاليم المهدي هذه التي كان يبسطها للناس ما تضمنه هذا المنشور الذي
أذاعه من الأبيض عام ١٣٠١ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد :
« فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إعلاماً منه ، إلى كافة المشايخ
في الدين ، والأمراء والنواب والمقاديم المذكورين :
« يا عباد الله : اسمعوا ما أقول لكم ، وكونوا على بصيرة ، واحذروا ربكم
واشكروه على النعمة التي خصكم بها ، وهي ظهورنا فهو شرف لكم على سائر الأمم .
« ولكن المطلوب منكم يا أحبائنا المهجرة في سبيل الله ، والمجاهدة
في سبيل الله ، والزهد في الدنيا ، وكل ما فيها فإلى البوار ، ولو كانت لها بال
لسان ربكم يحليها . وانظروا في أهلها الذين كانت في كل ما يطلبوه (كذا) ،
وصارت لهم — بعد ما كانت عسلاً — حنظلًا وُسْمًا ، وصاروا في غاية العذاب
والهلاك وشدة التعب والمشقة ، ولو كان فيها خير لما صاروا هكذا ، وبعد ذلك
فلهم العذاب الشديد .

« فإن عجبتكم هذا فافعلوا ، وإلا فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وجاهدوا
في سبيل الله ؛ فلهذه سيف مسلم في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة ، ووقفه

(١) السودان بين يدي غردون وكنتشر ج ١ ص ٩٢ وما بعدها .

في الجهاد على قدر فواق ناقة (يعنى حلبة ناقة) أفضل من عبادة سبعين سنة .
« وعلى النساء الجهاد في سبيل الله ، فمن صارت قاعدة وانقطع منها أرب الرجال
فلتجاهد يديها ورجليها ، والشبابه فليجاهدن نفوسهن ، ويسكنن بيوتهن ،
ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ولا يخرجن إلا لحاجة سريعة ، ولا يتكلمن
كلاماً جهرأ ، ولا يُسمعن الرجال أصواتهن إلا من وراء الحجاب ، ويقمن الصلاة ،
ويطعن أزواجهن ، ويسترن بثيابهن ؛ فمن قعدت كاشفة ، فاتحة رأسها ولولحظة
عين ، فتؤدب وتضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن تكلمت بفاحشة فعليها
ثمانون سوطاً .

« ومن قال لأخيه : يا كلب ، أو يا خنزير ، أو يا يهودى ، أو يا
أو يا فيضرب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة أيام .
« ومن قال : يا فاجر ، أو يا سارق ، أو يا . . . ، أو يا خائن ، أو يا ملعون
فعليه ثمانون سوطاً ، أو يا كافر ، أو يا نصراني ، أو يا . . . فعليه ثمانون سوطاً ،
ويحبس سبعة أيام .

« ومن تكلم مع أجنبية وليس بعاقدها ، ولا لأمر شرعى يجوز ذلك
الكلام فيضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن حلف بطلاق أو حرام يؤدب
سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الدخان يؤدب ثمانين ويحرق التباك إن كان عنده ، وكذلك
من خزنها في فمه ، ومن علما بأنه ، ومن أبقاها فيه يؤدب مثل ذلك ، ومن باعها
واشتراها ولم يستعملها يؤدب سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الخمر ولو مصّة إبرة فيؤدب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة أيام ،
وجاره إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين سوطاً
ويحبس سبعة أيام ، ومن ساعد شارب الخمر بشربة ماء أو إناء فيؤدب كذلك
ويحبس ، ويجاهد نفسه في طاعة الله حقيقة أشد من الجهاد بالأرماح ؛ لأن النفس

أشد من الكافر مقاتلة ؛ فالكافر تقاتله وتقتله وتسكون لك الراحة منه ،
وهي عدوة في صورة حبيب تقتلها صعب ، ومسلكتها تمب .

« ومن ترك الصلاة عدداً فهو عاصي الله ورسوله ؛ قيل : كافر ، وقيل :
يُقتل . وجازء إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين
سوطاً ويحبس سبعة أيام ، وقيل : أموالهم غنيمة .

« وبنتُ خمس سنين إن لم يسترها أهلها فيضربون من غير حبس ، ومن علم
بأمةٍ معها زوجٌ بغير عقد وصبر يوماً ؛ قيل : يُقتل ، وقيل : يُحبس وماله غنيمة .
« واعلموا أيها الأحباب أن خلافتكم وإمارتكم ونيابتكم عناً في الأحكام
والقضايا لأجل أن تشفقوا على الخلق وتزهدوا في الدنيا لتركوها ، وترغبوا
في الآخرة ليرغبوها ويطلبوها ، وتعلموا عداوة نفوسهم ليجذروا منها ، وتنصفوا
من أنفسكم إذا ادعوا عليكم فيها ، فما أشكل عليكم فأمروهم بالصبر لنساية
طلب الأمراء وجمعهم عندنا ، وبصير تخييرهم بحسب الحكم فيه من الله ورسوله ،
واعلموا يقيناً أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وكونوا عباد الله مع
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

« واعلموا أيها الأحباب أن القضايا التي كانت من اثني عشر رجب الماضي
عام ١٣٠٠ ببقعة « ماسة » ، قد صار رفعها مطلقاً ماعدا الأمانة والدين ومال
اليتم ، وأما التي بعد الاثني عشر رجب الماضي وقبل الفتوح ، تسمع فيه الدعاوى .
« وأما قتل النفس ففيه تفصيل في كونه مُحَيَّر (كذا) ولَّى المقتول في أخذ
الدية أو القصاص ، وأما بعد الفتوح بالنسبة إلى العهد فيتعين فيه القصاص لا غير .
« فاعملوا بذلك طبق المنشور ، وكذلك مال الخلع ؛ عموماً من الأرواج
بعد الدخول بهن والاستمتاع بهن والاستيلاء عليهن ، فلا يصح أخذهن منهن ،
فاحكموا فيه بالحكم الذي فضله الله تعالى في القرآن العظيم .
« واعلموا يا أحيائي ولا تخافوا ، وامثلوا الأمر وكونوا سامعين طائعين
لأمرى ، ولا تغيروا ولا تسكفروا النعمة التي من الله عليكم بها فقيدها بالشكر .

« وتزوج الفنية بعشرة ريال مجيدى أو أنقص ، والمزبة بخمسة ريال مجيدى أو أنقص ، ومن خالف هذا فعليه الأدب بالضرب والحبس في السجن حتى يشوب أو يموت في سجنه ، ومقطوع من أهل زمرتنا ، ونحن بريئون منه ، وهو برىء منا ، والسلام ^(١) » .

وقد ركز هذا الداعية مذهبه وتعاليمه في منشور كبير ، يعتبر بين أتباعه إنجيلاً للدعوة ودستوراً لها ، ولا يسعنا إلا أن نورد به نصه لقيمه وخطورته ، يقول المهدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد :

« فن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله ، إلى كافة الأحباب في الله :
« أيها الأحباب ، إن الأمر كله لله وإليه المرجع والمآب ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أجلسني على كرسي المهدي ، قد أمرني بجهاد الترك ، وقال لي إن الترك كافرون بل هم أشد الناس كفراً ونفاقاً ؛ لقوله تعالى : « يقولون بأسمائهم ما ليس في قلوبهم » ، وأنهم يسمعون في إطفاء نور الله تعالى ؛ لقوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله » ، بإهانة السنة النبوية واستضعاف الإسلام ، وقد أظهروا كتباً يريدون بها طفي نور الله تعالى ، ويسمونها كتب القانون مع شتم الإسلام وقهره .

« أما ترونهم يسحبونكم في الحديد والسلاسل لأجل أخذ أموالكم ، لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ، ويحملونكم المشاق القوية ؟ لا تتركوهم حتى يسلوكم الأسلحة والأموال ، فإن فعلوا ذلك فلا تسترقوا أولادهم ونساءهم ، بل أقرؤم على حالهم ، وهم إخوانكم في الدين ، وأحسنوا إليهم .

« وإن العمل كله للنية في الجهاد في سبيل الله ، كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر ؛ قال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » عوضاً عنها إذا قتلوا أو قاتلوا ؛ قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان ، ج ٢ ص ٢٨٥ الطبعة الثانية .

« وقال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : من أنكر مهديتك فقد كفر . ١
وإن أرواح الترك اشتكت إلى وقالوا يا إلها (؟) وخالفنا ، إن الإمام المهدي قتنا من
غير إنذار ، قلت يا إلهى أنذرهم وخافونى وصالوا على ، وسيد الوجود شاهد علينا ،
وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ذنبكم عليكم وأنكم خالفتم وصلتم فقتلتم . . . ١٠ ؟
« وإنى عبد مأمور بإظهار الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيا ، وقد أمرنى
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من خالفنى عدّ كافراً . . . ١ وأن الله قد غفر
ذنب من اتبعنى وقوّانى ، وقد أمرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن زواج
السبّ بخمسة ، والبكر بعشرة ريلات تخفيفاً لأمتة ، ومن نقص الصداق عن ذلك
فهو أقرب إلى من بياض العين إلى سوادها وإياكم والزوائد .

« فامنوا نساءكم عن النوح والتسنم وذبح الأموال سرقاً ، وأما كيفية الخافرين
والخاملين للنفس ، فلا بد من ماله ، إن كان له مال ، وإلا فن بيت مال المسلمين .
فن بكت أو سودت الباب أو ناحت أو حدثت على غير زوجها ، فتؤدب حتى
تظهر توبتها ، بالضرب والسخط بما يناسب لها .

« ونهيتكم عن التنبك الخبيث ، فن شر به منكم فليؤدب حتى يموت أو يتوب
« وإن الجهاد فرض ، فن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ، ولا تقبل صلاته
ولا صومه ولا صدقته ، بل أمره كله هدر ، فن تركه من غير عذر باين ، فحسكه
كذلك ، أطعموا طعامكم المجاهدين ، فن لم يأخذ البيعة من الأمراء أصحاب الرايات ،
الذين يخرجون من عندنا لأجل الجهاد ، فهو منافق ملعون .

« فأما العالم التابع لى فى مهديتى ، فهو كالنبي المرسل . . . ١ ، والعامى التابع لى
كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى . . . ١ ، والعالم المخالف لى كفرعون ، والعامى
المخالف لى كهامان . . . ١

« ومن علامة مهديتى أن النار تخرج من ثقب السلاح ، أى يخرج دخاناً . . . ١
وأن الله قوّانى بالملائكة السكرام ، وعزرائيل حامل لواء نصرتى ، وأن الخضر
وسيد الوجود والأولياء ، من عهد أبينا آدم إلى هنا ، معى . . . ١ ومؤمن الجن كذلك معى .

« وقد أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا الأحراز ساعة الملاقاة ، كون الجان تنفر منه (؟) ، وأمرني بأن أتوكل على الله ، كيف يهتم العبد بالرزق حيث ضمن الله رزقه ؟ لقوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » وقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » ، كيف يرتقى العبد من الأمراض ؟ كونه هو الفاعل ، والتوكل أولى ، وكيف يصح للعبد أن يسوء في بساط الخيرات ؟ لأن الفاعل يفعل والمفعول يدفع ؛ لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

« ومن سرق منكم سرقة ، قلّ أو كثر ، فاقطعوا يده ، لأنه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بمس الشيطان ، لا بارك الله في ولي تركه أو أمير استعان به .

« وكذلك الزاني ، يُرجم إذا كان محصناً ، ويُجلد البكر ، وأما المرأة فإذا دخلت بالأجنبي ، الذي يخشى عليها منه ، فيؤذبان بالاجتهاد ؛ لأن الشاب والشابة إذا تلاقيا ، يكون الشيطان دليلهما ، فلا بأس بمقاضاة الحاجات بحضرة واسطة من الناس .

« ومن ترك الصلاة أو تهاون بها ، قتل حدّاً في ضرورة ، وأما من تعدى منكم على أخيه بيسط لسانه في عرضه أو ماله ، فهو ليس مني وأنا لست منه ، وإن ادّعيتم أنكم أتباعي ولم تفعلوا فعلى ، فإنسكم منافقون ؛ لقوله تعالى : « يقولون بالستهم ما ليس في قلوبهم » ، فإذا لم تتحابوا كالأخوين من الأبوين فليس أنتم أتباعي .

« ومن ستر على سرقة رآها ، أو شرب خمر ، أو زنى ، فكتمه رافة عليهم ، فهو كالفاعل ، ومن تخلف عن الجهاد ، بصحة جسم ، لا بارك الله فيه ، وإذا أخذتم ذنب الأبقار والأغنام والإبل والزرع وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم .

« اتركوا الترفهات وفرأى الريف ؛ لأن موت النفوس حياتها ، ولبسوا الجيب المرقعات ، ولبسوا نساءكم الثياب الخلقة ، وإن أمرى منهم ، لا يعرفه إلا أصحاب الحضرة ، الذين يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » .

« أما ترون الترك ، لهم الأسلحة النارية والقوة العديدة ، قد هلكوا وأورثكم الله أرضهم وديارهم ، هذا حصل لهم بمصية الله ، كذلك إذا عصيت الله يحصل لكم مثلهم ؛ لقوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وأفضل الخلق من اتقاه بأموراته ونهى نفسه عن منهياته ، وإن الشخص إذا أخذ البيعة وعاد إلى فعله الخبيث ، فهو كالمترد .

« ويقول الإنسان إذا الليل أظلم بجناحه : الله القادر المقدر القاهر على كل جبار عنيد ، ناصر الحق حيث كان به الحول والقوة ، إن هى إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشأى هذا إليك ، لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتقاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفرلى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً إحدى وأربعين مرة فهو معى ومع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وإن عمله كعمل أهل السماوات والأرض . . . »

« ولا تجاوروا من ترك الجهاد ، أو فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً وسنة فاستعينوا عليه ، فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين إن استحل ذلك ، وإلا فيؤدب ، ولا تمنعوا الأراضى ، لأنها لا تملك بل هى محوزة لبيت مال المسلمين ، وأما الجهاد فإن استضافكم فأضيفوه ، وإن استغاث بكم فأعينوه .

« وأما أرباب الجاه الذين اتخذوهم أولياء ، إن نهوكم عن متابعتنا ، فإنهم كافرون ، لا تسمعوا لهم قولاً ، لأنهم ضالون مضلون ، بل هم أشد أهل النار ، وعلمهم كعمل الذين قال فيهم ربنا : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين » .

« وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : إن السعيد من اتبعك والشقي من خالفك .. وإني عبد ضعيف ، ليس لى طاقة على قوام أدنى شىء ، فضلاً عن ذلك الملك الجائر ، الذى غير السنة النبوية والكتب الأزلية ، وإني على بصيرة من الله وإعانة من

رسوله ، ومعى سيف النصر ، لا ينفع الشريف شرفه ، ولا العالم علمه ، ولا الوالى ولايته ، إلا باتباعى . . . والخير كله فى تسليمه الأمر . . .

« أيها الأحباب إى محمد بن عبد الله ، وأى حسنى من جهة أبيه وأمه ، وأى عباسية من جهة أبيها وأمتها ، حينئذ لا شك أنى من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . وأنى ولدت فى بحر النيل ، وهاجرت إلى ماسة ، فى أقصى الغرب ، بلصى جبل يقال له قدير ، لأنى موعود به ، فلا تلبسوا على أنفسكم بقول : ظهر نافى المشرق ، المعنى : أننا نظهر بالمشرق ويملاً الله لنا البلدان عدلاً ، كما ملئت جوراً ، ويدّر الله لنا الأرزاق درّاً ، ويفيض الماء فيضاً ، وتتأنس الذباب (يعنى بها السباع الضارية) فى الأنعام ، ويأمن كل مؤمن من سمّ الحية ، وهذا كله بعد وصولنا لبيت الله الحرام والبيعة الثانية هى الكبرى ، وتسمى بيعة الفوز والرضوان .

« اللهم اجعلنا وإخواننا المؤمنين على التقوى لقوله تعالى : « إن المتقين فى جنات وعيون » وقوله تعالى : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » وقال تعالى : « واتقونى يا أولى الألباب » وقال تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » وقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، والتقوى المذكورة لا توجد غاية إلا بالجهاد فى سبيل الله ، والعمل بالكتاب والسنة رأس المال والجهاد ثمنه ، ويجب على المجاهدين أتباعنا الذين يلهمون بالله فى جلّ أحوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير ، وإن أصحابى كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قاله لى بلفظه الشريف : إن أصحابك كأصحابى . . . !! ، فلما كان كذلك ينبى لنا أن نفتقئ أثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم ربنا : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون » ، وكن كذلك واحمل نفسك ودسها تحت أقدامك امل الله يعلوك .

« أيها الأحباب قد أمرتكم أن من ترك منكم عقيقة ابنه فليدهما ؛ لأن الروح

تشكى الى وتقول والذى لم يدعى ، فأعطى اسماً أدعى به ، فيقول الله لها سمى نفسك بنفسك ، وكذلك من لم يسمه أبوه فليسم نفسه ، ولو بعيد الشيب والمهرم ، فياحسرة أبٍ لم يسم ابنه .

« وكذلك نجب إعادة الزكاة لمصرطها ، والصوم والكفارة ، فنفحصوا عن الذنوب ، وإذا ضعف المجتهدون عن الجهاد ، أعينهم أيها القاعدون أولو الضرر بثلك مالكم ، واتقوا نفوسكم بالكم ولا تحزنوها ، فيها لكم ضرر وسوء حظ .

« وحكم النساء أن المرأة الناشئة لزوجها ، احبسوها في الأوكار والبيوت المظلمة ، حتى ترجع أو يتوفاه الله تعالى كالزانية ، فن ثبتت نفسها عن زوجها ، فأنلها غنيمة لزوجها ، وإن راضاها ، فأنلها غنيمة للمسلمين ، فإن فعلوا ذلك ، فلا تعودوم إن مرضوا ولا تشيعوا جنازهم ولا تمينوم عند الشدائد .

« ولا يجهل في مهديتى إلا شقى محروم الحظ وعادم الخير والإحسان ، واعلموا أن الوقت قد أُرِف ، وربما قام كالشمس تكون في أوكار غروبها ، وتجنبوا عن النساء والملاذات العديدة التى تورث صاحبها الكبر والبطر ، وجاهدوا في حق الله حق جهاده ، أيها الأحباب الناظرون لرضوان الله الواحد القهار وناصحو المؤمنين .

« وحب لأخيك المؤمن ، كما تحب لأخيك من أبويك ، وقدّم حب أخيك المؤمن على نفسك ، وذلك الوقت تكون صاحبتنا ، فإن لم تسكن كذلك ، بل أنت مغرور ، وقد حرّم الله عليك سيد الوجوه .

« وأموال الغنيمة وإن قلت كإبرة ، فإنه لا يدخل الجنة إلا من أخذها بقسمة أو شراء أو استحق شيء (كذا) من بيت مال المسلمين ، فإن من سرق منها ، لا يقبل عمله حتى يردّها أو قيمتها ، فن أعان مجاهداً بقلعة أو درهماً أو إناء شرب أو آلة حرب ، فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ، ومن ناصح مجاهداً فكأنما ناصح محمداً صلى الله عليه وسلم وأمن في الجنة .

« ليتعلم بعضكم من بعض ، وليتأدب بعضهم ببعض ، وليكسر طرفه لأخيه

المجاهد ، وألا يعلو عليه ، وأن يساويه في الفراش والأكل ، إلا الضرر البين ، وإن
الأمرء والعاميين ، فسكّتهم على حدّ سيوى ، إلا فى الأمر والنهى ، فليحبوهم ،
ولا يتفاضلون (كذا) عليهم فى المركب والملبس والأكل ، فمن فعل ذلك فهو
مردود منّا ، وقال الله فى الغنيمة المتقدمة : « وما كان لنبي أن يغلّ ومن يغلل
يأت بما غلّ يوم القيامة » فهذا العتاب - عدم نهب الغنيمة - للنبي وغيره
« فمن جاهد خوفاً على ماله أو عياله وجاهه ، فهو مخشور عند الله ، كالصدقة تخرج
الناس (؟) .

« أيها الأحباب كونوا ربانيين وفوضوا أمركم إلى الله ، فإن النصر لكم ،
وإن القتل الذى ترونه ، امتحاناً (كذا) لكم ، وليس يريد به تضييف المسلمين ،
وإن الله مع المؤمنين والسلام ^(١) » .

* * *

وقد كتب المهدي إلى « يوسف الشلالى ^(٢) » رسالة يدافع فيها عن مهادنته ،
قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله المنتقم القهار ، والصلاة على سيدنا محمد وآله الأخيار مع السلام وبعد :
« فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إلى يوسف حسن
الشلالى ، ومن معه من الجموع :

« وصل إلينا كتابك ، وصار معلوماً لدينا وقوفكم على الإنذار ، ومجاهرتكم
بالإنكار ، وكان قصدنا أن نضرب عن إفاذتك صفحا ، ونطوى دون إجابتك
كشحا ، ولسكن أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع .

(١) أنظر الفصل الخامس بالمهدي فى كتاب نعوّم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »
(٢) يوسف حسن الشلالى أحد القواد الذين أرسلتهم الحكومة لقتال المهدي عام ١٢٩٩ هـ ،
وكان جاهلا بالقانون العسكرية جهله بالقرامة والكتابه ، وقد أرسل يوسف هذا رسالة للمهدي
يدعوه فيها إلى الطاعة ويحذره من العصيان ، فرد عليه المهدي بخطابه هذا الذى أوردناه ، وكان
نصيب حملة الشلالى المزيمة والخذلان

« أما قولك : إن إرسال الطلائع ينافي دعوى المهديّة ؛ لأن علم الغيب ضرورى لها ، فنقول لك : هذا جهلٌ منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني وبلال والزبير بن العوام ، فلم يكن ذلك منافياً لرسالته صلى الله عليه وسلم فكيف يكون منافياً لمهديتنا ؟

« وقتلتم : إننا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً . فهذا كذبٌ صريح لأننا لم نقتل إلا أهل جبل الجرداة بعد أن كذبونا وحاربونا . وقد أخبرنى النبى صلى الله عليه وسلم بأن كل من شك فى مهديتى كافر ... ، ودمه مهدور ، وماله وأولاده غنيمة للمسلمين ! ولما انتقاد من بقى منهم لحكمتنا ، ردّنا عليهم أمولهم من أيدي أصحابنا مع أنها حلال لهم .

« وقتلتم : إننا قتلنا العساكر غدرًا فى الوقتين « آبا » و « راشد بك » وهو قول باطل ؛ لأننا ما بدأناهم بالقتال ، بل هم الذين بدؤونا بالقتال ، ولما اجتمعت أرواحهم فى الدار الآخرة شكّونى إلى الله عز وجل ، وقالوا : يا ربنا إن المهدي قتلنا بغير إذنار ، فقلت : يا ربى أنذرهم فلم يسمعوا لى ، واتبعوا ساداتهم وعلماءهم ، وشهد على صحة قولى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن المهدي أنذرکم فلم تسمعوا له ، واتبعت ساداتکم وعلماءکم فأضلّوكم السبيل ، وأمرهم فسيقوا إلى جهنم ... !

« وقتلتم : إن هؤلاء العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحرّبنا ، بل ليقفوا على ما عندنا من الأدلة ، وهو باطل أيضاً ؛ لأن الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الأغبياء وأعطتهم السلاح النارى ، بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن .

« وقولكم : قوموا وتوجهوا إلى مكة المكرمة محلّ المهديّة فنقول لكم : اعلموا أن توجهنا إليها يكون بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى يختاره الله ، فإننى عبثٌ مأمور وقد أجلسنى صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لى : أنت المهدي المنتظر ومن شك فىك فقد كفر . . . ! وقال لى : إن الترتك كفار وهم أشد الناس كفرًا ،

لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
« وقتلم : اطلبوا من الله إظهار كرامة تدل على مهادنتكم ، فاعلموا أننا لا نطلب ذلك لقوله تعالى : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، ومع ذلك فقد أظهر الله كرامة لمهديتنا ؛ حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الأشجار وبيض الدجاج ... ! ، ونحن لا نطلب من الله إظهار كرامة لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا . فإن أظهر لنا كرامات كانت بمشيئته والحكمة بعلمه سبحانه وتعالى ونجملها .

« وقتلم : ما اتبعنا غيرُ الجهلاء وأراذلُ البقارة ، فاعلم أن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا كذلك ، وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا » الآية . ولا بد أن يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة .
« وقتلم : لا تغتر بإسماعيل الأمين ، ونواى ، فاعلم أننا منصور على كل من ناوأنى من أهل الثقلين وقد أخبرنى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحضر بذاته الكريمة أمام جيشى ... ! وأن عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء أمام جيشى .
« وقتلم : إن أفندينا ولّى النعم أمركم بعدم محاربتنا حتى نتعدى الحدود ، وهذا قول لا يفوه به غير ضغفاء العقول ؛ لأننا تعدينا حدودكم ، وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم « بابا » وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطمعان ، والسيف والسنان ، والسلام على من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، ولعنة الله على من كذب وتولى ^(١) » .

وبعد سقوط الخرطوم انتقل المهدي إلى أمّ درمان ، وجعلها عاصمة مملكته ومقر حكمه ودانت له البلاد والعباد ، وبدأ السودان به صفحة جديدة من تاريخه .
وكان المهدي طويل القامة عريض المنسكين ، أقى الأنف عريض الجبهة واسع العينين أسودهما حاد البصر ، خفيف اللحية أسودها ، وعلى خديه آثار الأخاديد

(١) السودان بين يدي غردون وكثيثر لإبراهيم فوزى ج ١ ص ٨٦ وما بعدها

العرضية الثلاثة من كل جانب كسائر الدناقلة أبناء قبيلته ، وكان أسمر اللون قائمه ، قوى البنية مفتول الساعدين ، وفى أول قيامه بدعوته كان ربع القامة ، فأصبح فى أواخر أيامه سميكاً ضخماً الجثة عظيم المامة ، أسنانه كاللؤلؤ لا ينفك مبتسماً فنظروا بين فكه الأعلى فلجة تشبه الثمانية (٨) ، وهى عند السودانيين وبعض الشرقيين من علامات السعد ويقال لصاحبها أفلاج ، وكان يلبس جبة بيضاء قصيرة تراها دائماً نظيفة مطيبة برائحة خشب الصندل والمسك وعطر الورد ، وكان مشهوراً بين أتباعه بهذه الرائحة ، حتى نسبوا إليه فسموها « رائحة المهدي » ، وذكر بعضهم خطأً كان فى خذه ذكر هو أنه من علامات المهدي . . .

ولم يمتد بعد هذا بصاحبنا الأجل ، وفى ليلة الأربعاء لآل خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هـ ، أصيب بحمى التيفوس وذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثرثوا به ؛ لأنهم اتقون بما كان يعدم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر والشام والكوفة والحجاز .

وفى صبيحة يوم الجمعة عندما أحسّ بدبيب الموت يسرى فى عروقه ، استخلف من بعده صاحبه عبد الله التعايشى ، وأمره أن يخلفه فى صلاة الجمعة ، فقيل له : إن الخليفة عبد الله أمى لا يعرف الكتابة والقراءة فكيف يخطب الناس ؟ فقال لهم : ادفموا له ورقة الخطبة ومروه فليقرأ منها كلمتين أو كلمة ، فدفموا له الورقة وخطب الناس وصلى بهم ، وهم فى غاية العجب من جهله بالقراءة وتحريفه لألفاظ القرآن . . .

وفى يوم الأحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي ، فكان يرفع صوته مستغنياً قائلاً : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ، وكان يتجرد من ملابسه ويأمر بالماء البارد فيهرق على بدنه . وفى يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ هـ فاضت روحه ، وهو محاط بخلفائه ونسائه وبعض ذوى قرابته ، ثم احتفروا قبراً فى نفس الغرفة التى مات فيها ، وقالوا إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفن حيث قبض ، كما دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض .

وقد رثاه جماعة من أتباعه السودانيين الأدباء نظماً ونثراً ، ومنهم الأديب إبراهيم شريف الدولاى الكردفانى ، الذى رثاه بقصيدة ضافية قال فيها ^(١) :

كيف التثامُ فؤادى المفطورِ كيف التثامُ فؤادى المفطورِ
أم كيف ينفكُ الضنا عن مهجةٍ أم كيف ينفكُ الضنا عن مهجةٍ
أسفٌ على المهديّ من مهد الصبا أسفٌ على المهديّ من مهد الصبا
لا زال فى كنف العناية يعتدى لا زال فى كنف العناية يعتدى
حتى انتهى لقماته الأعلى الذى حتى انتهى لقماته الأعلى الذى
وأفامه المختارُ عنه خليفةً وأفامه المختارُ عنه خليفةً
فدعا إلى الدين الخفيف مجاهداً فدعا إلى الدين الخفيف مجاهداً
فتح الفتوحَ ودّر الكفار فى فتح الفتوحَ ودّر الكفار فى
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً
ومن انتمى لسواه أمسى حائراً ومن انتمى لسواه أمسى حائراً
هو مجمع البحرين بحر شريعةٍ هو مجمع البحرين بحر شريعةٍ
سرّ الوجود وترجمان الحضرة الـ سرّ الوجود وترجمان الحضرة الـ
والله أكرمه بطيب تحيةٍ والله أكرمه بطيب تحيةٍ
وتفيض بالجود الكثير يمينه وتفيض بالجود الكثير يمينه
لا يبتغى جاهاً ولا مالاً ولا لا يبتغى جاهاً ولا مالاً ولا
لما أبان لنا السبيل ولم يدع لما أبان لنا السبيل ولم يدع
والدين عزّ وأهله بلغوا إلى والدين عزّ وأهله بلغوا إلى
ناقت إلى الذات العلية روحه ناقت إلى الذات العلية روحه
فضى وأودع كلّ قلب حسرةً فضى وأودع كلّ قلب حسرةً
تبكى الساجد والمحارب فقدّه تبكى الساجد والمحارب فقدّه

(١) ارجع إلى كتاب نموم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

يا طيب أرضٍ ضمَّ جسمك تربها تزرى بعرف المسك والكافور
يا آكل بيت المصطفى صبراً وإن جلَّ المصاب وعزٌّ عن تصبير
صلىَّ الإله على ضريح ضمه أذكى صلاةً في السما وبكور
وبعد وفاته سرعان ما بويع التعايشي ولُقِّبَ بخليفة المهدي ، غير أن دولته لم تدم
طويلاً ؛ فقد عصفت بها الجنود المصرية والإنجليزية بقيادة « كشنر » الذي دخل
أم درمان ظافراً في ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ ، ففرَّ منها التعايشي واستمر مخفياً إلى أن
قُتل في موقعة بتارنج ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩ ، وانقرضت حكومة الدراويش
من السودان ودالت دولة المهدي ، ولم ينس « كشنر » — وهو الرجل المتحضر —
أن ينسف قبته وينبش قبره في بربرية وهجمة فيعثر عظامه ، ويبعث بجمجمته
إلى المتحف البريطاني بلندن انتقاماً لمقتل غردون .

هذا ولا يسعنا في ختام حديثنا عن المهدي إلا أن نشيد بالأعمال العظيمة التي
قام بها من أجل السودان ؛ في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ،
حتى ليمدَّ محمد أحمد — بحق — خير من ادَّعى المهديّة ؛ فلقد كان الرجل حريصاً
كل الحرص على تحرير بلاده من نير الاستعمار ، كما كان حريصاً على رفع مستواها
الاقتصادي والخلقي وبناء مجتمع إسلامي صالح في السودان ، قائم إلى حد كبير على
التعاليم التي أقامت المجتمع الإسلامي الأول ، ولقد وفق الرجل في كل ذلك توفيقاً كبيراً .
وإننا لندرجو للسودان اليوم أن يذكر هذه الأجداد ، التي تنادى أبناءه من وراء
حجب النيب ليدفعوا بالمستعمرين بعيداً عن البلاد ، ويعيدوا للسودان مجده وكرامته ،
ويعيشوا مع إخوانهم — في مصر — بدأ واحدة متحابين متحدّين على ضفاف النيل
الخالد ، الذي وحّدهم وجمع بينهم وآلف بين قلوبهم ، وجرى في عروقهم منذ القدم
حياةً ودماً .

البابية والبائية

النشيع في فارس :

ظهر النشيع في فارس متأخراً عنه في العراق والشام ، وهو يكاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيام دولة بنى العباس ، وإن وُجدت هناك بذور قديمة ترجع إلى عصر الخلفاء ، وتتصل بشخصية سلمان الفارسي ، الصحابي المعروف ، وتدور حول الحديث القائل : « سلمان من أهل البيت » .

ولكن هذه البذور من القلة والضعف بحيث لا يحق لنا أن نعتبرها مبدأ للنشيع في البلاد الفارسية .

والنشيع كذهب لم يأخذ صبغته العامة في تلك البلاد إلا في أواخر حياة الدولة الأموية ، أو أوائل المائة الثانية للهجرة ، وقد ازداد اتساعاً وانتشاراً بقيام الدولة العباسية ، التي مهدت لظهورها بالدعوة إلى « آل البيت » أو « الرضا من آل محمد » . وقد تقلص تبعاً لذلك ظلّ مذهب أهل السنة ، وأخذ الشعور القومي في البلاد يناصبه العداء ، الذي بلغ أوجه منذ قيام الدولة الصفوية ، التي حكمت البلاد من عام ١٥٠١ إلى عام ١٧٢١ ميلادية ، والتي عملت على توطيد المذهب الشيعي في فارس ، وجعلته مذهب الدولة الرسمي ، وحملت الناس على معاداة مذهب أهل السنة ومجافاته ، ولا شك أن العوامل التي أثمرت هذا الشقاق كانت سياسية أكثر منها دينية .

والشيعة في فارس اثنا عشرية^(١) ، بيد أنهم اختلفوا تحت هذا العنوان إلى طوائف ثلاث : « أخبارية » ، و « اجتهدية » ، و « شيخية » ، ولكل من هذه الطوائف آراء مبنية على مقتضيات الوسط الذي تعيش فيه ، والبيئة التي تسيطر عليها . فالأخبارية — كاسمها — تقبل جميع الأحاديث والآثار المنقولة عن الأنبياء

(١) راجع حديثنا عن هذه الفرقة ص ١٢٩ من كتابنا هذا .

والأئمة دون نقد أو تمحيص ؛ وبهذا يمكن أن تقبل هذه الفئة عقائد وتعاليم لم تكن ذات أصل قرآنى ، وإذا ورد فى الحديث — وهو البحر الخضم والميدان المتسع لكثير من المبادئ والمعتقدات الأجنبية — ما يوافق مشربها ، أصبحت هذه العقائد أسرع قبولاً ، وإذا أمكن وضع أحد هذه المعتقدات تحت اسم واحد من الأئمة ، كان ذلك مبرراً كافياً للأخذ به واعتناقه كمقيدة دينية دون نقاش ، مهما كان هذا المعتقد غريباً عن الإسلام ...

وإننا لنجد فى التعاليم التى يدينون بها ويكرهون الإسلام على قبولها ، بقايا من الديانات الفارسية القديمة ، وكثيراً من المعتقدات الساسانية .

وهم يذهبون فى حشر الأجساد مذهباً يخالف الظاهر من النصوص الإسلامية ؛ حيث لا يقولون برجعة الأجساد كما هى بعد الموت ، بل يقولون — كما قال بعض متكلمي الإسلام — إن البشر يُنشرون بأجساد أخرى غير تلك التى كانت لهم فى حياتهم الدنيا ، ويرون أن نعيم الأبرار وعذاب الفجار فى الآخرة ، كلاهما عقلى محض لا مادية فيه ، وإنما صُور فقط فى قالب مادى ، تقريباً إلى أذهان عرب الجزيرة البدائيين .

و« الأخبارية » تعتقد أنها أخلص الشيعة وأقرب الطوائف إلى مبادئ التشيع كما رسمها الأئمة ، وينتسب إلى هذه الفئة كثير من أهل الطبقة الوسطى من الشعب الفارسى .

أما « الاجتهادية » فتتخذ الأخبارية بعنف ، وتنكر عليها سرعة تهافت رجالها على النقل وسهولة تلقىهم للأخبار دون نقد أو تمحيص ، وتقول إن الخبر — لى يكون معمولاً بموجبه — يجب أن يستوفى شروط التمحيص المنصوص عليها فى كتب الأئمة .

والواقع أن « الاجتهاديين » لا يتساهلون فى هذا الموضوع من الوجهة النظرية ، أما من الوجهة العملية فنجدهم — بالعكس — يقبلون كثيراً من الروايات

عن معجزات الرسول السادية ، أو عما أسند إلى الأئمة من خرق قوانين الكون وسنن الطبيعة ، ولا يفكرون مطلقاً في نقدها أو تمحيص أسانيدھا أو حتى مجرد إثارة النزاع أو الشك فيها ، لأن قدسيتها تعلو بها عندهم فوق العقل وفوق النقاش ...

و « الاجتهاديون » - وليس لهم من اسمهم نصيب - يرفضون الكثير من مبادئ « الشيخية » - وهي الطائفة الثالثة من الشيعة الاثني عشرية في فارس ، وللعقل في تعاليمهم قدرٌ وحرمة - ويرون أن تحكيم العقل الإنساني في كل شيء منافي للإيمان ، ومفضي إلى تقويض أركان الدين

وينتسب إلى هذه الطائفة كثيرٌ من قضاة الدولة ومأموري الإدارة والطبقات التي تشغل بالحياة العملية ، أكثر من اشتغالها بالمسائل النظرية والبحوث الأكاديمية . أما الطائفة الثالثة وأعنى بها « الشيخية » فسنخصصها بدراسة أوسع لما لها من اتصال وثيق بموضوع كتابنا ، ولما لها من الأثر الكبير الفعال في نشوء « البابية » و « البهائية » في البلاد الفارسية .

الشيخية

حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى (١٧٤٤ م = ١١٥٧ هـ) . وُلد صاحب هذه الفرقة الشيخ أحمد الإحسائى ، المتكلم الشيعى الاثنا عشرى ، من أب يدعى الشيخ زين الدين الإحسائى ، أحد كبار مشايخ عشيرة بنى صخر ، التى يقال إنها من العشائر العربية الخالصة . وقد نزع الشيخ أحمد من موطنه الإحساء بالبحرين ، فى سن مبكرة واتجه صوب فارس ، طلباً للعلم وسمياً وراء المعرفة ، وأخذ يتقلب بين المدن التى كان يشعّ منها إذ ذاك نور العرفان ، فتتقل بين « يَزْد » و « كرمانشاه » و « تبريز » و « قزوین » ، بعقل متعطش يقظ وروح وثابة ، ولم تكف نفسه الظمأى بما نالت من قسط وافر من تعاليم الإسلام الشيعى الاثنى عشرى على كبار مشايخ الشيعة فى فارس ، بل حفزته على التوجه إلى العراق العربى ، لتروى من المنابع الصافية الأصلية للتشيع ، لاسيما « كربلاء » محط أنظار الشيعة وملتقى جوعهم .

ولما أتم « الشيخ » دراسته — وقد اكتمل عقله ونضج فكره — تصدر للتدريس ونجح نجاحاً كبيراً فى اجتذاب الناس إليه ، لما حبته به الطبيعة من فصاحة فى اللسان وسلامة فى التعبير وسلاسة فى الأسلوب ، وقلنج فى الحجة وقوة فى الجنان ، ومواهب شخصية ممتازة ، سرعان ما رفعت ذكره وأطارت صيته ، فأصبح ذا مقام ملحوظ وقد نُسب إليه مريدوه وتلامذته فعرفوا باسم « الشيخية » .

ومع أن « الشيخ » لم يخالف فى دروسه مبادئ التشيع الاثنى عشرى ، فقد أصرّ فقهاء العامة على مناصبته العداء ، واعتبروه مارقاً من الدين ، وذلك لما ارتآه فى مسألة معراج الرسول ومعاد البشر الجسمانيين ؛ فقد كان « الشيخ » عقلياً — إلى حد ما — فى تفكيره ، فأنكر جسمانية المعراج والمعاد — مقتفياً أثر الفيلسوف

الرئيس أبي علي ابن سينا فيما ذهب إليه في هذا الصدد — فقال : « إنه يستحيل على هذا البدن السفلى الصمودُ إلى الأفلاك . ومعراج الرسول معراج روحاني لا جسماني ^(١) » أى أنه كان رؤيا في المنام ، وهذا رأى على ضعفه لم ينفرد به ابن سينا بل هو موجود في الإسلام قال به كثيرون ، وينسب أيضاً إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما عن معاد الناس في الآخرة فيقول « الشيخ » : « إن هذا الجسم القرابي مؤلف من العناصر الأرضية ، فبعد الموت يتلانشى بالكلية لا محالة ، ولا يمكن أن تكون له رجعة أبداً ، أما القابل للدوام والحرى بالبقاء والنشر والحشر ، فهو هذا الروح الإلهي الذي هو من عالم المثال ^(٢) .

ومما أخذ عليه الفقهاء إنكاره لمعجزات الرسول المادية ، وادعاؤه أن حادثة انشقاق القمر — الواردة في القرآن في أسلوب صريح — لم تقع قط ، وإنما هي كناية لفظية عن أهوال اليوم الآخر

أما رأى « الشيخ » في « المهدي المنتظر » فقد كان خروجاً جريئاً حقاً ليس فقط على مبادئ التشيع الاثني عشرى ، بل على مبادئ التشيع عامة ، بقدر ما كان قريباً كل القرب مما يقوله العامة من فقهاء أهل السنة ، إذ ذهب إلى أن « المهدي » سيوجد بالولادة ، وليس شخصاً مخفياً عن الأنظار في بئر أو سرداب منذ ألف سنة . . .

وقد أثار عليه هذا القول الجديد الجريء ، غضب الشيعة الذين ينتظرون — وقد عيل صبرهم — خروج صاحب الزمان محمد بن الحسن العسكري من مخبئه ، بيد أن « الشيخ » لم يكتفِ ثلث لحظات الشيعة ولعناتهم ، وأخذ يبشر أتباعه بقرب ظهور المهدي وولادته ، ويحثهم على البحث عنه والترصد لبزوغ نجمه والالتفاف حول رايته ، ومن أقواله لهم في هذا الصدد : « إياكم أن يحول بينكم وبين الإيمان به أمرٌ

(١) السكواك الدرية في تاريخ ظهور الباية والبهائية ، لميرزا عبد الحسين آواره - ١

ص ٤٢ * الترجمة العربية * .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

من الأمور أيتاً كان عندما يبلغ مسامعكم نداؤه ^(١) . وقد أيقن تلامذته أن كلماته كانت عن طريق المكاشفة اليقينية التي لا يحوم حولها شك أو ريبه .

وقد خص « الشيخ » أئمة التشيع بهالة من القداسة البائنة حدّ العبادة ، ولم يشأ هنا — مع الأسف — أن يعمل عقله ، بل لفته في كساء غليظ ، وأسدل عليه ستائر سوداء كثيفة ، وتركه يغطّ في نوم عميق ، فرأى على أسلوب « الغنوصيين » أن الصفات الإلهية قد حلّت وتجلّت في أشخاص الأئمة ؛ فهم القوى الخالقة المسيطرة على الكون ، ولولاهم ما وُجدت العوالم ولا عُرفت ذات الله ، فارتفع « الشيخ » بالأسطورة الإمامية المعروفة إلى مدى بعيد .

يقول العلامة « هيار » Huart :

« ولنا نعرف مذهب الذي بسطه في كتبه على وجه كاف ، وإذا أخذنا بما قاله « براون » فإن الإحسائي يكون من الشيعة الحلووية الذين يعبدون عليّاً ^(٢) .

وقد زار « الشيخ » مكة المكرمة غير مرة في غضون حياته ، بقصد أداء فريضة الحج ، وفي المرة الأخيرة لمرحلتين بقيتا إلى المدينة المنورة ، صعدت روحه إلى خالقتها وكان ذلك يوم الأحد ٢١ من ذى القعدة عام ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٧ م ، فحمل رفقاؤه جسده معهم ، حيث دفنوه بيقيع الفرقد .

* * *

طالع الرشتي :

من تلامذة « الشيخ » المقرّبين ، وُلد عام ١٢٠٥ هـ من أسرة مشهورة بالتجارة والثراء ، ذات أصل عريق وخلق قويّ ، فدرج « كاظم » في كنفها ، وشبّ في حجرها نجيباً ذكياً ، ولما اكتمل واستوى لحق بالشيخ الإحسائي ، وانخرط في سلك تلامذته ، ولم تمض إلا أعوام قلّائل ، حتى بذّ « كاظم » جميع المريدين

(١) الكواكب الدرية ص ٦

(٢) أنظر مادة « الإحسائي » بدائرة المعارف الإسلامية « الترجمة العربية » مجلد ١ ص ٤٤٨

واكتسب قلب أستاذه « الشيخ » فال إليه وانعطف ، وأوصى له بالخلافة بعد مماته ، وما كادت المنية تحترم حياة « الإحسانى » ، حتى تربع « كاظم » على كرسي الخلافة تنفيذاً لوصية « الشيخ » ، وبذل الأنبايع والمريدون له كمال الطاعة والالتقاد .

وقد سار « الرشتى » على طريقة أستاذه وسننه ، واقتفى أثره بانتهاج منهجه ، وقد أربى عليه فى التبشير بقرب ظهور « المهدي » ، وأكبر الفطن أنه قد وقف حياته لخدمة هذا الغرض ، واتخذ له رسالة يحيا بها ويعمل لها ويدافع عنها ، ومما قاله لتلاميذه فى هذا الصدد :

« فى أواسط القرن الثالث عشر للإسلام أى سنة ١٢٦٠ هـ ينال العالم نعمة تأويل القرآن ، وتظهر وتتلأأ أسرار التنزيل وبواطن هذا السفر الجليل ^(١) .

وعند ما أخبر « الرشتى » تلامذته بقرب وفاته جزعوا جزعاً شديداً ، فالتفت إليهم قائلاً : « إن أوقات بقاى بهذه الدنيا قد انتهت ، وساعة الرحيل قد دنت ، فلماذا تحزنون من نبأ وفاتى ؟ ألا ترضون أن أذهب ، والحق يظهر ؟ ^(٢) . . »

وفى هذا السبيل أخذ « الرشتى » يتابع جهاده ليوذى رسالته العليا ، رسالة الإرشاد ولقت الأنظار إلى قرب ظهور « المهدي » الذى طالما انتظره الجميع قروناً عديدة فى ترقب ولهفة بالغين — حتى وافاه القضاء المحتوم عام ١٢٥٩ هـ = ١٨٤٣ م .

وهكذا يتضح لنا من تاريخ « الرشتى » وأستاذه « الشيخ الإحسانى » ، أو من دراسة « الشيخية » ، ما لها من الأثر الهام والمباشر فى قيام الدين الجديد ، أعنى الديانتين « البابية » و « البهائية » اللتين اعتمدتا فى ظهورهما على أسطورة « المهدي » .

(١) السكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية - ١ ص ٥٠ وما بعدها

(٢) المصدر السابق - ١ ص ٥١

البائية

في غرة المحرم عام ١٢٣٥ هـ وُلد بشيراز — المعروفة بدار العلوم — الشاب الورع السيد علي محمد الشيرازي ، من أسرة محترفة للتجارة ، ينتهي نسب أبيه « آغا سيد محمد رضى » ونسب أمّه « فاطمة بكم » — على ما يزعم الرواة — إلى عليّ بن أبي طالب . . . كبقية الرعيل السابق من الدعاة وقد توفى والده وهو صغير ، فكفله خاله « الحاج سيد علي » وضمّه إليه ، وقام بتربيته إلى أن بلغ أشده واستوى ، فاشتغل بتجارة أبيه

وقد ولع هذا الشاب منذ نعومة أظفاره بالانجاء الديني ، الذي انتهى به إلى حياة من النسك الصوفي ، والزهد الهندي والتقشف القاسي والتحمل « الرواق » ، حتى يُقال : إنه كان يقعد الساعات الطوال في الشمس الحارة ، حاسراً عن رأسه ، تظهراً لنفسه وكبحاً لجراح شهواتها — ولعله كان يحذو في ذلك حذو « ديوجينيس » — إلى غير ما يُروى عنه في هذا الصدد من ضروب التعبد الشاق .

تلقّى صاحبنا الشاب دروسه الأولى بمكتب « الشيخ عابد » أحد علماء شيراز المحترفين لمهنة تأديب النشء ، ثم توجه بعد ذلك إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين ، فخرج في طريقه على مجلس « الرشتي » وتردد عليه مرتين ويقال :

« إن الأستاذ السيد الرشتي مع تبحره في العلوم والمعارف ، وبلوغه العقد الخامس من العمر ، أدّى للشاب حين حضوره حلقة الدرس فائق التجارة والاحترام ، وقطع التدريس وحوّل أنظاره إلى حضرة الوارد ، ثم انبرى يشرح المسائل المتعلقة بظهور المنتظر . فبعد أن أعلن الشاب دعوته ، وسمع التلاميذ نداه ، تذكروا تلك المقدمات التمهيدية التي كان يزودهم بها الأستاذ السيد ، وفطنوا إلى أنها كانت موجهة إلى جنابه ، قائلين إن السيد كان مقصده إفهام التلاميذ ، أن هذا الوارد عليهم هو صاحب المقام ، ومنتظر وموعود الإسلام^(١) . »

(١) السكواك الدرية ١ ص ٦٨ وما بعدها .

وهكذا كان حضور صاحبنا مجلس « الرشتى » - بمحض المصادفة وهو في طريقه إلى كربلاء - من أهم العوامل التي ساعدت على نجاحه فيما بعد ، لما أوجده من أقاويل وإشارات وأساطير ، كانت له عوناً ونصيراً .

وأكبر الظن أن صاحبنا السيد علياً هذا ، لم يحظ بنصيب وافر من الدراسة والتتقيف ، فإذا استثنينا تلك المعلومات البدائية ، وتلك الدروس الضحلة البسيطة الأولية التي تلقاها بمكتب « الشيخ عابد » ، ومجلساً أو مجلسين في حلقة « الرشتى » - لا نظن أنه خرج منها بشيء ذي بال - فإننا لا نجد بعده درس كتاباً قط ، أو قرأ على أستاذ ما ، وقد وضع جهله وظهرت أميته المطبقة في أخطائه الكثيرة التي لا تقتصر في قواعد النحو الأولية ، وإن كان هو يسد هذا النقص ويموّء على أتباعه البله ، بزعمه أن كلام الله الذي يجري على لسانه لا يتقيد بقواعد اللغات البشرية !

ومهما يكن من شيء ، فقد عاد السيد عليّ بعد زيارته الخفيفة للأستاذ « كاظم الرشتى » إلى شيراز ، معتقداً أنه قد استكمل دراسته - مع أنه كان في حاجة شديدة إلى بدئها - وأخذ يحاضر في المساجد كأحد أتباع الطريقة « الشيخية » التي انتشرت عالمياً في البلاد ، وبهذا فقط نفسر نجاحه الفذّ في اجتذاب كثير من الطلاب الذين استموا إليه ، وقد زادهم به تعلقاً فصاحة في لسانه وانطلاق في بيانه .

وفي هذه الأثناء توفي السيد « كاظم الرشتى » بعد أن أكرّم من التبشير بقرب ظهور « المهدي » فرأت « الشيخية » أنها في حاجة بعد وفاته لشخص يلى رياستهم الزمنية ، فذهب عدد من رجالهم إلى مسجد الكوفة - حيث فيه ينتظر الكثيرون ظهور الإمام الثانى عشر - وهناك حبسوا أنفسهم وأخذوا في الصلاة والصيام ، تقريباً إلى الله ليوقعهم إلى رئيس زمنى جديد .

وهنا فكر الشيخ « حسين البشروئى » - من رجالهم ذوى النفوذ ، ومن تلامذة « الإحسانى » و « الرشتى » ، الذين يحظون بقسط وافر من التعظيم والاحترام -

في اختيار صاحبنا السيد على محمد ، أحد أتباع الطريقة رئيساً لها ، وقد كان أتبع له أن رآه بمجلس « الرشقي » وأعجب بزهده وتشفه فأحبه ومال إليه ، بيد أنه اعتزم اختباره بنفسه فارتحل إلى شيراز .

وفي اليوم الخامس من جادى الأول عام ١٢٦٠ هـ = ٢٣ مايو عام ١٨٤٤ م بينما كان الشيخ « البشروى » جالساً مع هذا الشاب يراقبه ويختبره ، إذ بادر هذا فأعلن له دعواه وبغته بها بغته ، وزعم أنه « المهدي » المنتظر ، ودعاه إلى الإيمان به ! فدهش الشيخ من جرأته وسقط في يده ، وإنه ليحدثنا فيقول :

« في تلك الليلة التي كاشفني فيها بسر أمره ، أخذت الحيرة مني كل مأخذ ، وطفقت أسائل نفسي قائلاً : ترى ماذا جرى لهذا السيد التي حتى اجتراً على دعوى عريضة كهذه ؟ ! قالواجب على أن ألقى عليه بعض المسائل المعضلة الغامضة ، حتى لا يجد مجالاً للسلام ، وإذا برجم أدراجه ويعود عما في خياله ، فخطابته قائلاً :

« أيها السيد : إن المقام الذي تدعيه حضرتكم هو مقام هائل خارج عن حد التصور ، ورتبة في منتهى الملوك والجلال ، وأقصى مراتب العزة والكمال ، فقبوله دون بينة وبرهان خارج عن حيز الاحتمال والإمكان ، فما هو برهانكم على صدق ادعائكم هذا المقام ، وحقيقة هذه الدعوى عظيمة الخطر والمقدار ؟ فأجابني قائلاً : إن طرق الوصول إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، فأى برهان تريدون وبأية حجة تقتنعون ؟ فأجبت قائلاً : بما أنى مطلع على الاصطلاحات العلمية ، وقد احتملت المشاق العديدة في سبيل تحصيل المعارف والعلوم ، فأراني في حاجة إلى دقائق علمية تفوق علوم الناس كافة ، وتسمو عن مدارك الأوائل والأواخر ، حتى يتسنى لي إدراك المقصد والمطلب ، وشرعت ألقى مسائل مشكلة علمية ودينية تباعاً على حضرتي ، فكان يجيبني عليها واحدة واحدة بأجوبة شافية وافية^(١) . »

(١) الكواكب الدرية ج ١ ص ٧٤ ، ولا يهرب عن بالنا أن « البشروى » روى لنا روايته هذه بعد الإيمان بمزاعم على محمد .

وكان من المسائل التي دار النقاش فيها مسألة قرب ظهور المهدي ، فسأل السيد علي الشيخ « البشروئي » عن علاماته وصفاته التي اختص بها ، فأخذ الشيخ يسرد عليه بعضاً منها وقال في ختام حديثه : « وأيضاً إنه يكتب تفسيراً لسورة يوسف » ، فسرعان ما التفت إليه السيد وناوله شرحاً لهذه السورة كان يجتنبه لحينه ، أسماء « أحسن القصص » . وتقول الرواية إن « البشروئي » عندما نظر في هذا التفسير ، خرج زمام الأمر من يده ، وأعلن فوراً أن السيد علي محمد هو حقاً « الباب » للاتصال بالإمام الغائب ، وأصبح هو أول مرديه ؛ فلقّب من أجل ذلك « باب الباب » ، ثم صدرت إليه أوامر مولاه الشاب بالارتحال عن شيراز ، والضرب في الأرض مبشراً بالدعوة الجديدة ، وداعياً لها ، فأخذ الرجل^(١) في التجوال في البلاد حتى دخل مدينة طهران ؛ حيث آمن على يديه الأخوان « بهاء الدين » و « صبح أرل » ، وإن لها في تاريخ هذا الدين لصفحات وصفحات أما سيده « الباب » فقد توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وألف أثناء رحلته إليها بعض رسائل ، يزعم أتباعه أنها من وحى الله ، ثم عاد بعدها إلى شيراز ليواصل جهاده في سبيل رسالته

وفي الخامس من جمادى الآخرة عام ١٢٦٠ هـ = ١١ يونيو عام ١٨٤٤ م أعلن صاحبنا السيد علي محمد التاجر الجاهل أنه « الباب » بمعنى أنه الوسيلة الموصلة إلى معرفة الحقيقة الإلهية ، وذلك بعد أن شهد له أصحابه — بسبب حماسته المتقدة — بأن العناية الإلهية قد اصطفتها لغاية سامية ، وكانت هذه الشهادة من إخوانه الملتهمين غيرة وحاسة ، إيماء قوياً ، أثر في عقل هذا الفريق في تأملاته وأفكاره ، وبعد أن أفرغ عليه الشيخ « حسين البشروئي » هذا اللقب .

وترجع هذه العكرة إلى أقدم أحاديث الشيعة التي تروى أن النبي قال : « أنا مدينة

(١) اشترك « البشروئي » بعد ذلك في الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في البلاد بين « البابية » والحكومة ، وكان بطل معارك قلعة « الطبرشي » وفيها لاقى مصرعه

المعلم وعلى بابها » .^(١) وقد كان هذا الحديث هو المخرج الوحيد الذي فسّر به السيد على محمد دعوته ، عندما عقد له مجتهدو الشيعة في « تبريز » مجلساً ، لمناقشته في دعواه التي اعتبروها زندقة وسروقاً من الدين .

أما لفظة « الباب » هذه فقد استعملها « الإسماعيلية » عنواناً على « الشيخ » أو « الأساس » ، الذي يعلّم الناس أسرار الدين ، أو الدعوة السريّة الإسماعيلية ، وكان سلمان الفارسي معروفاً بين « النصيرية » « بالباب » ؛ لأن أمر الدعوة كان معهوداً إليه بعد موت الرسول كما يزعمون واللفظة أيضاً كثيرة التداول عند الصوفية ، وعند بعض الفرق الباطنية تطلق على أركان الدعوة من الزعماء ، بمعنى أن هؤلاء الزعماء هم واسطة الدخول وسبب الوصول .

لم يتردد صاحبنا السيد على فاعتقد أنه يؤدي رسالة سامية فوق مستوى البشر ، وأن أداءها هو نتيجة حتمية ملازمة للتطور التاريخي للإسلام ، والنحقق الكامل لرسالته العالمية ، وبعد أن أعلن أنه « الباب » الذي يتوصل به إلى الإمام المستور « الذي يعدّ المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية » ، سرعان ما جال في روعه أنه أكبر من أن يكون واسطة للإمام الغائب لحسب ! وأن الله قد رفعه على هذا الإمام اقتصاداً في مراحل التطور الروحي ، واختصاراً لمراتب الهداية ؛ فاعتقد أنه « المهدي » الذي لابد من ظهوره لإصلاح الكون وتخليص بني الإنسان من المظالم والظلمين ونشر العدالة بين البشر . .

وهذه الدعوى المربضة من صاحبنا هذا ، واقتناع « الشيخية » بها ، وحرصهم على الذود عنها ، والدفاع عن مبادئها بالمال والدماء ، نستطيع فهمها وتفسيرها في سهولة ويسر ؛ فالشيخية جماعة من الشيعة الاثني عشرية ، انقادوا دون وعي للأضاليل والأباطيل التي اتقها لهم الشيخ « الإحسائي » وتلميذه « الرشتي » حول

ظهور « المهدي » القريب ، والتبشير بعده ، والحث على طاعته والإيمان به ، تلك الأقاويل التي شغلت أذهان « الشيخية » واستقرت فيها لا تريم ولا تبرج ؛ وكيف وقد عيل صبرهم ونفد ، من طول انتظار إمامهم المستور محمد بن الحسن العسكري ، وهو في غيبته الكبرى بعد أن مرَّ على انتهاء غيبته الصغرى ما يقرب من عشرة قرون ، و « الشيخية » في تأييدهم للسيد على يعلنون ابتداء دور آخر ، يمثل فيه الإمام المنتظر بشخص مرئي مشاهد وهو « الباب » .

ويلاحظ الدارس لتاريخ هذا الدين أن « الشيخية » لم تدن جميعها بمزاعم السيد على « الباب » ؛ فقد رفض الحاج محمد كريم خان السكرمانى الملقب بالأئيم ، هذه الدعوى وتابعه أشيعاء كثيرون .

يقول « الأئيم » إنه بالنظر لهذا الإثم العظيم والخطأ الكبير اللذين ارتكبهما السيد الباب بادعائه المهديّة ، قد وقع البداء في أمر ظهور المهدي وتأجل ميعاد قيامه ، ويجب ألاّ نتوقع بعد اليوم حدوث الظهور بسرعة ، وربما يمتد إلى ألف سنة أخرى^(١) . وأخذ « الأئيم » يصنف الكتب والرسائل في دحض مفتريات « الباب » ومزاعمه ، ومن جملتها « إرشاد العوام » و « رد الباب والبابية » .

والحاج محمد كريم خان هذا من شيوخ « الشيخية » ذوى النفوذ ، ومن أسرة كريمة ذات مكانة وفضل ، وكان الرجل عزيزاً في قومه ، بيد أنه كان دينياً متواضعاً فلقّب نفسه بالأئيم ، اعترافاً بذنوبه على سبيل الزلنى إلى الله ، وقد أكثر من إطلاق هذا اللقب على نفسه في مؤلفاته فيقول : « هكذا يقول العبد الأئيم كريم بن إبراهيم » إلى أمثال ذلك فاشتهر به ، غير أنه لسوء الحظ عندما أخذ الرجل يناهض « البابية » ويكثر من تنفيذ مزاعمها والتشنيع بمبادئها ، استغل خصومه « البهائيون » — فيما بعد — لقبه هذا الذى اختاره لنفسه تواضعاً ، وقلبوه ضدّه وصمّوه به على سبيل القدح والدم ، وقرنوه بالآيات القرآنية القائلة : « إن شجرة الزقوم طعام الأئيم كالهل

يقلى في البطون كغلى الحميم » ، « خذوه فملؤوه ثم الجحيم صلوه » ، « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

ومهما يكن من شيء فقد نجح الرجل في محاربة « البابية » ، وانقسمت « الشيخية » بذلك طائفتين : « الشيخية البابية » الذين آزرُوا « الباب » وجاروه في مزاعمه ، و « الشيخية السكرمانية » الذين أنكروا هذه المزاعم ، والتفوا حول صاحبهم السكرماني محمد عبد الكريم خان ، وهؤلاء مع رفضهم دعوى « الباب » يقولون بوجود وجود شخص كامل ، يتمكن من التوسط بين الإمام الغائب وشيعته ، ويجمعون على أن صاحبهم « الأئيم » محمد عبد الكريم كان يرى نفسه أنه هو ذلك الرجل الوسيط ، وأكبر الظن أن أتباعه أيضاً كانوا ينظرون إليه كذلك ...

ومهما يكن من دعوى هؤلاء وإنكارهم لما جاء به « الباب » ، فقد تمسكت « الشيخية البابية » بحقيقة أن السيد على محمد قد ظهر ، بعد أن مضى على غيبة الإمام الثاني عشر نحو ألف من السنين ، وتبعاً لأوهام الشيعة في هذا الانتظار ، فإن الإمام الثاني عشر سيظهر باسم « المهدي » الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، فتتحقق أمنيتهم التي طالما كانوا يحملون بها تحت سياط من الظلم تلهب ظهورهم ، وأسياف من العدوان تعمل في رقابهم ، من مختلف الحاكين في مختلف المصور

وتزعم « البابية » أن الحقيقة الروحانية المنبئة من الله ، قد حلت في شخص صاحبهم « الباب » حلولا مادياً جسمانياً ، وأن الأنبياء جميعاً من لدن آدم قد تجسدوا في شخصه الكريم ، واتخذوا منه سبيلاً للعودة إلى الدنيا من جديد ، وكان « الباب » يرى نفسه الممثل الحقيقي لهؤلاء الأنبياء والمعبر عن رسالتهم ، وترجع هذه العقيدة كما يقول الطيب الذكر سيد الباحثين العلامة « جولد زيهر » Goldziher^(١) — إلى « الفنوصية » — وقد جاءت بها الفرق المسيحية التي خرجت على الكنيسة قبل ظهور الإسلام .

(١) الفقيدة والعزيمة في الإسلام للعلامة « جولد زيهر » Goldziher ص ٢٤٣

وقد أعلن « الباب » غير مرة أن هذا التجلّي للروح الإلهي ، الذي تجسّد في شخصه لهداية البشر سوف يتجدد في المستقبل . وقد لاقى في سبيل تعاليمه هذه مقاومة عنيفة حادّة من فقهاء الشيعة ، فدعا أتباعه إلى بغضهم ، واتهمهم بالنفاق والتكالب على الدنيا ، وأظهر في دروسه ضدهم عناداً جريئاً ، ففسّر القرآن تفسيراً مجازياً حسب المعنى الباطني ، ولم يعن بفرائض الإسلام ، ولم يتمسك بقواعد الطهارة الإسلامية تمسكاً شديداً ، كما أوّل الجنة والنار وحساب الآخرة تأويلاً مخالفاً لما جاءت به شريعة القرآن ، بل سارع فأعلن في جرأة بطلان هذه الشريعة وانقضاء عهدا ودروس أحكامها . . . !

وأكبر الظن أن صاحبنا هذا كان ينشئ الانسلاخ من الديانة الإسلامية منذ عهد بعيد مبكر جداً ، ولكنه تريت إذ رأى الخروج على هذه الديانة في أول بدايته بدعوته ، هداماً لهذه الدعوة من أساسها ، وتقويضاً لأركانها وموتاً لما في نظامها ، فأرجأ ذلك إلى أن يصاب عوده ويتسع نفوذه ويكثر أتباعه ، ويتضح ذلك لنا جلياً من خطاب أرسله إلى خاله — الذي كفله وآمن به ، واستشهد في سبيله ب طهران — قد حَبَّرَه إليه عام ١٢٥٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها السيد « الرشقي » ، والتي تلاها مباشرة عامُ جهرة بدعوته ؛ يقول « الباب » في هذا الخطاب :

« أعلّموا الطلاب أن الأمر لم يصل إلى حدّ البلوغ بعد ، ولم يأت زمانه ؛ فلذلك أكون أنا وأجدادي الطاهرون غير راضين في الدنيا والآخرة ، عن ينسب إليّ غير ما أنا فيه من اتباع الفروع والمعتقدات الإسلامية ^(١) » .

والذي نستشفه من هذه الرسالة أن « الباب » همس برغبته في التخلص من الشريعة الإسلامية لبعض تلامذته ؛ أو أن هذا البعض رأى من أستاذه هذه الرغبة فأذاها ، ثم وجد « الباب » أن فيها خطراً كبيراً يكاد يقضي عليه وهو في نشأته ، فاستطاع الرجوع مرة أخرى إلى تعاليم الإسلام ، وكتب لخاله يتبرأ هو وأجداده

الطاهرون ، ممن ينسب إليه خروجاً على الإسلام ، وكبت رغبته في التخلص من هذا الدين إلى أن يأس من نفسه القوة ، وهامى القوة تواتيه ، وها هو يجاهر بانقضاء عهد الشريعة الإسلامية ويعلن — في غير مواربة وبرضى من أجداده الطاهرين — بطلان أحكامها . . . !!

حاول « الباب » بعد ذلك في تعاليمه ، الإصلاح الاجتماعى فطالب — لكي يتسم دينه بالعالمية — بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشرى ، ولكنه لم يأت في ذلك بمجديد خلقه ، بديلاً من قديم نقضه وأبطله ؛ فالإسلام يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه : « لأفضل لربى على عجمي إلا بالتقوى » ، وفي الإسلام : صهيب وعمار وبلال وسلمان في الميزان ، كآبى بكر وعمر وعلي وعثمان .

وكذلك نرى أن ما قدّمه « الباب » في أوجه الإصلاح النسوى ، لتحسين حال المرأة والأخذ بيدها ، وإلغائه لحجابها ليس جديداً أو غريباً على الدين الإسلامى ، الذى فرغ من ذلك كله على أحسن نظام وأكمله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

وما انتشرت تعاليم « الباب » التى تفترض انقراض الديانة الإسلامية حتى طار صواب الناس ، وفقدوا أترانهم وثاروا ساخطين حنقين ، وكثرت الأمور الحكومة الفارسية الإسلامية ، إذ بدت لها تعاليم « الباب » هذه على جانب كبير من الخطورة ، سواء من الناحية الدينية أو من الناحية السياسية ، فرأت أن تعالج الأمر أولاً بالحكمة ، فأكرهت « الباب » على الاعتكاف بشيراز ، وحظرت عليه اتصاله بأحد ، وأخذت من خاله على ذلك الموائيق والمهود . وفي هذه الأثناء احتاج « شيراز » وباء الهیضة (السكوليرا) فهاجر منها من استطاع إلى الهجرة سبيلاً ، ورأى حاكم المدينة أن ينجو بنفسه هو الآخر من هذا الوباء الفتاك ، واسكنه قبل أن يفادر شيراز « أمر « الباب » بالخروج منها والتوجه إلى أى بلد آخر شاء ، ليربح نفسه من عناء مراقبته ،

فامتثل « الباب » الأمر وأجابه بقوله : « لا مناص من الهجرة والسفر إلى بلاد آخر ؛ حيث كانت الهجرة ولم تزل إحدى سنن الأنبياء ، وقد قال السيد المسيح : لا حُرمة لنبي في وطنه ^(١) » ، وهكذا نرى « الباب » أخيراً — بعد دعاواه السابقة — يدعى النبوة ، ويدخل نفسه في عداد الأنبياء ويهاجر كهجرتهم!

ارتحل « الباب » ذلك النبي الجديد إلى أصفهان عام ١٢٦٢ هـ ، ومكث بها ستة شهور كان فيها موضع التبجيل والإكرام ، من حاكمها الطيب القلب معتمد الدولة « منوچهرخان » ؛ الذي كلاًه بعينه ورعايته ودفع عنه الأذى والعدوان ، وإن لم يذن برسالته ، ولسوء حظ « الباب » مات معتمد الدولة — هذا الحاكم المسموع الكلمة ، الخالص السريرة ، والمحبوب من البلاط الفارسي — في أواخر ربيع الأول عام ١٢٦٣ هـ ، وكان له ابن أخ يدعى « كركين خان » ينتظر وفاته بشيء كثير من الصبر ليُريث مملكته ، وكان في الوقت نفسه يعادى « البابية » ، فما إن مات عمه حتى سارع فوشى بالباب — في تقرير مطول — إلى وزير الدولة الأعظم « ميرزا أقاسى » — أكبر أعداء « الباب » — بطهران ، وقد تقرب « كركين » بوشايته هذه إلى الحكومة الفارسية ، علماً ترشحه لحكم أصفهان خلفاً لعمه « منوچهرخان » وقد تم له ما أراد ، وطلب منه الوزير القبض على « الباب » فوراً ؛ وإرساله إلى طهران فأجابه إلى ذلك ، ثم عدل بالباب — بأمر الوزير — إلى « تبريز » بأذربيجان ، حيث أبعد عنها مرة أخرى إلى « ماكو » وهناك سُجن بقلعتها ، وكانت مخصصة لسجن الخارجين على الدولة . وقد أخذ « الباب » في معتقله هذا يؤلف كتابه « البيان » ، الذي أودع فيه مجموعة تعاليمه ، وهو عند « البابيين » محل تقديس وإكبار . وبعد تسعة شهور من سجنه في « ماكو » نقل عام ١٢٦٤ هـ إلى قلعة « جهريق » .

اشتد أنصار « الباب » — بعد اعتقال صاحبهم — تفانياً في الإيمان برسالته ،

(١) السكواكب الدرية ج ١ ص ١٢١

وقاموا بدعاية حساسية واسعة لمذهبه في أنحاء البلاد ، فأمن بها بطهران على يد « باب الباب » — الشيخ حسين البشروئي ، أحد الأركان الهامة في هذه الحركة — الأخوان « ميرزا يحيى نوري » الملقب بعد ذلك « بصيُح أزل » وأخوه من أبيه الأوفر حظاً « ميرزا حسين على نوري » الملقب فيما بعد « بهاء الله » ، وهما فرعان من دوحة كريمة ، ولهما في تاريخ هذه الديانة تاريخ.

وفي قزوين أعلنت « قرّة العين » إيمانها بالمذهب « البابي » ، على إثر مراسلات بينها وبين « الباب » ، والاسم الأصلي لهذه الفتاة — ذات الشأن في تاريخ البابية — أم سلمى هانم ، ثم سُميت « زرين تاج » بمعنى التاج الذهبي ، لأن شعرها كان ذهبياً ، وهى كريمة « الملا صالح الباركانى » من أسرة معروفة بالعلم في قزوين ، وكانت الفتاة ذات ذكاء حاد وجمال بارع مشرق فتان ، وتُلت عام ١٢٣٠ أو ١٢٣١ هـ ، وطالعت كتب « الشيخة » ورغبت فيها ، وكان بينها وبين السيد « كاظم الرشتي » مكاتبات ، تسألها فيها عن بعض المسائل الغامضة ، وهو الذى لقبها « قرّة العين » ؛ قال العلامة « الأوسى » :

« القرّنية أصحاب امرأة اسمها (هند) ، وكنيتها أم سلمى ، ولقبها قرّة العين ، لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها ؛ إذ كانت من أصحابه ، وهى ممن قلّد (الباب) بعد موت الرشتي ، ثم خالفته في عدة أشياء : منها التكاليف ، فقيل إنها كانت تقول برفع التكاليف كلّها ، وأنا لم أحسن بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين ؛ وكمن بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه حجاب التقية ، فرأيت من الفضل ما لم أره في كثير من الرجال . وهى ذات عقل وأدب ، وفريدة حياء وصيانة ، وقد ذكرنا من المباحثات في غير هذا المقام ما إذا وقفت عليه تبين لك أن ليس في فضلها كلام . والذى تحقق عندي أن البابية والقرّنية طائفة واحدة ، وهم يزعمون انتهاء زمن التكليف بالصلوات الخمس ، وأن الوحي غير منقطع ؛ فقد يوحى للسكامل ، لا وحي تشريع ، بل وحي تعليم لما شرع من قبل ، ولنحو ذلك ،

وهو رأى بعض المتصوفة . وأخبرني بعض من خالطهم أنهم يوجبون على من نظر إلى أجنبية من غير قصد ، أن يتصدق بمئقال من الذهب ، وعلى من نظر إليها بقصد التصديق بمئقالين منه ، وأن منهم من يميح الليل بكاء وتضرعاً ، وأنهم يخالفون الاثنى عشرية ، ويكفرونهم ، ويرأون منهم . وهكذا حال هذه الفرقة مع كل من خالفها^(١) .

قال البحاث الفارسي « ميرزا عبد الحسين آواره » معقباً على قول الألوسي :
« وما لا ريب فيه أن ما زعمه هذا الفاضل (يعني الألوسي) عن تسمي قرّة العين بهند غير صحيح ؛ فإنه من المستبعد استعمال هذه التسمية بين الشيعة ، لا سيما بين أكابر العلماء منهم ، أضف إلى ذلك أن هذا التسمي لم يرد في كتاب ما غير كتابه ، ولم يسمع من أحد قط ، والمحتمل أن يكون الحادى به إلى هذا الزعم ، اعتباره كلمة « أم سلمى » كنية طبق القاعدة العربية المتبعة بين العرب ، فتوهم هذه التسمية ، وفاته أن كلمة « أم سلمى » كانت ولم تزل تُستعمل بمثابة الاسم في بلاد المعجم ؛ فيتضح من ذلك إذاً أن اسمها كان كما ذكرنا أى « أم سلمى » . نعم لقبها قرّة العين كما قال ، وأن السيد الرشتي لقبها بذلك . ونقول إنها لُقِّبت بعد ذلك بالظاهرة ، لقبها بذلك حضرة « الباب » ، وأهل البهاء يذكرونها في أكثر محادثاتهم بهذا اللقب الأخير^(٢) .

أخذت الدعوة « البابية » — كما قلنا — في الانتشار ، وكثر أتباعها وعظم شأنها ، حتى عُدَّ خطراً يهدد كيان الدولة الفارسية ، فأجمعت الحكومة على استئصال شأفة « البابين » ، وابتدأت سلسلة طويلة من المعارك الدموية ، والجازر البشرية بينها وبينهم ، وجىء بالباب من سجنه إلى « تبريز » ؛ حيث أُعدم رمياً بالرصاص

(١) السكواكب الدرية ج ١ ص ١١٥

(٢) المصدر السابق ص ١١٦

في ٢٨ شعبان عام ١٢٦٦ هـ = ٩ يوليو عام ١٨٥٠ م ، ومع أن الرمية الأولى أخطأته ، وعدّها أصحابه معجزة ، فقد أصابت منه الثانية مقتلاً ، ثم مُثِّلَ بجثته أشنع تمثيل ، وطُرح جسمانه في حفرة قلعة ، انتشله منها أتباعه سرّاً ، حيث قاموا بدفنه في طهران ، وقيل دفنه خليفته « بهاء الله » في عكّا ؛ وبهذه الخاتمة انتهت حياة النبي « على محمد » على أشبع صورة وأشنعها .

وقد تمعّبت الحكومة أتباعه في كل سهل وجبل ، وجدّوا في أثرهم ، فنشروا عقدهم شذر مذر في ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ = ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٢ م ، وأخرجوا الأخوين « صبيح أزل » و « بهاء الله » إلى بغداد ، ثم أرسلوا إلى « أدرة » باتفاق بين الدولتين العثمانية والفارسية ، ثم وقع الخلف بين الأخوين ، فنفت الحكومة التركية « بهاء الله » إلى قلعة عكّا و « صبيح أزل » إلى جزيرة قبرص . أما « قرّة العين » فقد أخرجوها قبل ذلك التاريخ إلى بغداد ، حيث نزلت في بعض منازل أعيانهم ومنهم العلامة « الألوسي » كما حدثنا هو بذلك ، بيد أن حكومة الأستانة لم ترض عن بقاء هذه المرأة في بغداد ، فأخرجتها ثانية إلى إيران .

وهكذا انقضى الدور الأول من دورى هذا الدين المحدث ، على أن الرواية لم تتم فصلاً ، فقد قام بالدور الثاني في هذه المسرحية البابي « بهاء الله » باسم جديد ، بل دين جديد هو « البهائية » . . .

البهاية

بعد مقتل « الباب » دبّ الشقاق بين صفوف « البابية » عنيماً صارخاً ، ويرجع ذلك إلى أن صاحبهم ترك — بعد أن لاقى حتفه — تلميذين أخوين ، كان قد اصطفاهما وخصهما لهداية البشر ، فأمن بكل واحد منهما فريق ، وأدعى أن صاحبه هو وحده المترجم الأمين لتعاليم « الباب » ، وقد النفّ الأقلون حول « صُبح أزل » المبعّد إلى جزيرة قبرص كما أسلفنا ، وكان هذا — لجسود في تفكيره — يرغب في إبقاء « البابية » على الصورة التي تركها عليها مؤسسها ، وأتباعه — تبعاً لذلك — هم « البابيون » المحافظون . أما الأكترون فقد انفوا حول أخيه من أبيه ، ذلك الرسول الآخر المبعّد إلى عكّاء « بهاء الله » .

وزعم أتباع « البهاء » أن « الباب » لم يصطف أحداً للقيادة غير صاحبهم ، وأنه أكثر من التصريح بذلك بله التلميح ، وقد وضع اسم « بهاء الله » في « البيان » وعبر عنه « بمن يظهره الله » ، وأمر الناس بطاعته والالتقياده ، بيد أن « الباب » وهو في محنته خاف أن تمتد يد السوء إلى مصطفىاه « بهاء الله » فأغفل أمره محافظة عليه ، وأعلن اصطفاه أخيه « صُبح أزل » ، الذي كان يعلم سوء دخلته وفساد طويته ، راجياً بذلك أن يظل أمر « البهاء » سرّاً مكتوماً ، فيسلم من الآذى وبشتهر أمر أخيه فيفضى عليه ، وبذا يفتدى « البهاء » صفيه الأوحد بأخيه الدعوى « صُبح أزل » .

وُلد « ميرزا حسين على نوري » الملقب بهاء الله ببجلة « نور » من أعمال « مازندران » في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨١٧ م ، وعند ما أعان « الباب » السيد على محدرساته ، وصدع بها عام ١٨٤٤ ، كان « بهاء الله » شاباً متمثلاً في السابعة والعشرين من سنّ عمره ، وقد آمن بالدعوة على يد أكبر دعاة وأعظم أساطيمها ، الشيخ الداعية حسين البشروئي « باب الباب » ، ثم التحق « بهاء الله » بالباب ،

وصار من أبرز تلامذته المخلصين ، وما زال معه يناضل ويكافح ، حتى فصلت الحكومة بينهما بفتكها بالباب ، ثم بنى « البهاء » إلى البلاد التركية ، ومنها إلى مدينة « عكا » .

ولما كان « الباب » قد أعلن غير مرة ، أن الروح الإلهية التي تجسدت في شخصه لمداية البشر سوف يتكرر تجسدها في المستقبل ، فقد رغب تلميذه الواسع المطامع — بعد عام ١٨٦٠ م إبّان إقامة « البابيين » المنفيين في أدرنة — أن يبادر فيسمى إلى تحقيق المرحلة الثانية في النظام الدورى التعاقبى ، فأعلن أنه « المظهر الأكل » الذى بشر به أستاذه ، والذى يقيس بواسطته الارتفاع بالرسالة إلى مرتبة أعلى من مراتب السكال . فعلى محمد « الباب » كان السابق الممهد لظهور « بهاء الله » ، الذى عادت الروح الإلهية للتجسد في شخصه ، لى تنجز على الوجه الأكل ، العمل الذى ابتدأه ومهد له الداعية على محمد المبعوث من قبله ، فبهاء الله أعظم درجة من « الباب » لأن « الباب » « قائم » ، أما « البهاء » فهو « القيوم » أى الذى يظل ويبقى ، وقد اعترف « الباب » نفسه بأن من سيخلفه سيكون أعظم منه ، وذلك في قوله : « إن الذى يجب أن يظهر في يوم من الأيام لمو أعظم من ذلك الذى سبق ظهوره ^(١) » .

وقد آثر « بهاء الله » أن يسمى باسم « مظهر الله » أو « منظر الله » ، الذى يُحتل في طاعته جمال الذات الإلهية ، وهو الصورة المنبعثة عن الجوهر الإلهى ، ومعرفة هذا الجوهر لا تتيسر أبداً إلّا عن طريقه هو ، وقد رأى فيه أتباعه « البهائيون » أنه كائن فوق مستوى البشر ، وأسبغوا عليه كثيراً من الصفات الإلهية . ولما احتدم النزاع بين « بهاء الله » وأخيه لأبيه « صبح أزل » أو بعبارة أخرى بين « البابيين » المحافظين « والبهائيين » ، حول مبادئ « الباب » وتطورها ، أو الوقوف عندها ، فرقت الحكومة التركية بين الأخوين ، فأخرجت « صبح أزل »

(١) العتيقة والقمريمة في الإسلام لجولدزيهر Goldziher ص ٢٤٤ من الترجمة العربية .

منفياً إلى قبرص ، و « بهاء الله » مُبعداً إلى عكا ، حيث استقرّ بها مقامه ، فألقى عصا
 ترحاله ، وأخذ يسطر قواعد ديانته الجديدة ، التي لم يعارض بها لحسب الشريعة
 الإسلامية^(١) ، وإنما عارض بها أيضاً الديانة « البابية البائية » أي البابين الجامدين ،
 الذين يناوئون الإصلاح ولا يريدون أن يتجاوزوا كتاب « البيان » . . .

وقد اعتبر « بهاء الله » نفسه مظهراً للروح الإلهية ، التي تجسدت في شخصه لإنقاذ
 كافة النوع الإنساني ، وتحقيق المساواة والإخاء بين البشر جميعاً ؛ فاعتبر رسالته
 عالمية ، وبعث بكتبه إلى مختلف الدول في العالمين القديم والجديد ، ودعا رؤساء
 الجمهوريات الأمريكية « ليستمعوا إلى سجع الحمام على أفنان الأبدية^(٢) » .

ولعلّ من الأسباب الفعالة القوية التي ساعدت « بهاء الله » على رفعة قدره ،
 وعلوّ شأنه بين أتباعه ، حتى بلغ عندهم مرتبة السكّان الإلهي ، ما امتاز به من
 مواهب التنبؤ بالغيب والقراءة الصادقة ، ويحدثنا الرواة أنه بعث لنا بليون الثالث
 رسالة ، تنبأ له فيها بسقوطه الداهم قبل هزيمة « سيدان » بأربع سنوات^(٣) ،
 وهكذا كانت أمثال هذه النبوءات ، التي يتاجر بها المشعبدون ، خير تمهيد عند
 أتباعه لقبول أباطيله وأراجيقه ، دون نقد أو تمحيص .

وقد حتّ « بهاء الله » أتباعه وتلاميذه على العناية بدراسة اللغات الأجنبية ،
 حتى يتهيأ لهم الاستعداد لبعث البعوث التي تقوم بالدعاية والتبشير لديانته العالمية ،
 هذه الديانة التي يرى فيها صاحبها أنها جذيرة بجمع شمل الإنسانية تحت لوأها .

وقد تحرّر النبي « بهاء الله » من كل القيود الدينية ؛ الإسلامية^(٤) منها
 أو الخاصة بالديانة « البابية » القديمة ، التي انسلخ منها وأوسعها تقدراً وتجريحاً ، بعد
 أن كان من أشد الناس تحمساً لها وانتصاراً لمبادئها ، وقد افترض صاحبنا أن الشريعة

(١) العقيدة والفرعية في الإسلام لجولد زيهر Goldziher س ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق س ٢٤٦ .

(٤) نفس المصدر .

الإسلامية قد نُسخت تماماً، وأن عهداً قد انقضى وباد ؛ فبطلت أحكامها وأصبحت تاريخاً من التاريخ ، فلحقت بذلك بالديانات البائدة^(١) . ، وهو في هذا يترسم خطاً أستاذ « الباب »

وقد جاءت ديانتها بطقوس وأوضاع جديدة للصلوات والعبادات ؛ فنسخت صلاة الجماعة بمراسمها الخاصة ، وأمرت الناس بالصلاة فرادى ، ولم تحتفظ بصلاة الجماعة إلا في الصلاة على الموتى ، على أن الصلاة نفسها تختلف في « البهائية » عنها في الإسلام اختلافاً جوهرياً في أقوالها وفي أفعالها ، وحتى في القبلة فقد حولتها « البهائية » من مكة إلى المكان الذي يقيم فيه « البهاء » - ذلك الذي جعله الله مظهراً من مظاهره - تدور معه حيثما دار وأبنا حل^(٢)

وقد عاجلت « البهائية » الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية ؛ فخرمت الحرب تحريماً قاطعاً إلا دفاعاً عن النفس ، كما منعت الرق منعاً باتاً ؛ لأنها تدعو إلى المساواة بين أفراد الجنس البشري ، وقد جعلت من هذه المساواة لباً نه ليمها ؛ فمنعت « بهاء الله » - فيما زعم أنه سورة أوحيت إليه سمها سورة الملوك - سلطان تركيا تعنيفاً شديداً ؛ لأنه فرق في الحقوق والامتيازات بين طوائف السكان^(٣)

وانجبت « البهائية » أيضاً نحو الصلّات الزوجية، فعملت على إصلاحها وتنظيمها، وهي التي سبق أن وجه « الباب » إليها الكثير من عنايته، ومثل « البهائية » الأعلى في هذا الصدد ، هو الاختصار على زوجة واحدة ، بيد أنها قد أباحت التزوج باثنتين في حالات خاصة مستثناة ، مع ملاحظة أن ذلك هو الحد الأقصى لتعدد الزوجات . وأقرت « البهائية » الطلاق ، ولكن في حدود الضرورات الإنسانية ، وهو يختلف في بعض صورته عما جاء في الشريعة الإسلامية^(٤) . وليس للوظائف السكهنوتية وجود

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٤٧

(٢) نفس المصدر .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٤) المصدر السابق

عند « البهائية » ، وكل معتنق لهذه الديانة العالمية — كما يزعم مبتدعوها — عليه أن يخصص نفسه لأداء عمل منتج نافع للمجتمع الإنساني كله .

ولا يشك لقيف من الباحثين في أن مبادئ « بهاء الله » الأخلاقية ، إنما هو صدق للمسيحية ، غير أنه يدعى نظاماً دينياً ، وفكرة ترجع في أصلها إلى انتظار رجوع الإمام الثاني عشر الشيعي محمد بن الحسن العسكري ، ويقول هؤلاء الباحثون : « ومهما كان مقدار ما أضافه بأسلوبه في اختيار الآراء المستحسنة لتوسيع تعاليمه ، فإن نفوذه يستند على ادعاءات « الباب » الذي وجد فرصته لظهور في اضطراب « الشيعة » في انتظار عودة الإمام الغائب » .

وقد أصبحت الحركة « البابية » منذ قيام « بهاء الله » هذا بدعونه لا تنسب إلى « الباب » ؛ فقد آثر الناس أحياناً أن يطلقوا على هذه الفرقة — التي تفرعت من مذهب السيد علي محمد الباب ، والتي انتشرت تعاليمها شيئاً فشيئاً ، حتى اكتسحت بنصف المذاهب الأخرى المنافسة لها — اسم « البهائية » ، وبه أيضاً سمى أتباعها ليمتازوا بذلك عن الحفنة الباقية من « البايين » المحفظين أتباع « صُبح أزل » المستمسكين — في جود — بكتابهم « البيان » معتبرين الخروج على تعاليمه قيد أمثلة ، خروجاً على ديانة « الباب » السماوية .

وقد توفي « بهاء الله » في ١٦ مايو عام ١٨٩٣ م ، وانتقلت بذلك رسالته إلى ولده وخليفته « عباس أفندي » الملقب « عبد البهاء » و « عُصْنِ أعظم — دون أن تلاق بهذا الانتقال معارضة تذكر ، وقد وسّع « عبد البهاء » في التعاليم التي ورثها عن أبيه ، وسعى تدريجياً في أن يوفق بينها وبين صور التفكير الغربي الحديث ، فاقتربت « البهائية » من هذا التفكير اقتراباً ملحوظاً ، كما سمى « عباس أفندي » للتحلل بقدر الإمكان من وطأه الخرافات الأسطورية وأضاليل الخوارق ، التي كانت لا تزال عالقاً بالمراتب الروحية السابقة ، إن لم يكن قد انبذها كلها جانباً وطرحها وراء ظهره لا يلوى على شيء . وكثيراً ما استعان بأسفار المهديين القديم

والجديد في تطعيم رسالة أبيه ، محاولاً بذلك أن يؤثر في نبات أوسع مدًى ، من تلك التي نشر فيها أبوه ديانته الجديدة .

وقد توفي « عبد البهاء عباس » بمدينة حيفا عام ١٩٢٢ م بعد عمر مديد ، إذ شاف الثمانين ، ويلوح أنه كان شخصية فذة قوية جذابة ، حتى لقد أنس به وأحبه ، الكثيرون ممن ليسوا على دينه ، وجزعوا لموته جزعاً كبيراً .

وقد انتشرت الديانة « البهائية » انتشاراً واسعاً في أوروبا وأمريكا ، لا سيما عند ما قام الدكتور « خير الله » — أحد أتباع « عبد البهاء » الممجين به ، للمتحمسين لديانته — بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٢ ، للإلقاء محاضرات تبشيرية للدعوة إلى هذا الدين ، فنجح في مهمته نجاحاً كبيراً ، واستطاع بذلك جذب الآلاف من الأمريكيين إلى حظيرة « البهائية » .

يقول سيد الباحثين العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« إن النزعة العالمية الواسعة التي انصفت بها البهائية ، قد جمعت حولها الأتباع والأنصار ، لا من مساجد المسلمين فحسب ، بل من كنائس النصارى وبيع اليهود ونيران المجوس »^(١) .

وهكذا ازداد أعوان هذا الدين وأتباعه ، وإن كان من العسير على الباحث إحصاؤهم ؛ ويرجع ذلك إلى تكتم « البهائيين » واصطناعهم التقية وعدم الجهر بمعتقداتهم ، المناقضة تماماً للديانة الإسلامية ، وادعائهم أن هذه الديانة قد انقرضت وبطلت أحكامها ، وأن بهائيتهم دين جديد ؛ مما أثار عليهم الرأي الإسلامي العام ، وحاربهم كبار رجاله كالسيد جمال الدين الأفغاني — ذى النزعة الفلسفية ، وباعث النهضة الحديثة في الشرق — فاضطر البهائيون إلى الانزواء ، واصطناع التقية ، وإحاطة دياناتهم بسياج من السرية والسكران ، إلا حيث يجدون منتفساً في البيئات التي لا تدين حكوماتها بالإسلام .

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٤٨

ونلاحظ أن بعض اليهود المتحمسين للبهائية ، قد بلغ بهم الأمر أن عكفوا على أسفار العهد القديم ، واستخرجوا منها بزعمهم ما ينبيء عن ظهور « بهاء الله » وولده « عباس » ، فحشروا « البهائية » في زمرة الأديان المنزلة ، المبشّر بها في الكتب السماوية المقدسة^(١) .

على أننا نلاحظ أيضاً — كما لاحظ غيرنا من الباحثين — أن كلمة « بهائي » في البلاد الفارسية في العصر الحاضر قد تحورت تحوراً كبيراً ؛ فهي لا تعطينا الاندماج في هذا الفرع الأخير من « البابية » فحسب ، بل تعطينا أيضاً معنى التحرر من الديانات جميعاً ، وأن الكثيرين ممن يلقبون بها ، ليسوا في الواقع إلا عقلوين ماديين لا يعترفون بدين ما^(٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٩

المهدية في الهند

الاسلام في الهند :

يقول العلامة الفرنسي المسيو « كورديه » Cordier : « إنه لم توجد ديانة من الديانات الكبرى ، لا الزرادشتية ، ولا البوذية ، ولا النصرانية ، انتشرت بسرعة انتشار ملة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فإنها بدون عتد امتدت في ثلاثة قرون من البراس إلى هملايا ، ومن قلب آسيا إلى قلب أفريقيا .

« ولم تكن أسباب سرعة هذا الانتشار سوى ضعف مملكتي بيزنطة وفارس ، وحماة العرب الفاتحة وفروسيتم الباهرة ، وسذاجة العقيدة التي نشروها ، ثم اختلاط الغالبين بالمغلوبين تولدت هذه الحضارة الإسلامية التي لمت لمعاناً شديداً ، بينما كان الغرب هائماً في الظلمات »^(١) .

وقد عرف تجار العرب المسلمون البلاد الهندية قبل فتحها باسم الإسلام ، وأكبر الظن أن هذا الدين الحنيف ، قد دخل هذه البلاد — أول ما دخل — على أيديهم كبشرين ثم افتتح المسلمون السند وجانباً من الهند في صدر الإسلام ، إلى أن اكمل الفتح ناصر الملة وعين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي حوالي عام ١٠٠١م فرسخت قدم الإسلام في الهند من بعده وخفقت ألويته ؛ وكان إسلاماً سنيّاً ، ثم ارتحل إليها التشيع أول ما ارتحل من فارس حوالي عام ١٥١٢ م ، والتشيع هناك يكاد يكون إسماعيلياً ، والإسماعيلية بأصولهم العربية والهندوسية ، يؤلفون شطراً كبيراً من الإسلام الهندي ، ويتزعمهم الثرى الإسماعيلي المعاصر « أغا خان » .

ونحن مدينون بمعرفتنا لحالة الإسلام في الهند ، لتلك البيانات الرائعة التي حدثنا بها العلامة الطيب الذكر « جولدزيهر » Goldziher في كتابه القيم الممتع حقاً :

(١) « حاضر العالم الإسلامي » : (تعليقات شكيب أرسلان) - ٢ - ص ٢٦١ الطبعة الثانية .

« العقيدة والشرعية في الإسلام » ، وهي حالة نستحق من الباحثين — كما يرى « جولد زيهر » بحق — عناية خاصة ، ودراسة مستقلة لما فيها من ظواهر فريدة لامتزاج الوثنية بالإسلام^(١) ، لا نسكاد نعتز عليها في أى قطر آخر من تلك الأفطار التي افتتحتها وغزاها هذا الدين الحنيف ، ولا بدع فالهند قارة متباينة الأجناس ، مختلفة اللغات ، تموج فيها أنواع شتى من الديانات ، ولا يكاد يربط بين ساكنيها رباط من جنس أو لغة أو عقيدة^(٢) .

يقول العلامة الأمريكي « لوثرروب ستودارد » Lothrop-Stoddard :

« الهند بلاد الغرائب والمتناقضات ، تشتمل على وحدة جغرافية طبيعية ، من حيث إنها لم يتألف فيها شيء من الوحدة السياسية في عصر من خاليات عصورها ، ولما كانت البلاد زاخرة بمختلف من الأقوام المتحددة من الأروم المتنازعة والعروق المتقاطعة في كل عصور التاريخ ، كان ذلك مذهباً حولها وقوتها فعبزت عن صدّ الفاتحين ، ولم تقو على الوقوف في وجه أهل الغلب والاجتياح ، الذين توالوا عليها دوراً بعد دور .

« وليس هذا بالأمر الغريب ، وأهل البلاد المتباينون عرقاً وأرومة ، لم يختلطوا بعضاً ببعض ، بل ظلوا منقسمين انقسامات لا تحصى ، يتعادون ويتنازعون وهم على ما لا نهاية له من الفوارق ، دماً ولغة وهذيباً وديناً^(٣) » .

والفتح الغزنوي لتلك القارة ، وإن كان بلا ريب قد استحدث شيئاً وأضاف للحضارة الهندية جديداً ، إلا أنه لم يستطع قط أن يغير أو يبدّل من الأشكال

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢٥١ وما بعدها .

(٢) انقسمت القارة الهندية أخيراً ، بعد جهاد طويل إلى مملكتين مستقلتين استقلالاً داخلياً ، وهما « هندستان » أو « الهند » الهندوسية ، و « باكستان » الإسلامية ، ويخضعان في سياستها الخارجية للسياسة البريطانية ، وقد انفردتا أخيراً بالاستقلال أيضاً في هذه السياسة ، حتى لقد جنحتا في بعض الأحيان للناحية المضادة للسياسة البريطانية ، مما جعل لها مكانة فريدة بين دول العالم ، وإن كانت الاضطرابات والفتائل — مع الأسف الشديد — تسود بين المملكتين حول موضوع « كشمير » الذي لم يجد حلاً حتى الآن .

(٣) أنظر حاضر العالم الإسلامي : The New World of Islam « الترجمة العربية » ٤ ص ١٧٧ الطبعة الثانية .

المختلفة للديانات الهندية ، التي احتفظت بكامل كياناتها في المجتمع الهندي إبان الحكم الإسلامي . ومع أن الديانة الإسلامية قد استطاعت حقاً أن تفزوا هذا المجتمع الممكك المنحل ، وتصل من النجاح إلى حدّ انزواء « البراهمية » ، وإسلام الكثيرين من أتباعها ، إلا أننا نجد أن القرآن الكريم — وهذه ظاهرة ملحوسة — لم يحتل قط من نفوس هؤلاء المسلمين مركز « القيّدا »^(١) .

والباحث في علم الأديان المقارن — والهند مدرسة كبرى لذلك العلم — يستطيع بسهولة ويسر أن يضع يده على تلك الآثار البارزة ، التي حدثت نتيجة لتلقيح أديان القارة الهندية المختلطة للدين الإسلامي ، ذلك الدين الجديد الوافد إلى أراضيها من بعيد ؛ فهؤلاء البراهميون الذين خرجوا من « البرهمية » ليدخلوا حظيرة الشريعة الإسلامية أفواجاً وجماعات ، قد تقلوا معهم — دون شك — إلى حياتهم الإسلامية الجديدة الكثير من آرائهم ومبادئهم وتعاليمهم الاجتماعية والدينية ، كما قاموا في الوقت نفسه بتعديل بعض التعاليم السائدة في الإسلام ، تعديلاً يتفق وعقائدهم الهندية الماضية ؛ فتقديس الأولياء — المنتشر في بيئات العامة من المسلمين — رغم كونه ليس من الإسلام في شيء ، قد هيأ — مع الأسف — مجالاً كبيراً للشعائر الهندية الشعبية ، في أن تتسرب وتنساب إلى الدين الإسلامي فتفوز به بقوة ونجاح ، وقد تفاقم أثرها في هذا الدين شيئاً فشيئاً ، حتى أنتجت — ولا سيما في التشيع الهندي كما لاحظ ذلك بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher — ظواهر دينية فريدة تسترعى النظر ؛ فقد تحولت الآلهة الهندية القديمة إلى مجموعة من الأولياء ، وصبغت الأماكن المقدسة بالصبغة الإسلامية ، فامتزجت الديانات الوثنية بالإسلام ، حتى يرى الباحث أن العبادة الظاهرية المحضة لله الواحد ، والتلاوة السطحية للقرآن ، وانبعاث السنن الإسلامية دون نظر أو تفكير ، قد قامت بجانبها بصورة قوية صريحة عبادة الموتى والشياطين وغيرها من الأساطير الهندية القديمة^(٢) .

(١) العقيدة والفريضة في الإسلام ص ٢٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ .

ويقول الدكتور « نيتوس » :

« في بلاد كالهند نرى غالب المسلمين فيها من الطوائف الهندوكية الدنيا ، التي اعتنقت الإسلام إما رهبة من القوة الحربية ، أو رغبة في نوال أسرى جونه ، أو بدافع الإغراء . وإسلام هؤلاء كان بطبيعة الحال إسلاماً سطحياً ، فلم تصل روح هذا الدين قط إلى قلوبهم ، وإنا لنرى بين هؤلاء طوائف كبيرة متفرقة ، تمّ حياتها الدينية والاجتماعية في كل مناسبة تقريباً عن أصلها الهندوكي ، وهي مزيج غريب من القديم والجديد ، ولا نعجب من هذا كثيراً فجيوش المسلمين قد زحفت على البلاد موجة بعد موجة في فترات مختلفة ، واستمر ذلك قروناً ، وكان ضغط البيئة الوثنية على من اعتنقوا الإسلام كبيراً ، وقد قام بجانب هؤلاء المسلمين ، جيرانهم وأقاربهم الوثنيون فلا عجب أن تبقى عبادة الأوثان في القرى كما كانت ، وأن تبقى العقائد الوثنية قائمة ، وأن يظل القسس البراهمة يؤدون عملهم ، وأن تظل الأعياد الهندوكية مرعية . وليس موطن العجب في أن يتمسك الناس بهذه العقائد والعادات الموروثة ، بل العجب أنهم مع ذلك يدينون بالإسلام^(١) . »

وهذه الحالة المؤسفة حقاً في الإسلام الهندي ، قد آلمت الكثيرين من رجال الإسلام السنّي بالهند ، المتأثرين إلى حد كبير بالتعاليم الوهابية الصارمة ، فدفعتهم إلى العمل على تطهير الإسلام مما شابه من الشوائب ، والرجوع به إلى حالته الأولى النقية الخالصة مع الحيلولة دون تعلق المسلمين بالأولياء ، الذين ليسوا في الواقع سوى صورٍ منقولة عن آلهة الديانات الهندية .

وفي هذا المعترك قام الكثيرون من دعاة « المهديّة » في الهند ، بنشدون الإصلاح بدافع من غيرتهم الدينية ، ويطول بنا المقام لو تحدثنا عن هؤلاء الدعاة جميعاً ، فسنفصل دراستنا على اثنين منهم كانا أبعدهم خطراً ، وأعظمهم أثراً ، هما أحمد الباريلي وأحمد القادبانى .

(١) عن « وجهة الإسلام » بتصرف تعريب محمد عبد الحمادى أبى ريدة .

الباريلية

دفعت النزعة الوهابية في الهند حفيداً للحسن بن علي^(١)، هو السيد أحمد بن محمد الباريلي على القيام برسائله الإصلاحية، وأدعائه المهدية. وقد وُلد صاحبنا هذا بمدينة «بريلي» في غرة المحرم عام ١٢٠١هـ = ٢٤ أكتوبر عام ١٧٨٦ م، وتلقى دروسه الأولى بمدينة «لكهنؤ»، ثم حذاه تلمذته للعلم وشغفه به إلى التوجه إلى «دهلي» حيث درس عام ١٢٢٢هـ = ١٨٠٧ م على الشاه عبدالعزيز الصفوي، المتمتع إذ ذاك بنفوذ علمي واسع، وهو الابن الأكبر للصوفي الكبير الشاه ولي الله، الذي كان من أشد الناس تأسفاً على حالة الإسلام في الهند، وشوقاً إلى تطهيره من أدران الوثنية الهندية، حتى يقال إنه هو الذي أوحى إلى السيد أحمد الباريلي، بأن يقوم بدعوته بعد أن مال إليه وأنس منه الإخلاص للدين، وصدق العزيمة في الجهاد. وقد تمكن ذلك الصوفي الكبير من إقناع الشاب — كما يقول الرواة — بأنه «صاحب الزمان» و«المهدي» المنتظر، الذي يتم على يديه صلاح حال المسلمين في الهند؛ فبادر السيد أحمد وأدعى المهدية، وسرعان ما ذاع صيته، وامتد نفوذه، واعتنق آراءه الوهابية آلاف المسلمين، وبويع له في كل مكان على أنه «المهدي» المنتظر. وقد عمل هذا المهدي الجديد خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، على نشر المذهب الوهابي في بقاع مختلفة من الهند الإسلامية، كما جدّ في تنقية الدين الإسلامي الحنيف من أدران الوثنية الهندية، التي غشيتها غشياناً ظاهراً، بصورة صارخة في عبادة الأولياء وما يتصل بها من التقاليد الأسطورية، مما يأباه الإسلام الصحيح وتشكره الوهابية — بحق — أشد الإسكار. ولم يدخر «الباريلي» جهداً في القيام بدعاية تبشيرية دينية واسعة النطاق بين الهنود، لترغبهم في اعتناق الديانة

(١) يزعم الرواة أنه الحفيد السادس والثلاثون. !، أنظر: دائرة المعارف الإسلامية

الإسلامية ، حتى ليقول بعض المؤرخين في هذا الصدد : إن نيّفكاً وأربعين أنفكاً من الهندوس قد اعتنقوا الإسلام تحت تأثير دعوته القوية^(١) .

وفي عام ١٢٣٢ هـ = ١٨٢١ م اعترّف مهدي الوهابية الهندية بزيارة الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفي طريقه إليها عرج على « كلكتا » فأقام بها عدّة أشهر يبيّث فيها دعوته الإصلاحية ، وقد كانت في جملتها ترمي إلى إعادة الحياة الإسلامية إلى بساطتها الأولى ، ثم توجه إلى الحجاز حيث أدّى فريضة الحج ، وبعد عامين أي حوالي ١٨٢٣ م عاد إلى الهند وهو أكثر حماساً لمبادئه ، وأشدّ غيرة وأمضى عزيمة .

وأكبر الظن أنه رأى أن الوسائل السلمية لا تُجدي في نشر دعوته ، رغم ما أحرزه من نجاح ، فأخذ يعدّ العدّة لإعلان الجهاد في « البنجاب » متذرّعاً بتحرير المسلمين القاطنين في ذلك الإقليم من نير « السيخ » ، ولما وثق السيد أحمد من معاونة مسلمي « كابل » و « قندهار » قام بمحلمته عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م ، وسار في جيش لجب وجوع غفيرة من أنصاره المتحمسين ، واشتبك مع « السيخ » في معارك دامية ، وبعد عدة أعوام كانت الحرب فيها سجالاً بين الفريقين . نشبت المعركة الفاصلة في « بالسكوت » عام ١٢٤٦ هـ = ١٨٣١ م ، وفيها دارت على المهدي الدوائر فلاقي مصرعه ، وفرتّ فلول جيشه المتحطم لاتكاد تلوى على شيء ، ومع أن مغامرة الجهاد ، وما ارتبط بها من محاولات سياسية ، قد انتهت — كما يقول العلامة « جولديزهر » Goldziher — بهذه النهاية المؤلّة ، إلا أن الحركة الدينية التي ابتعثها المهدي الوهابي « أحمد الباريلي » بين الجماعات الإسلامية ، ظلت بعد وفاته قوية الأثر في الإسلام الهندي^(٢) .

(١) أنظر دائرة المعارف الإسلامية . مجلد ١ ص ٤٩٦

(٢) العقيدة والعريفة في الإسلام ص ٢٥٣

الأحمدية أو القاديانية

على أطلال « الباريلية » المتهمة ، وبدافع من الغيرة الدينية ، قامت أحدث فرقة إسلامية في العالم الإسلامى وهى « الأحمدية » الناجمة من « البنجاب » — أو أرض الأنهار الخمسة ، وهى إحدى الولايات التى تشغل الركن الشمالى الغربى من الهند ، وتعتبر اليوم أهم جزء فى كيان دولة « باكستان » الهندية الإسلامية الوليدة — فى « قاديان » إحدى مدن البنجاب وُلد — حوالى منتصف القرن التاسع عشر — مؤسس هذه الفرقة « ميرزا غلام أحمد القاديانى » وسط معتزك متضارب من التيارات العقلية ، ولما شبَّ واكتمل ، اتخذ من سلفه « أحمد الباريلى » أستاذاً ، وادعى — هو الآخر — أنه « المهدي » الذى ينتظره المسلمون ، وقام بمحدثنا — كما حدثنا كثير من الدعاة — أن النبى عليه السلام قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ، واستناداً على هذا الحديث — الذى طامسنا اتخذناه الدعاة وسيلة لظهورهم ، والذى يرجع تاريخ وضعه إلى حوالى منتصف القرن الثمانى الهجرى — زعم « القاديانى » أن الله قد اصطفاه وبعثه على رأس القرن الرابع عشر الهجرى ، ليجدد مابلى من معالم الدين ويحيى ما اندثر من شوائمه ^(١) .

وقد كانت البذور الإصلاحية التى ألقاها « أحمد الباريلى » من قبل ، تعمل فى نفوس المسلمين المنوذين للمتهنين حماسة وغيرة ، وتدفعهم إلى الإصلاح بعنف وقوة ، وبذلك تمكن « القاديانى » — فى سهولة ويسر — من الجهر بمهديته عام ١٨٨٠م ؛ حيث ظهر المجلد الأول من كتابه « براهين أحمدية » مفعماً بالدلائل والحجج ، التى رآها تؤيد دعواه ، بيد أنه لم يطالب أصحابه بالبيعة إلا فى ٤ مارس عام ١٨٨٩م ^(٢) عندما كثرت أتباعه وقوى عوده .

(١) العقيدة والفرقة فى الإسلام ص ٢٦٠

(٢) أنظر ما كتبه الملامه « هوتسما » Houtsma عن « الأحمدية » بدائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١ ص ٥٠٤ « الترجمة العربية » .

ولما وجد أن في الآثار الملققة ، ما ينبي* بأن ظهور « المهدي » سيكون مقروناً ببعض الظواهر الفلكية ، سارع فأول كشف الشمس وخسوف القمر ، الواقعين في رمضان عام ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، لصالحه ، ودعّم بوقوعها مهديته بلباقة وفطنة^(١) . وأكبر الظن أن صاحبنا هذا — هو الآخر — كان ذا فراسة صادقة ونبوءات لا تخفى* ؛ فقد حدثنا الرواة^(٢) أنه تنبأ بحادث كوارث فادحة من الطاعون والزلازل ، كما تنبأ بوفاة بعض الأفراد ، وقد صدقت — بطريق المصادفة — نبوءاته هذه ، فاستغل ذلك استفلالاً حسناً في ترويج بضاعته .

ومهدية « القادياني » هذه تلفت — بحق — نظر الباحثين ؛ فهي من نوع جديد ، يكاد يخالف تماماً عقيدة « المهديّة » كما جاءت في الروايات المتسمة بالصيغة الإسلامية ، سواء في ذلك الإسلام الشّيْعيّ والشّيْعي ؛ فهذه الروايات الإسلامية ، تصور لنا « المهدي » قائداً حربياً يقاتل الكفار بالسيف ، وتلجّ في هذا التصوير ، وتلجّ فيه ، بينا مهديّة « القادياني » لأول مرة في التاريخ الإسلامي تنسّم بالطابع السلمي ؛ إذ يقول « القادياني » : « إن مهمة المهدي هي الدعوة إلى الإسلام ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلمية »^(٣) .

وبذلك أسقط مهدينا هذا فريضة الجهاد من الفرائض الإسلامية ، وحسب إلى أتباعه المسألة والتسامح ونهاهم عن التعصب ، وقد أظهر هو وجماعته الولاء الخالص للحكومة البريطانية ، التي أمّنت جانبهم ، وتركتمهم يبشرون بمذهبهم السلمي ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا لا تنظر بعين الارتياح ، إلى أي حركة تنسّم بطابع « المهديّة » في العالم الإسلامي ، بل تسارع من فورها فتقضى عليها وليدة* في مهدها ، وذلك بعد الدروس القاسية التي تلقّتها عن مهدي السودان .

ولم يكتف « القادياني » بمخالفته للإسلام في إسقاطه فريضة الجهاد لحسب ،

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٦٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥

(٣) أنظر « موتسا » Houtsma في دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥ ، وانظر أيضاً « جولدزيهر » Goldziher في « العقيدة والشرعية في الإسلام » ص ٢٦٠ وما بعدها .

بل نجده أيضاً قد خالف العقائد الإسلامية الصريحة مرة أخرى مخالفة تامة في عقيدته في « عيسى » ؛ إذ يقول — بحجّة — إن عيسى لم يصاب ولم يُرفع إلى السماء ، وإنما مات موتاً ظاهرياً ، ودُفن في قبر خرج منه بعد ذلك ، حيث توجه تلقاء « كشمير » بالهند ليعلم الإنجيل ، وهناك أدركه الموت بالغاً من العمر مائة وعشرين عاماً ، ودفن في قبر يُنسب خطأ لولّى يُدعى « يوس أساف » ، وقد خرج « القادياني » بدعواه هذه على الروايات الإسلامية والمسيحية على السواء ، وهى تلك الروايات المتعلقة بحياة عيسى ^(١) .

وقد كان مهدي قاديان — بحق — كاتباً بارعاً وافر الإنتاج ؛ فبسط مذهبهُ للمسلمين في أكثر من ستين كتاباً دينياً ، في الفقه والعقائد باللغتين العربية والأوردية ، وساق فيها الأدلة التي رآها مؤيدة لمهديته ومساندة لمذهبه ، وكان الرجل محبّاً للعلم غيبه إلى أتباعه ، وحثّهم على التزود منه بأكبر قدر مستطاع .

وقد وجدت اللغة العبرية — لغة الكتاب المقدس — مكاناً لانتاج في برنامج المواد التي ارتأى دراستها اتلاميدهُ ، كما كان الرجل معنياً بالأخلاق ، فجعل الفضيلة أصلاً من أصول الإيمان ، وكان يستشهد في تعاليمه بشواهد من العهدين القديم والجديد ؛ مما يدلنا دلالة واضحة على قراءته لها وتأثره بهما ، كما كان يستشهد أيضاً بالآيات القرآنية ، وبالصالحات من الأحاديث .

وقد عمل « القادياني » على أن يكون دائماً على وفاق ظاهري مع ما جاء به القرآن في غير مسألتى « عيسى والجهاد » اللتين شدّ فيهما ، فانفرد بآراء تنافض صراحة ما جاءت به آيات القرآن . أما « الأحاديث » النبوية فقد كان يقبل منها ما يؤيده مهديته ويدعّمها ، وفيما عدا ذلك كان كثير الشك في « الحديث » دائب التقلد ؛ فاجتمع بذلك في نقط كثيرة أيضاً — كما يقول « جولد زيهير » عن العالم الرسمية للإسلام السنّي ، بالقدر الذي تستند فيه هذه المعالم على « الحديث » ^(٢) .

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٦٠ ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة « هوتسما »

Houtsma بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٠

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٦١

وقد توفى « أحمد القاديانى » بمدينة « لاهور » فى ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ م ،
تم نقل جثمانه إلى « قاديان » حيث دفن هناك ، ونقشت على ضريحه هذه العبارة :
« ميرزا غلام أحمد موعود » ، ومعنى « موعود » : المهدي المنتظر
ولم ينس « القاديانى » أن يحذرنا فى وصيته ، بأن مهدياً جديداً آخر سوف يظهر
من أسرته ، واسكن أحداً من هذه الأسرة لم يفكر قط فى استغلال هذه الوصية ،
للقيام بدعوة إلى مهديّة جديدة ، بل استكان المجتمع لتعاليم المهدي الراحل ، وأخذوا
فى نشرها فى سلم ولين ؛ فازداد عديد « الأحديّة » الذين يوجدون بكثرة ظاهرة
فى « البنجاب » وطن الدعوة الأول ، وإن كانوا يوجدون كذلك فى غيرها من
بلاد الهند .

وفى كتاب « وجهة الإسلام » :

« من العسير أن نتكهن بمستقبل حركة الأحديّة ، كما يصعب أن نصدّق أن
عقيدة جامدة كهذه ، ستعتمد على البقاء طويلاً ، محاولة اجتذاب أنصار فى عصرنا
هذا ، أو محاولة المحافظة على العقيدة الحالية لأنصارها دون تغيير .

« وإنا لننسال : هل فى وسع هذا الوحي المقدس — الذى يرتكن إليه
القاديانيون ، والذى جاء فى آخر الزمان ، والذى يتطلب إيماناً قوياً جداً — أن يقوى
على الثبات فى هذه الأيام ، التى لم يبق فيها من الإيمان إلا النصف ، والتى نجد فيها
المتعلمين إما ممن يأخذون بالشك ، وإما ممن يحكمون العقل فى المسائل الدينية ؟؟
« إن أحديّة لاهور ، قد أحسوا أنهم غير قادرين على قبول مزاعم « غلام
أحمد » كاملة ، وسيرى الفرع الأكبر لفرقة قاديان نفسه مضطراً — فى يوم
قريب — أن يفتح عقائده ^(١) » .

وقد انتشرت تعاليم « الأحديّة » فى البلاد الإسلامية الأخرى ، فلاقى ذيوهاً
وانتشاراً فى أفغانستان ، وإيران ، وشبه جزيرة العرب ، ومصر .
وللقاديانيين صحف ومجلات بالإنجليزية والهندوكية ، يبشرون فيها بمبادئهم
وعقائدهم التى يتوقف انتشارها على مقدار ما يبذلونه من نشاط .

(١) عن « وجهة الإسلام » : بصرف ، تعريب الأستاذ محمد عبد الهادى أبى ربه .

مراجع الكتاب

- (١) «الكافي» للشيخ الصدوق ثقة الإسلام أبي جعفر الأعور محمد بن يعقوب السكلي - نسبة إلى كليلين إحدى قرى الرمي - (المتوفى ببغداد عام ٣٢٨ هـ)، طبع طهران عام ١٢٨١ هـ.
- (٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفى عام ٤٥٦ هـ)، طبع المطبعة الأدبية ومطبعة التمدن ومطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٧ هـ - ١٣٢١ هـ.
- (٣) «الملل والنحل» للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى عام ٥٤٨ هـ) على هامش الطبعة السابقة اسكتاب «الملل والنحل» لابن حزم.
- (٤) «مقالات الإسلاميين واختلاف فرق المصلين» للإمام الأشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى عام ٣٢٤ هـ)، طبع المستشرقين الألمان باستانبول عام ١٩٢٩ م.
- (٥) «فرق الشيعة» للنوختي أبي محمد الحسن بن الحسين بن علي (المتوفى عام ٤٠٢ هـ) طبع المستشرقين الألمان باستانبول.
- (٦) «الفرق بين الفرق» للبغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر (المتوفى عام ٤٢٩ هـ) نشر السيد عزت العطار الحسيني بالقاهرة عام ١٩٤٨ م.
- (٧) «أصول الدين» للبغدادي أيضاً طبع استانبول عام ١٩٢٨ م.
- (٨) «مختصر الفرق بين الفرق» للرسعني عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف (من رجال القرن السابع الهجري، وهو مجهول الوفاة) نشر الأستاذ فيليب حتى بمطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٢٤ م.
- (٩) «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»

للإسفراني أبي المظفر عماد الدين (المتوفى عام ٤٧١ هـ) ، نشر المطاوع بالقاهرة مطبعة الأنوار عام ١٩٤٠ م .

(١٠) « التمهيد » للإمام الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب (المتوفى عام ٤٠٣ هـ) طبع دار الفكر العربي بالقاهرة .

(١١) « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » للرازي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (المتوفى عام ٦٠٦ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ

(١٢) « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي أيضاً طبع القاهرة عام ١٩٣٨ م

(١٣) « فضائح الباطنية » للقرطبي حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد (المتوفى عام ٥٠٥ هـ) نشر العلامة « جولد زيهر » Goldziher بليدن عام ١٩١٦ م (١٤) « المواقف » للإبيي عضد الملة والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار (المتوفى عام ٧٥٣ هـ) طبع مطبعة العلوم بالقاهرة عام ١٣٥٧ هـ .

(١٥) « الاعتصام » لالشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي القُرطبي (المتوفى عام ٧٩٠ هـ) طبع مطبعة المنار بالقاهرة عام ١٩١٣ م .

(١٦) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (المتوفى عام ٥٩٧ هـ) طبع مطبعة النهضة بالقاهرة عام ١٩٢٨ م .

(١٧) « الإلتصار » لوالد علي ابن الراوندي الملحد « للخياط المعتزلي أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (من رجال القرن الثالث الهجري وهو مجهول الوفاة) طبع دار الكتب المصرية بعناية الدكتور « نيرج » Nyberg عام ١٩٢٥ م .

(١٨) « أعز ما يطلب » لابن تومرت مهدي الموحدين أبي عبد الله المرغني (المتوفى عام ٥٢٤ هـ) ، نشر « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٣٢١ هـ .

(١٩) « عقيدة ابن تومرت » لمهدي الموحدين أيضاً ، طبعها « الكردى » في مجموعة بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ .

- (٢٠) « الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي أبي العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٠٧ هـ .
- (٢١) « مسند أحمد » للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي (المتوفى عام ٢٤١ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٢) « سنن أبي داود » للشيخ الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (المتوفى عام ٢٧٥ هـ) ، طبع المطبعة الكاسطية عام ١٢٨٠ هـ .
- (٢٣) « سنن ابن ماجه » لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني (المتوفى عام ٢٧٣ هـ) ، طبع المطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٤) « سنن الترمذی » ويقال له أيضاً « جامع الترمذی » أو « الجامع الصحيح » للشيخ الإمام أبي عيسى بن محمد بن عيسى السلمی الترمذی (المتوفى عام ٢٧٩ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٢ هـ .
- (٢٥) « صحيح البخاری » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (المتوفى عام ٢٥٦ هـ) ، طبع بولاق من ١٣١١ - ١٣١٣ هـ .
- (٢٦) « صحيح مسلم » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (المتوفى عام ٢٦١ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٩٠ هـ .
- (٢٧) « جامع البيان في تفسير القرآن » للطبري أبي جعفر محمد بن جرير (المتوفى عام ٣١٠ هـ) ، طبع بولاق من ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ .
- (٢٨) « تفسير الألوسی » (روح المعاني) للعلامة شهاب الدين محمود الألوسی (المتوفى عام ١٢٧٠ هـ) ، طبع بولاق عام ١٣٠١ هـ .
- (٢٩) « شرح نهج البلاغة » أو « شرح النهج » لابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (المتوفى عام ٦٥٥ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٢٩ هـ .

(٣٠) « مقدمة ابن خلدون » أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الإشبيلي (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .
(٣١) « تاريخ الأمم والملوك » أو « تاريخ الطبرى » لشيخ المؤرخين — هيرودوت — العرب أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (المتوفى عام ٣١٠ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة .

(٣٢) « السكامل فى التاريخ » أو « تاريخ السكامل » أو « كامل التواريخ » أو « تاريخ ابن الأثير » للشيخ أبى الحسن عز الدين على بن أبى السكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى المعروف بابن الأثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

(٣٣) « تاريخ اليعقوبى » لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخبارى (قبل إنّه توفى عام ٢٨٤ وقيل توفى بعد عام ٢٩٢ هـ) طبع مطبعة الغربى بالنجف الأشرف بالعراق عام ١٣٥٨ هـ .

(٣٤) « طبقات الصحابة والتابعين » أو « الطبقات الكبير » أو « الطبقات الكبيرى » أو « طبقات ابن سعد » لكاتب الواقدى أبى عبد الله محمد بن سعد (المتوفى عام ٢٣٠ هـ) طبع ليدن بعناية المستشرقين .

(٣٥) « الأغانى » لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد الكاتب الأصبهانى (المتوفى عام ٣٥٦ هـ) طبع بولاق عام ١٢٨٥ هـ وطبع السامى عام ١٣٢٢ هـ وطبع دار الكتب المصرية .

(٣٦) « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغانى أبى الفرج طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٩٤٩ م .

(٣٧) « سروج الذهب » للمسعودى أبى الحسن على بن الحسين بن على (المتوفى عام ٣٤٥ هـ) طبع بهامش تاريخ ابن الأثير من الجزء الأول إلى الجزء العاشر ، نشر الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

(٣٨) « البدء والتاريخ » للمطهر بن طاهر المقدسى (من رجال أواخر القرن الرابع الهجرى) ، والكتاب منسوب خطأ لأبى زيد أحمد بن سهل البلخى (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) ، نشر « هيار » Huart بباريس عام ١٩٠٦ م .

(٣٩) « أنساب الأشراف وأخبارهم » لبلاذرى أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى حوالى عام ٢٧٩ هـ) طبع القدس .

(٤٠) « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لابن خلسكان ، قاضى القضاة شمس الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلى (المتوفى عام ٦٨١ هـ) طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٠ هـ .

(٤١) « فوات الوفيات » للسكرتير محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٩ هـ .

(٤٢) « مختصر الدول » لابن العبرى غريغوريوس بن أهرون أبى الفرج الملقب (المتوفى عام ٦٨٥ هـ) ، نشر الأب اليسوعى أنطون صالحانى ببيروت عام ١٨٩٠ م .

(٤٣) « الأخبار الطوال » للدبنورى أبى حنيفة أحمد بن داود (المتوفى عام ٢٨٢ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٣٣٠ هـ .

(٤٤) « معالم العلماء فى فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً » لرشيد الدين أبى جعفر محمد بن على بن شهر آشوب السمرى (المتوفى عام ٥٨٨ هـ) ، والكتاب تنمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبى جعفر الطوسى ، وقد نشره فى طهران عباس إقبال عام ١٣٥٣ هـ .

(٤٥) « تذكرة الحفاظ » للمؤرخ الجليل الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان التركمانى الذهبى (المتوفى عام ٧٤٨ هـ) ، الطبعة الثانية بميدرا أباد بالهند عام ١٣٣٣ هـ .

(٤٦) « دول الإسلام » وهو مختصر فى التاريخ على ترتيب السنين للإمام الذهبى أيضاً ، الطبعة الثانية بميدرا أباد عام ١٣٦٤ هـ .

(٤٧) « البداية والنهاية » لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفى عام ٧٧٤ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٩٣٢ م .

(٤٨) « السكامل فى اللغة والأدب » لأبى العباس محمد بن يزيد المبرّد (المتوفى عام ٢٨٥ هـ) ، نشر وشرح سيد بن على المرصفي باسم « رغبة الآمل من كتاب السكامل » طبع القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٣٠ م

(٤٩) « الأسس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لجير الدين أبى الين الفاضى عبد الرحمن بن محمد الحنبلى (المتوفى عام ٩٢٧ هـ) طبع المطبعة الوهبة بالقاهرة عام ١٢٨٣ هـ .

(٥٠) « مختصر تذكرة الإمام أبى عبد الله الفرطبي » للشمرانى عبد الوهاب ابن أحمد بن على (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) طبع بولاق عام ١٣٠٠ هـ .

(٥١) « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » أو « الخطط والآثار فى مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بهما من الأخبار » أو « خطط المقرئى » للشيخ تقي الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر المقرئى (المتوفى عام ٨٤٥ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٠ هـ .

(٥٢) « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » للمقرئى أيضاً طبع القاهرة عام ١٩٤٨ م .

(٥٣) « رسائل الخوارزمى » لجمال الدين أبى بكر محمد بن العباس الخوارزمى (المتوفى عام ٣٨٣ هـ) طبع بولاق (مطبعة عبد الرحمن رشدى) عام ١٢٧٩ هـ وطبع الجوائب عام ١٢٩٧ هـ .

(٥٤) « نُسُكُتُ الهمَّيَّانِ فى نُسُكِتِ العُمَيَّانِ » للصفدى صلاح الدين خليل ابن أبيك بن عبدالله (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع المطبعة الجالية بالقاهرة عام ١٩١١ م بعناية المرحوم أحمد زكى .

(٥٥) « الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية » لابن الطنطقي

محمد بن على بن طباطبا (من مخضرمى القرنين السابع والثامن) طبع مطبعة
الموسوعات عام ١٣١٧ هـ .

(٥٦) « العبر ودبوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والمعجم والبربر ومن عاهدم
من ذوى السلطان الأكبر » ويعرف « بتاريخ ابن خلدون » للشيخ المؤرخ
أبى زيد ولّى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) ،
طبع بولاق عام ١٢٨٤ هـ .

(٥٧) « تاريخ بفسداد » للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى
(المتوفى عام ٤٦٣ هـ) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٣١ م .

(٥٨) « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » للمؤرخ أبى الفلاح عبد الحى
ابن العماد القاضى الحنبلى (المتوفى عام ١٠٨٩ هـ) . نشر حسام الدين القدسى
بالقاهرة من ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .

(٥٩) « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير عز الدين أبى الحسن على
ابن محمد صاحب الكامل (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) نشر القدسى بالقاهرة من
١٣٥٧ — ١٣٦٩ هـ .

(٦٠) « صحب الأعشى فى كتابة الإنشا » للقلقشندى أحمد بن على بن أحمد
(المتوفى عام ٨٢١ هـ) طبع بولاق من ١٩١٣ — ١٩٢٠ م .

(٦١) « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » لابن تغرى بردى جمال الدين
أبى المحاسن يوسف (المتوفى عام ٨٧٤ هـ) طبع دار الكتب المصرية ابتداء من
عام ١٩٢٩ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٦٢) « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة الدينورى أبى محمد عبد الله
ابن مسلم (المتوفى عام ٢٧٦ هـ) . طبع مطبعة النيل بالقاهرة عام ١٩٠٤ م

(٦٣) « عيون الأخبار » لابن قتيبة أيضاً طبع دار الكتب المصرية من
١٩٢٥ — ١٩٣٠ م .

(٦٤) « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كذلك طبع « السكردى »
بالقاهرة عام ١٣٢٦ هـ .

(٦٥) « تهذيب الأسماء واللغات » للنووى أبى زكريا محى الدين بن شرف
النووى (المتوفى عام ٦٧٦ هـ) طبع منبر الدمشقى بالقاهرة .

(٦٦) « تهذيب تهذيب الكمال فى معرفة الرجال » لابن حجر العسقلانى
قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن محمد السكتانى (المتوفى عام
٨٥٢ هـ) طبع حيدر أباد عام ١٣٢٥ هـ .

(٦٧) « المقصد الفريد » لابن عبد ربه أبى عمر أحمد بن محمد الأندلسى القرطبي
(المتوفى عام ٣٢٨ هـ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من
١٩٤٠ - ١٩٥٣ م .

(٦٨) « الفهرست » لابن النديم أبى الفرج محمد بن إسحاق بن أبى يعقوب
البغدادى الورّاق (المتوفى حوالى عام ٣٨٥ هـ) ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة
عام ١٣٤٨ هـ .

(٦٩) « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « معجم الأديب » لأبى عبد الله
ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (المتوفى عام ٦٢٦ هـ) طبع دار المأمون بالقاهرة .
(٧٠) « رسائل الجاحظ » أبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (المتوفى عام ٢٥٥ هـ)
نشر السندونى بالقاهرة عام ١٩٢٣ م .

(٧١) « مجموعة رسائل الجاحظ » لأبى عثمان أيضاً ، نشر السامى بالقاهرة
عام ١٣٢٤ هـ .

(٧٢) « البيان والتبيين » لأبى عثمان الجاحظ كذلك ، نشر عبد السلام هارون
بالقاهرة من ١٩٤٨ - ١٩٥١ م .

(٧٣) « ألف باء » لابن الشيخ أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى (قيل إنه
توفى عام ٥٧٦ هـ وقيل إنه كان موجوداً عام ٦٠٣ هـ) طبع الوهبية بالقاهرة عام ١٢٨٧ هـ .
(٧٤) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويزى شهاب الدين أحمد

ابن عبد الوهاب بن محمد البكرى التيمى القرشى (المتوفى عام ٧٣٣ هـ) ، طبع دار الكتب المصرية ابتداء من عام ١٩٢٣ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٧٥) « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » للمحقى محمد أمين بن فضل الله ابن محب الله الدمشقى (المتوفى عام ١١١١ هـ) طبع الوهبة بالقاهرة عام ١٢٨٤ هـ

(٧٦) « ربحانة الأتبا وزهرة الحياة الدنيا » للخفاجى فاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (المتوفى عام ١٠٦٩ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٧٧) « المختصر فى أخبار البشر » أو « تاريخ أبى الفدا » للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا صاحب حماة (المتوفى عام ٧٣٢ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة عام ١٣٢٥ هـ .

(٧٨) « تنمة المختصر » أو « تاريخ ابن الوردى » لأبى حفص زين الدين عمر ابن محمد (المتوفى عام ٧٤٩ هـ) طبع المطبعة الوهبة بالقاهرة عام ١٢٨٥ هـ .

(٧٩) « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » أو « تاريخ الأندلس » للمر اكشى محى الدين أبى محمد عبد الواحد بن على التيمى (من مخضرمى القرنين السادس والسابع) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ .

(٨٠) « تاريخ الخلفاء أسراء المؤمنين » للسيوطى أبى الفضل عبد الرحمن ابن السكال (التوفى عام ٩١١ هـ) طبع المطبعة الميمنية عام ١٣٠٥ هـ .

(٨١) « ذخائر العقبي فى مناقب ذوى القربى » لمحب الدين الطبرى أبى العباس أحمد بن عبد الله (المتوفى عام ٦٩٤ هـ) نشر القدس بالقاهرة .

(٨٢) « لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار » أو « طبقات الشعراى » للشعراى أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٨٣) « السكشكول » للعالمى بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الرحمن الحارثى (التوفى عام ١٠٣١ هـ) طبع بولاق عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٤) « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » لابن غلبون
أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي (من رجال القرن الثاني عشر الهجري)
طبع القاهرة عام ١٣٥٤ هـ .

(٨٥) « غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة » أو « الغرر
والعرر » للوطواط أبي إسحاق جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري ،
المروى الأصل المصري المولد السكتي الوراق (المتوفى عام ٧١٨ هـ) طبع بولاق
عام ١٢٨٤ هـ .

(٨٦) « القصائد الهاشميات » أو « هاشميات الكهيت » للشاعر المتشيع الكهيت
ابن زيد الأسدي (المتوفى عام ١٢٦ هـ) طبع مطبعة شركة التمدن بالقاهرة
عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٧) « ديوان مهيار الديلمي » للشاعر المتشيع أبي الحسن مهيار بن مرزويه
السكاتب الفارسي الديلمي (المتوفى عام ٤٢٨ هـ) طبع دار الكتب المصرية
من ١٩٢٥ - ١٩٣١ م .

(٨٨) « ديوان ابن هاني الأندلسي » للشاعر المتشيع متني الغرب أبي القاسم
محمد بن هاني الأزدي الأندلسي (المتوفى عام ٣٦٢ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٨٩) « ديوان كثير » أو « شرح ديوان كثير » للشاعر المتشيع أبي صخر
كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي المعروف بكثير عزة (المتوفى عام ١٠٥ هـ)
طبع الجزائر بعناية « هنري بيرس » Henri Peres من ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

(٩٠) « ديوان حسان » أو « شرح ديوان حسان بن ثابت » لحسان بن ثابت
ابن المفذر الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (المتوفى عام ٥٤ هـ) طبع المطبعة
الرحمانية بالقاهرة عام ١٩٢٩ م بعناية الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي .

(٩١) « ديوان سبط ابن التعاويذي » لمجد الدولة والدين جمال السكتاب
أبي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي (المتوفى

عام ٥٨٤ هـ) طبع بعناية الأستاذ « مرجليوث » Margoliouth بمطبعة المتنطف بالقاهرة عام ١٩٠٣ م .

(٩٢) « اللزومات » أو « لزوم ما لا يلزم » لشاعر المروعة أبي العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخي المروسي (المتوفى عام ٤٤٩ هـ) طبع بمطبعة المحروسة بالقاهرة بعناية عزيز زند من ١٨٩١ - ١٨٩٥ م .

(٩٣) « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير مجد الدين أبي السماعات المبارك ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى عام ٦٠٦ هـ) طبع المطبعة الثمانية بالقاهرة عام ١٣١١ هـ .

(٩٤) « لسان العرب » لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري (المتوفى عام ٧١١ هـ) طبع بولاق من ١٢٩٩ - ١٣٠٨ هـ .

(٩٥) « جهرة أسباب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفى عام ٤٥٦ هـ) طبع دار المعارف بالقاهرة بعناية العلامة « ليفي بروفسال » Provençal عام ١٩٤٨ م .

(٩٦) « مفاخر البربر » لمؤلف مجهول نشره بالرباط العلامة « بروفسال » Provençal عام ١٩٣٤ م .

(٩٧) « معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع » للوزير أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي الأونبي (المتوفى عام ٤٨٧ هـ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بعناية الأستاذ مصطفى السقا من ١٩٤٥ - ١٩٥٢ م .

(٩٨) « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » أو « رحلة ابن بطوطة » لرحالة القرن الثامن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (المتوفى عام ٧٧٧ هـ) طبع مطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٣٢٢ هـ .

(٩٩) « الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » لمفتي الشافعية بمكة أحمد بن زيني بن أحمد دحلان (المتوفى عام ١٣٠٤ هـ) طبع مكة عام ١٣١١ هـ .

- (١٠٠) « الإسلام الصحيح » (الجزء الأول) للنشاشيبي محمد إسعاف طبع
القدس عام ١٣٥٤ هـ .
- (١٠١) « الوشيعة في نقد عقائد الشيعة » لموسى جار الله طبع البجف الأشرف
بالعراق عام ١٩٣٥ م .
- (١٠٢) « العقيدة والشرعية في الإسلام » Vorlesungen Uber Den Islam
المستشرق العلامة « جولديزهر » Goldziher « الترجمة العربية » للأستاذة محمد
يوسف موسى ، وعبد العزيز عبد الحق ، وعلى حسن عبد القادر ، طبع دار الكتاب
المصري بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .
- (١٠٣) « السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية »
La Domination Arabe, Le Chitisme et les Croyances Messianiques
Van Vloten « فان فلوطن » Sous Le Khalifat des Omayyades
« الترجمة العربية » للأستاذين حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، طبع مطبعة
السعادة بالقاهرة عام ١٩٣٤ م .
- (١٠٤) « عقيدة الشيعة » — وهو كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق
— للدكتور « دوايت . م . دونالدسن » Donaldson تعريب « ع . م » طبع
مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .
- (١٠٥) « دائرة المعارف الإسلامية » الترجمة العربية — مواد متفرقة .
- (١٠٦) « دائرة معارف الدين والأخلاق » البريطانية : مقال المستشرق
« مرجليوث » Margoliouth عن « المهدي » .
- (١٠٧) « دائرة معارف وجدى » لصاحبها محمد فريد وجدى .
- (١٠٨) « ضحى الإسلام » لأحمد أمين (الجزء الثالث) طبع لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٦ م .
- (١٠٩) « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » للأستاذ محمد عبد الله
عنان طبع دار النشر الحديث بالقاهرة عام ١٩٣٧ م

- (١١٠) « مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤ م .
- (١١١) « تراجم إسلامية شرقية وأندلسية » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٧ م .
- (١١٢) « أعيان الشيعة » للسيد محسن الأمين الحسيني العاملي (الجزء الثالث والرابع) طبع دمشق عام ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ م .
- (١١٣) « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » Die Renaissance Des Islams لآدم ميز Adam Mez ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
- (١١٤) « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » Geschichte Spaniens und Porbugals, zur Zeit der Herrschaft der Almorariden und Almohaden للمؤرخ الألماني « يوسف أشباخ » Aschbach ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
- (١١٥) « مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي » A Short History of the Saracens لسيد أمير علي ، ترجمة رياض رأفت طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ م .
- (١١٦) « في النصوص الإسلامية وتاريخه » للأستاذ « نيكلسون » Nicholson ترجمة الأستاذ أبي الملا عفيفي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٧ م .
- (١١٧) « وجهة الإسلام » تعريب محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع القاهرة
- (١١٨) « حاضر العالم الإسلامي » The New World of Islam للعلامة « ستودارد » Stoddard ترجمة هجاج نويهض وتعليقات شكيب أرسلان (الطبعة الثانية) طبع القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- (١١٩) « تاريخ السودان القديم والحديث » لنعموم شقير ، طبع القاهرة .
- (١٢٠) « السودان بين يدي غردون وكتشتر » لإبراهيم فوزي ، طبع القاهرة .

- (١٢١) « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجى زيدان ، طبع مطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٠٢ م .
- (١٢٢) « تاريخ مصر الحديث » لجرجى زيدان أيضاً ، الطبعة الثانية بمطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩١١ م .
- (١٢٣) « الإيقان » لبهاء الله ميرزا حسين على ، نشر الجميع البهائي بالقاهرة .
- (١٢٤) « السكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية » للبحاث ميرزا عبد الحسين آواره ، ترجمه عن الفارسية أحمد فائق رشد (الجزء الأول) ، طبع المطبعة العربية بالقاهرة عام ١٩٢٤ م .
- (١٢٥) « معجم المطبوعات العربية والمعربة » ليوسف إليان سرركيس ، طبع القاهرة ١٩٢٨ - ١٩٣١ م .
- (١٢٦) « القاموس المحيط » لمجد الدين الفيروزابادي محمد بن يعقوب بن محمد ابن إبراهيم (المتوفى عام ٨١٧ هـ) ، طبع المطبعة المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٣ م .

٢٥٢

أبو بكر الباقلاني : ص ١١ ، ٢٣ ، ٢٥
 أبو بكر الطرطوشي : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 أبو تراب المروزي : ص ٦٣
 أبو تميلة الأبار : ص ١١٠
 أبو الجارود : انظر : زياد بن المنذر
 أبو جعفر الطوسي : ص ٧٤
 أبو جعفر الصدوق : انظر : محمد بن علي
 ابن بابويه
 أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي : ص ٥٤
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥
 أبو الحكم القيسي : ص ١٠٧
 أبو حنيفة : الإمام : ص ٣٩ ، ٦٨ ، ٨٨ ،
 ١٢٢ ، ١٢٧
 أبو الخطاب الأسدي : ص ٧٩
 أبو داود : صاحب السنن : ص ٧ ، ١٨٤
 أبو داود سليمان بن سفيان : رواية الحمري :
 ص ١٥٦
 أبو دهيل الجمحي : ص ٦٥
 أبو ذر : ص ٥ ، ٤٦ ، ٥٩
 أبو الزناد : ص ١١٤
 أبو سفيان : ص ٧ ، ٨
 أبو سلمة : داعية العباسيين : ص ٨٦ ، ٨٧
 أبو السمط بن أبي الجون : ص ٦٤
 أبو طالب : ص ١٢٢ ، ٢٠١
 أبو الطفيل الكنانى : ص ٦٢
 أبو عاصم : ص ٢٩
 أبو عبد الله الجندلي : ص ١٠١ ، ١٠٢
 أبو عبد الله الشيبى : ص ١٢٨ ، ١٣٩
 أبو عطاء أفلح بن يسار : ص ٥٥
 أبو العلا عفيفي : ص ٧٣
 أبو العلاء المعرى : ص ٨٢
 أبو عمر بن كيسان : ص ٦١
 أبو عبيد الله البكري الأونسي : ص ١٧
 أبو عبيدة بن الجراح : ص ٢١
 أبو عبيدة معمر بن المثنى : ص ١٨
 أبو الفداء : ص ٥ ، ٨
 أبو الفرج الأصفهاني : ص ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٨
 أبو قبيس : ص ٧٣
 أبو كرب الفرير : ص ١٠٥ ، ١٥٠
 أبو محمد المرزى : ص ١٤٨

٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ،
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٨٠
 ابن سهرين : ص ١٥٤
 ابن سينا الشيخ الرئيس : ص ٢٤١
 ابن ثاكر الكتبي : ص ٥٥
 ابن شهاب الزهري : ص ٨ ، ٩٦
 ابن شهاب السري : ص ٧٤ ، ١٢٧ ،
 ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠
 ابن الشيخ : انظر : يوسف بن محمد
 ابن طولون : ص ١٠٧
 ابن عباس : ص ٦ ، ٢٦ ، ٦١ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٦٠ ، ١٨٠
 ابن عبد ربه : ص ٢ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٥١
 ابن العبري : ص ١٧٢
 ابن عدى : ص ٨٨
 ابن عربي : يحيى الدين : ص ٧٣ ، ٨٣ ، ٢١١
 ابن مسافر : ص ١٠٨
 ابن عفان : انظر : عثمان بن عفان
 ابن العماد : المؤرخ الفقيه الحنبلي أبو الفلاح
 ص ٨٨ ، ١٥٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩
 ابن عمر : ص ١٨٢
 ابن عليّة : ص ٧٠
 ابن غلبون : ص ١٩٠
 ابن الفارسي : ص ٢٧ ، ١٧٣
 ابن فخر الدين الحسنى : ص ٥٥
 ابن قتيبة الدينوري : ص ٧ ، ٣٩ ، ٧١ ،
 ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣
 ابن كثر : ص ١ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 ابن ماجة : ص ٧٠
 ابن مسعود : ص ١٨٠
 ابن المعتز : ص ١٦٠
 ابن الملقى : ص ١٧
 ابن منظور : ص ٤٨
 ابن ميمون : عبد الله القنداح : ص ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٧٠
 ابن هانئ الأندلسي : متني الغرب : ص ٣٢ ،
 ٣٣ ، ٣٤ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩
 ابن هبة : ص ١٢٠
 ابن واضح : انظر : البقوي
 ابن الوردي : ص ٥ ، ٨
 الأبواء : ص ١١٥
 أبو بكر الصديق : ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ،
 ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٥ ،
 ٩١ ، ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧

أهل البيت : انظر : آل البيت
 أهل الرضى : ص ١٥٥
 أهل السنة : ص ١ و ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٣
 ٢٦٠٢٣ و ٧٠ و ٧٢ و ٧٩ و ٨٥ و ١٠٧
 ١١٠ و ١١٦ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٨ و ١٨٩
 ٢٢٧ و ٢٤١
 الأهواز : ص ٦٦
 أوديوس : ص ٢٥
 أوريجنس : ص ٧٩
 الأوس : ص ٢
 الأيحي عضد الدين : ص ٩ و ١٢٩ و ١٧٢
 إيران : ص ١٣٧ و ١٤٨ و ١٦١ و ١٩٨ و ٢٥٦
 ٢٧٢
 إيليه : أو الياس : ص ٤٨
 إيليا منصور : ص ١٩٧
 أيوب : ص ٨٢
 (ب)
 بابا الكنيسة : ص ١٥
 الباب : انظر : علي محمد الباب
 باب الوزير : انظر : حسين البشروني
 باب الوزير : ص ١٩٩
 بابك الخرمي : ص ١٨٤
 بابل : ص ١٧٩
 البابية : ص ١٣٧ و ١٩٨ و ٢٢٧ و ٢٢٩
 ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤
 ٢٦٢ و ٢٦١ و ٢٥٩ و ٢٥٧ و ٢٥٥
 البايون : ص ٢٥٣ و ٢٥٥ و ٢٥٧ و ٢٥٨
 ٢٦١ و ٢٥٩
 البارلي : انظر : أحمد البارلي
 البارلية : ص ١٩٨ و ٢٦٨ و ٢٧٠
 باطنية : ص ١٣٧ و ١٧٠
 الباقر أبو جعفر محمد : ص ١٦ و ٥١ و ٧٧
 ٨٥ و ١٢٩ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٧١
 باكستان : ص ٢٦٥ و ٢٧٠
 بالكوت : ص ٢٦٩
 البخاري : الامام : محمد بن اسماعيل : ص ٤٦
 ٢٦ و ٢٨ و ٢٧ و ٧٠ و ٨٨ و ١٧٦ و ١٧٧
 بختيشوع : ص ٦٦
 البداء : ص ١٠٤
 بدر (موقعة) : ص ٢ و ٦ و ١٢٢
 البراد بن عازب : ص ٥
 براهيم : ص ٤٣
 البراهمية : ص ٢٦٦
 البراهميون أو البراهمة : ص ٢٦٦ و ٢٦٧

آل ابي سفيان : ص ١٧٧
 آل ابي طالب : ص ١١٢ و ١١٤
 آل بيتي سفيان : ص ٦٥
 آل حرب : ص ١٥٢
 آل الرسول : ص ٥٧ و ١٠١
 آل ساسان : ص ٥٩
 آل العباس : ص ١١٤
 آل عبد مناف : ص ٧
 آل علي : ص ٥٢ و ٦١ و ٦٣ و ٦٦ و ٧١
 ٩٧ و ١٠١ و ١١٥ و ١١٦
 آل محمد : ص ٦ و ٨ و ١١ و ١١٢ و ١٨٤
 آل مروان : ص ٦١ و ١١٥ و ١٥٠
 آل النبي : ص ٦٥ و ٧١
 آل هاشم : ص ٦٥
 الألوسي شهاب الدين : ص ٢٠ و ٢٣ و ٢٥
 ٣٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦
 الوهية : ص ٧٥ و ٧٦ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٩٣
 ٩٦ و ١٠٤ و ١٤٨
 الامام : ص ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤
 ١٥ و ١٦ و ٣١ و ٣٢ و ٤٠ و ٤١ و ٤٨
 ٤٦ و ٧٥ و ٨١ و ٨٤ و ١١١ و ١١٩
 ١٢٦ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٤
 ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٣ و ١٤٩
 ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٤ و ١٩٥ و ٢٤٨
 ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦١
 الامامة : ص ١ و ٣ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١٣
 ١٤ و ١٦ و ١٨ و ٢٠ و ٣٢ و ٤١ و ٤٨
 ٤٥ و ٧٦ و ٨٧ و ٩٧ و ١٠٥ و ١٠٧
 ١٢١ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٣٨
 ١٤٦ و ١٧٢
 الامامية : ص ٧٤ و ٧٥ و ٨١ و ٨٤ و ١٢٥
 ١٢٩ و ١٤٦
 ام درمان : ص ٢٠٠ و ٢٢٣ و ٢٣٦
 امرؤ القيس بن حجر : ص ١٥٤
 ام سلمة : ص ٧١
 ام فروة بنت القاسم بن محمد : ص ٨٥
 أمل الشط : ص ١٢٨
 أمية بنت وهب : ص ١٢٠
 ام نعيم : ص ٢٠٥
 الامويون : ص ٤٩ و ٥٢ و ٥٣ و ٧١ و ١١٦
 ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨٢
 امية : ص ٤ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٥ و ١١٢
 الانجيل : ص ٨٢ و ١٤٤ و ٢٧٢
 الاندلس : ص ٥٩ و ١٨٨ و ١٨٩
 الانتصار : ص ٧ و ٨ و ١١ و ٢١ و ٢٢ و ٣٠

جمال الدين الأفغاني : ص ٢٦٢
جندب بن زهير الأزدي : ص ٦٢
جنكيزخان : ص ٤٢
جهريق : ص ٢٥٢
الجهمية : ص ٦٨
جهينة (قبيلة) : ص ٢٤
جوزجان : ص ١٠٨
جولدزيهر Goldziher ص ٣٢ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
جيحون (نهر) : ص ١٤٨

(ح)

حاج شريف : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
حاجر : ص ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٧٥
الحارث الأعور الهمداني : ص ٦٢
الحارث بن زياد : ص ٦٠
الحارث بن سريح : ص ١٨٣
حارث همدان (قبيلة) : ص ١٦٠
حارثة بن قدامة السمدى : ص ٦٢
حاضر بن غسان الخزاعي : ص ٦٢
الحاكم بامر الله : الخليفة الفاطمي : ص ١٤٨
حبيب بن مظهر الأسدي : ص ٦٠
الحجاج بن يوسف الثقفي : ص ٥٢ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٩٦ ، ٩٩
الحجاز : ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٧٩ ، ٢٢٤ ، ٢٦٩
حجر بن عدى الكندي : ص ٦٠
حجر موسى : ص ٨٢
الحجون : ص ١٦٦
حذيفة بن اليمان : الصحابي : ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٢٢ ، ١٧٨ ، ١٨٨
الحوروية : ص ٦٨
حزوى : ص ١٦٣ ، ١٦٦
حسان بن ثابت : شاعر الرسول : ص ٢ ، ٤٦ ، ٢٠٧
الحسن البصري : ص ٢٦
الحسن بن الحسن بن علي : ص ٥٢ ، ٥٤ ، ١٢١
الحسن بن زيد بن محمد : ص ١٢٨
الحسن بن صالح بن حي : ص ١١٠
الحسن بن العباس المروفي : ص ١٦
حسن بن عدى : تاج العارفين : ص ١٩٧

التناسخ : ص ٤٠ ، ٧٧ ، ١٥٠
تنجانيقا : ص ١٤٨
التوراة : ص ٨٣ ، ٩٣ ، ١٤٤
توفيق : خديو مصر السابق : ص ٢١٤
التويزري : ص ١٩٦
تينوس (استاد) : ص ٢٦٧
تيل هلمند (بلدة) : ص ١٩٨
تيم بن مرة (قبيلة أبي بكر) : ص ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٩٢ ، ١٥٩
تينمل (بلدة) : ص ١٩٦
تيودور : ص ٤٣

(ث)

ثعل : ص ٩٥
ثقيف : ص ٩٥

(ج)

جابر بن حيان : ص ٨٨
جابر بن يزيد الجعفي : ص ٢٩ ، ٦٢
الجاحظ : أبو عثمان : ص ١٢٧
الجارودية : ص ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧
الجاهلية : ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٢
الجامعة (صحيفة) : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٤
جيريل : ص ٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥
جبل الجردة : ص ٢٢٢
الجحفة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩
جرجان : ص ١٢٨
جرى زيدان : ص ٢١٤ ، ٢٢٥
جوير بن عطية : الشاعر : ص ٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٨
الجزائر : ص ١٩٥
الجزيرة : ص ٦٨ ، ١٠٠
جعفر بن أبي طالب : ص ٢٥ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ١٢٢
جعفر الأصغر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٢
جعفر الأكبر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٢
جعفر الصادق بن محمد الباقر : ص ٣٢ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧١
جعفر بن يحيى البرمكي : ص ٦٣
الجعفرية (فرقة أممية) : ص ١٥٥
الجفر : ص ٢١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨

(خ)

- خالد بن سعيد بن العاص : ص ٤
خالد بن عبد الله القسري : ص ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩
خاند بن الوليد : ص ٢٠٧
خالد بن يزيد بن معاوية : ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٩
خديجة بنت خويلد : ص ١٨ ، ٦٧ ، ١١٩
خراسان : ص ٦١ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٢٢
الخرطوم : ص ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣
الخرمية : ص ١٨٤
الخزرج : ص ٢
الخضر : ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٦
الخطابية : ص ٦٨
الخفافجي : شهاب الدين : ص ١٦٢
الخلافة : ص ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٩
الخليفة : ص ٩ ، ١٥
خم : غدير : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥٤ ، ١٧١
خمط (أم ولد) : ص ١٣٠
الخناتق : ص ٢٠٠ ، ٢٠١
الخوارج : ص ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٨ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٥
الخوارزمي أبو بكر : ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٨
خولان : ص ٩٥
خولة بنت جعفر : ص ٩٦
خولة (الخنيفة) : أم محمد بن علي : ص ١٥٧
الخياط المتزلي : ص ١٢٧
خبير : ص ٧٦
خير الله : ص ٢٦٢

(د)

- داب بن الكناني : ص ٦٣
الدارقطني : ص ١٥٣
داود بن علي : ص ٦٣
داود : النبي : ص ٢٠٨
الدر : ص ٢٠٠
الدروز : ص ١٤٨
دعبل بن علي الخزاعي : ص ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ١٤٩
دمشق : ص ٨١ ، ١٠٧ ، ١٧٩
دنقلة : ص ٢٠٠ ، ٢٠١

حسن العراقي : ص ٨١

- الحسن المسكوي : ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦
الحسن بن علي بن أبي طالب : ص ٥ ، ٦ ، ٧٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٧١ ، ٢٦٨
الحسن بن علي الوشاء : ص ٨٨
الحسن بن القاسم : ص ٥٩
الحسن بن القاسم البطحاني : ص ١٢٨
الحسن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
الحسين بن اسماعيل المصمبي : ص ٥٩
حسين البشروني : باب الباب : ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧
الحسين زهراء : ص ٢٠٢
الحسين بن علي بن أبي طالب : ص ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٤٤
الحسين بن علي : الوزير المغربي أبو القاسم : ص ٢
حسين بن علي : انظر : بهاء الله
الحسين بن القاسم الرسي : ص ١٢٧
الحشوية : ص ٦٨
الحقيقة : ص ٧٣ ، ٨٨ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٥
حكيم بنت محمد بن علي : ص ١٣٠
الحلة (قرية) : ص ١٣٠
حمزة بن عبد المطلب : ص ٢٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ١٢٢
حمزة بن علي : شيخ الدروز : ص ١٤٨
حمزة بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
حمص : ص ١٧٩
حميد بن قحطية : ص ١٢٤
الحميري : انظر : السيد الحميري
الحنبلية : ص ٦٨
حنظلة بن اسعد : ص ٦٠
الحنفية : ص ٦٨
حنين : ص ٣
حواء : ص ١٤١
حوران : ص ٢
حيدر : لقب علي بن أبي طالب : ص ٩١
الحيرة : ص ٩٢
حيثا : ص ٢٦٢

عبد القادر الجيلي : ص ٢١٢ ، ٢٢٦
عبد القاهر البغدادي : ص ١٢ ، ٧٥ ، ٧٨
٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٢٥
١٣ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨
١٧٢
عبد الكريم بن الفضل : الخليفة الطائع :
ص ١١
عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث : ص ٣٠
عبد الله التتاشي : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦
عبد الله بن الحسن بن الحسن : ص ٥٣
١١٣ ، ١١٥ ، ١٥١
عبد الله بن الزبير : انظر : ابن الزبير
عبد الله بن سبأ : انظر : ابن السوداء
عبد الله بن طائوس : ص ١١٣
عبد الله بن عباس : انظر : ابن عباس
عبد الله بن عبد المطلب : ص ١٢٠
عبد الله بن علي : الخليفة المستنكفي بالله :
ص ١١
عبد الله بن عمار البرقي : ص ٦٣
عبد الله بن عمر العيلي : ص ٥٣
عبد الله بن فحل : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
عبد الله بن كامل : ص ٦١ ، ٩٨
عبد الله بن مصعب الزبيرى : ص ٦٣ ، ١٢٤
عبد الله بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني : ص ٦٢
عبد الله بن معاوية بن جعفر : ص ٤٨ ، ٤٩
٦١ ، ٧٨
عبد الله بن وال التيمي : ص ٦١
عبد المطلب : ص ٦٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠١
عبد الملك بن قريش الاصمعي : ص ٦٣
عبد الملك بن مروان : ص ٦١ ، ٦٧ ، ١٠٢
١٠٦ ، ١٩٩
عبد الملك بن ميسرة : ص ٦
عبد المؤمن بن علي : ص ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥
عبد الواحد بن ايمن : ص ١٠٣
عيس (قبيلة) : ص ٩٥
عبيد الله بن زياد : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦
١٠٠ ، ١٥٣
عبيد الله بن العباس : ص ٥٠
عبيد الله بن معاوية بن يسار : ص ١٦٠
عبيد الله المهدي : ص ١٢٩
عتبة بن ابي لهب : ص ٤٤ ، ٥٤ ، ١٢٣
عتيق : انظر : ابو بكر
عثمان بن عفان : ص ٨ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٩٢

(ط)

الطائف : ص ١٧٩
الطائي : ص ١٦٥
طارف وطريف (ابناء عبد الله بن دجانه)
ص ١٠٤
الطالقان : ص ١٢٥
طاوس : ص ٦
طبرستان : ص ٥٩ ، ١٢٨
الطبري : ص ١ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣
٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ٩٣
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٧
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣
الطف : ص ٥٠ ، ٦٥
طلحة بن عبيد الله : ص ٣٠ ، ٧١ ، ١٢١
طهران : ص ٧٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
٢٥٦
طوس : ص ١٦٣

(ع)

عائشة أم المؤمنين : ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ١
عابس بن ابي شبيب : ص ٦٠
عازم : سجن : ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣
عاصم : راوى احاديث الهدي : ص ٧٠
عاصم بن عمر بن الخطاب : ص ١٨٣
عاصم بن عبد قيس التميمي : ص ٥٩
عامل (جبل) : ص ١٦١
العاملي : انظر : بهاء الدين
عباس اقبال : ص ٧٤
عباس الصفوي : ص ١٦١ ، ١٦٢
العباس بن عبد المطلب : ص ٧ ، ٨ ، ١٢٢
١٢٢ ، ١٩٩
العباس المزي : ص ١٠٧
العباس بن الوليد بن عبد الملك : ص ٥٢
العباسيون : ص ٥٣ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٦
١٨٠ ، ١٨١
عبد البهاء عباس : ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
عبد الحسين آواره : ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٤١
٢٥٥
عبد الرحمن بن الأشعث : ص ١٧٧
عبد الرحمن بن الحكم : ص ٦٥
عبد الرحمن بن شريح : ص ٩٩
عبد الرحمن بن عوف : ص ١٢١
عبد الرحمن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
عبد شمس : ص ٣ ، ١٧ ، ١٨
عبد العزيز بن رفيع : ص ٢٦
عبد العزيز الصفوي : ص ٢٦٨

على محمد : الباب : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
٢٦٠ ، ٢٦١

على بن موسى الرضي : ص ٧ ، ٥٩
على وفا : الصوفى : ص ٢٧
على بن يقطين : ص ٦٢
عمار بن ياسر : ص ٥ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٢٥٢
عمر بن بائة : ص ٦٦
عمر بن الخطاب : ص ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٠ ،
٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧١ ،
٧٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٥٢

عمر بن زبارة : ص ٥٩
عمر بن عبد العزيز : ص ١٨٢ ، ١٨٣
عمرو بن الحنفى الخزاعي : ص ٦٠
عمرو بن العاص : ص ٧٢
عمرو بن عبيد : ص ٧٨
عمرو بن فرقة : أبو موسى : ص ٦٠
عمر بن الفضل الخثمي : ص ١١٦
عون بنت محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

عيسى بن زيد : ص ٥٩
عيلان (قبيلة) ص ٩٥
عيسى بن موسى : ص ٥٩ ، ١٢٤
عيسى : النبي : ص ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٤٩٤ ، ٧٩٩ ،
٨٠ ، ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ،
٢٧٢

(خ)

الخرايصة : ص ٧٥
خردون : ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٦
الغزال : انظر : واصل بن عطاء
الغزالي أبو حامد : ص ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٧٢ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠
الخنوصية : ص ٧٣ ، ٢٥٠
الخنوصيون : ص ٢٤٢
الخور : ص ١٧٩
الخور : ص ١٦٣

(ف)

فارس : ص ٤٩ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٦٢ ، ١٩٣ ،
٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤
الفاروق : انظر : عمر بن الخطاب
فاطمة أم أبي طالب : ص ١٢٠
فاطمة أم علي بن أبي طالب : ص ١٢١
فاطمة بنت الرسول : الزهراء : ص ٤ ، ٥ ،
٨٥٧ ، ١٦٤ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ،
٧٨ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٠

٩٣ ، ١٢١ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ٢٥٢

عثمان بن حنيف الإنصاري : ص ٦٢
الضمانية : ص ٦٨
عدى (قبيلة عمر) : ص ٤ ، ٧ ، ٩٢ ، ١٥٩
عدى بن حاتم الطائي : ص ٥٩
الصراف : ص ٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٨٨ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٣٠ ،
١٦١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠

الغزيب : ص ٩٨ ، ١٦٣
غزير : ص ٢٨
الغصكر : ص ١٢٩
غلبة بن مسلم الهنائي : ص ١٥٤
العقيق : ص ١٦٦
عقيل بن أبي طالب : ص ٥٠ ، ٥١ ، ١٢٣
عكا : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
عكرمة : مولى ابن عباس : ص ٧١ ، ١٥٢
علوبة : الغنى : ص ٦٦
العلويون : ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٩٦ ، ١١٥ ،
١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٨٠ ،
١٩٩

العلانية : ص ٧٥
العلي بن ذراع الدوسي : ص ٧٥
علي بن أبي طالب : ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ،
٨ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢١ ،
١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ،
٢٤٨ ، ٢٥٢

علي بن الأفطس : ص ٦٣
علي بن بابويه القمي : ص ٨١
علي بن جعفر بن الأسود : ص ٨١
علي بن الجهم : ص ٦٣
علي بن الحسين الرضي : انظر : المرتضى
علي الخواص : ص ٢٧
علي زين العابدين بن الحسين : ص ٣٢ ، ٥٠ ،
٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦
علي بن العباس الرومي : انظر : ابن الرومي
علي بن عبد الله بن العباس : ص ٥٦
علي بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

الغرامطة : ص ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣
 قرة العين : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
 القرشي : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥
 قرطبة : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 قريش : ص ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ١٦ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،
 ١٥٩ ، ١٨٤
 قزوين : ص ٢٤٠ ، ٢٥٤
 القطنان : ص ٨٨
 قنطري بن الغجاجة : ص ١٣
 القلقشندي : ص ١٨ ، ١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢
 قلعة الطبرسي : ص ٢٤٧
 قنبر : خادم علي : ص ٧٦
 قندهار : ص ٢٦٩
 فنسرين : ص ١٧٩
 الفوقاز : ص ١٩٧
 قيس (قبيلة) : ص ٩٥
 قيس عيلان : ص ١٩٠ ، ١٩٣

(ك)

كابل : ص ٢٦٩
 كاظم الرشتي : ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
 الكافي أو صاحب الكافي : انظر : محمد بن
 يعقوب الكليني
 كتامة (قبيلة) : ص ١٣٩
 كنتشور : ص ٢٣٦
 كثير عزة : ص ٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 ١٥٤ ، ١٥٨
 كثير النواء : الأثر : ص ١١٠
 كربلاء : ص ٤ ، ٦ ، ١٥٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥
 الكربية : ص ١٥٠ ، ١٥٠
 كودي : ص ٢٠٠ ، ٢٠١
 كركين خان : ص ٢٥٣
 كرمان : ص ١٩٧
 كرمانشاه : ص ٢٤٠
 الكرمانى : انظر : محمد كريم خان
 الكسفية (فرقة) : ص ٧٩
 كشتمة : ص ٢٠٠
 كشمير : ص ٢٦٥ ، ٢٧٢
 كعب الأحبار : ص ٤٨ ، ١٥٢
 الكلمة : ص ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٧٠ ، ٢٠٨

فاطمة بنت عمرو : ص ١١٩
 فان فلوطن Van Vloten ص ٤٢ ، ٥٣ ، ١٧٧ ،
 ١٧٨
 فتح (موضع) : ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢
 فذلك : ص ٥٠
 الفرات : ص ١٣٠
 الفرزدق : الشاعر : ص ٤٦ ، ١٥٠
 الفرس : ص ١٣٧
 فرعون : ص ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٢٦
 الفسطاط : ص ١٩٩
 فشنو : ص ٤٤
 فضل بن العباس بن عبد الرحمن : ص ١٠٨
 الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :
 ص ٢٤
 فلسطين : ص ١٨٠
 الفناء : ص ٧٣
 فيثاغورس Pythagore : ص ٣٥ ، ١٤٦
 الفيدا : ص ٢٦٦

(ق)

قاديان (مدينة) : ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
 القادياني : انظر : احمد القادياني
 القاديانية : انظر : الاحدية
 القاديانيون : ص ٢٧٣
 قارس (مقاطعة) : ص ٧٧
 قاسم الخياط : غلام السيد الحميري : ص ١٥٦
 القاسم الرسي : ص ١٢٧
 قاسم بن عباس : ص ١٩٧
 القاسم بن علي : ص ٦٢
 القاسم بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 قاشان : ص ١٣٠
 قبا : ص ١٦٧
 قبرص : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
 القبيش (قبيلة) : ص ٢٠٢
 قتيبة بن سعد : ص ٢٦
 قتيبة بن مسلم الباهلي : ص ٥٩
 قحطان : ص ١٠٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 القحطاني : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١
 القحطانية : ص ١٧٦
 قدير (جبل) : ص ٢١٠ ، ٢٢٩
 القرآن الكريم : ص ١ ، ٥ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٦ ،
 ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦ ،
 ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
 ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٣٠ ، ١٤١ ،
 ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ،
 ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢

محمد بن علي بن بابويه النعمي : أبو جعفر الصدوق : ص ٨١ ، ٨٢
 محمد بن علي بن الحسين : ص ٢٢ ، ١٢١
 محمد بن عمر : ص ١٢٦
 محمد عبد الله عنان : ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٦
 محمد عبد الهادي أبو ريدة : ص ٢٦٧ ، ٢٧٢
 محمد بن عثمان السري : ص ١٢٥
 محمد فريد وجدى : ص ٧٠
 محمد بن القاسم : ص ١٢٥
 محمد كريم خان : الكرمانى الأليم : ص ٢٤٩ ، ٢٥٠
 محمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق : ص ١٢٨
 محمد المهدي الحفنى : ص ٤٧
 المحمدية : ص ١٢٥
 محمد بن يعقوب الكليني : أبو جعفر الأعور : ص ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩
 محمود بن سبكتين الفزنى : ص ٢٦٤
 محي الدين بن عربي : انظر : ابن عربي
 محي الدين بن عبد الظاهر : ص ١٠٧
 مخارق : ص ٦٦
 المختار بن ابي عبيد الثقفى : ص ٦١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٢
 المخلص : ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١١٢ ، ١٨١
 المخزيق : ص ٢٠٢
 المدائن : ص ٧٦ ، ٩٤
 المدينة : ص ٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٤٢
 المزار (ناحية قرب الكوفة) : ص ١٠٤
 مذبح : ص ٩٥
 مربع بن دعدة : ص ٢٤
 المرتضى : الشريف على بن الحسين : ص ٤٠ ، ٧٤
 مراکش : ص ١٩١ ، ١٩٦
 المراكشى : ص ١٩٢ ، ١٩٤
 مرجليوث Margoliouth : ص ٤٨ ، ١٠٥
 مروان بن ابي حفصة : ص ٦٢
 مروان بن الحكم : ص ١٧٨
 مروان بن محمد : ص ٤٩
 المروة (جبل) : ص ٤١
 مزاحم بن خالان : ص ٥٩
 مزينة (قبيلة) : ص ٢٤

المستعين بالله : الخليفة العباسى : ص ١٢٦
 مسعود بن عمرو الثقفى : ص ٩٥
 المسعودى : المؤرخ الجليل أبو الحسن : ص ٥٢ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١٧٧
 مسلم بن الحجاج النيسابورى : ص ٦ ، ٧٠
 مسلم بن عقيل : ص ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦
 مسلم بن قتيبة : ص ١١٧
 المسلمية : ص ٢٠٢
 المسيب بن نجية : ص ٦١
 المسيح : ص ٤٣ ، ٧٩ ، ١٧٥
 المسيحية : ص ٤٩ ، ٧٩ ، ١٧٥ ، ٢٦١
 مشهد الرأس : ص ١٠٧
 مصحف على : ص ٨٢ ، ٨٣
 مصحف فاطمة : ص ٢١ ، ٨٢ ، ٨٤
 مصر : ص ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٧٢
 مصعب بن الزبير : ص ٦١ ، ١٠٤
 مصمودة : ص ١٨٧ ، ١٨٨
 مضر : ص ١١ ، ١٢ ، ٥٦ ، ٥٩
 المضربون : ص ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١
 المطهر بن طاهر القدسي : ص ١٨٠
 معاذ بن كثير : ص ٢١
 معاوية بن ابي سفيان : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٥٢
 معاوية بن اسحاق الانصارى : ص ٦١
 المعتزلة : ص ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧
 المعتصم الخليفة العباسى : ص ١٢٥ ، ١٢٩
 معد : ص ١٠٩ ، ١٥٨
 المعز لدين الله أبو تميم معد : ص ١٤٩
 معقل بن قيس الرياحى : ص ٦٢
 المعلى بن جبش : ص ٦٣
 المقول : ص ٢٠٤
 المغيرة بن سعيد العجلي : ص ٧٧ ، ٧٩
 المغيرة : ص ٧٩
 مقاتل بن سليمان : ص ٧١
 المقداد بن عمرو : ص ٤
 الم القرن : ص ٢٠١
 المقرئى : تقي الدين : ص ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٧٢
 المنع الخراسانى : ص ٧٩
 مكة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠
 المكتفى بالله : الخليفة العباسى : ص ١٢٨

